اغسطس (آب) ١٩٩١ - محرَّم ١٤١٢

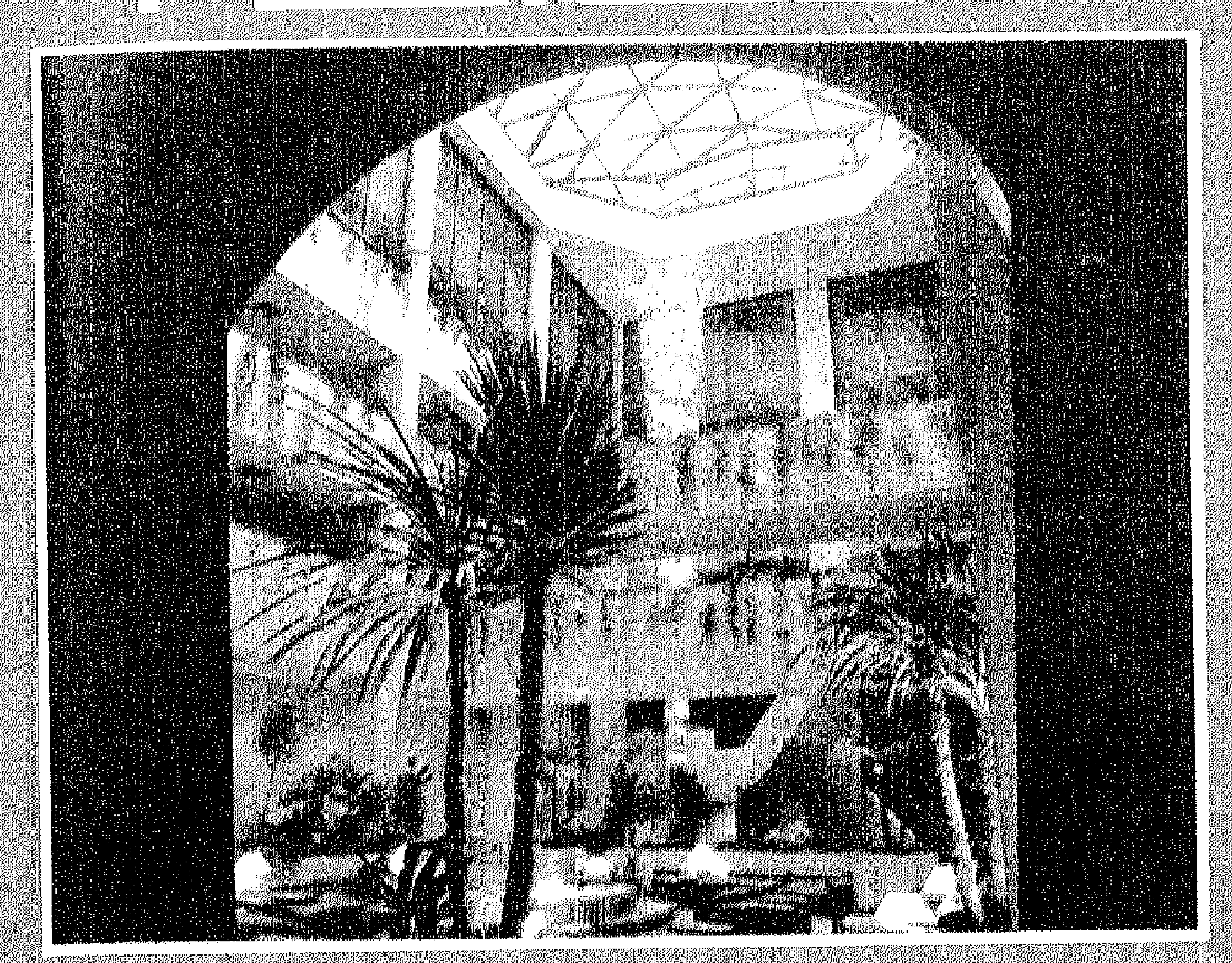
Reader's Digest
المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest August '91 N° 153

أوسع المجلات انتشارًا في العالم



فندق الشام



أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها . صمم على أحدث طراز في ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك . فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمقاهي بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية ... ولاننسى المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها .

للحجز : فندق الشام ـ ص . ب ٧٥٧٠
تلكس ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الرسائل ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد



مجـــلة شهـريّـــة

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.
مديرة التحرير راغدة حداد. أمينة التحرير: نهلا رزق. محررة مساعدة لورا نفاع. الاشتراكات. فريال علاف.
مدير القسم الفني: جورج غالي.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ابيراك" للمنشورات الدولية - بيروت
رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح
المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.
التحرير والادارة. بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.
التلكس (الموقت). MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE. الهاتف. ٣٧٠٥٧٥/٣٥٠٧٦٠
التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية. شارع مصرف لبنان. بيروت:
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.
التوزيع الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Makdessi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707. Beirut, Lebanon.
Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE. Tel. 350760 / 370575
Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

August '91 N° 153 (New Series) Vol. 13

لبنان ١٠٠٠ل - سورية ٤٠ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٩ر - البحرين ٩٠٠ف
السعودية ١٢ر - مصر ١،٥ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - الجمهورية اليمنية ١٥ ر - مسقط ٩٠٠ ب - قبرص ١ ج

تريدون شراء سيارة؟
أو الحصول على زيادة في الراتب؟
فاوضوا بلباقة ولا تتحدوا



فن المفاوضة

يشكل التفاوض جزءاً مهماً من الحياة اليومية، سواء أردت شراء منزل أو طلب زيادة على راتبك أو حتى مجرد محاولة اقناع أطفالك بالذهاب إلى الفراش. ومع ذلك يرهب التفاوض معظم الناس إذ يخشون الوقوع أسرى تجاذب الرغبات.

خلصت، بعد ٢٧ سنة من عملي وكيل أعمال لكثير من الرياضيين والنجوم، الى أن التفاوض هو فن الممكن. فأنت لا تنال كل ما تبغيه، ولكن يمكنك اقناع الفريق الآخر بعمل ما ترغب انت فيه من غير أن تطلب منه ذلك.

يدعي البعض أن الطريق الوحيد إلى بلوغ غاية ما، يكون عبر التهديد والمراوغة. لكن الامر ليس كذلك. فالتفاوض الحقيقي ليس معاكسة. انه العمل معاً للتوصل الى اتفاق. لذلك ينبغي أن نسأل أنفسنا دائماً: "هل الجميع

راضون؟" لا أن نسأل: "من الرابح؟"
بعض وسائلي الاهم، هذه القناعات الثلاث الفاعلة:

- لست في حاجة الى أن تكون صعب العريكة لكي تعارض.
- عامل الآخرين كما تحب أن يعاملوك.
- أخلص لقناعاتك.

ويمكنك أنت أيضا، جاعلا هذه الفلسفة نصب عينيك، أن تواجه حتى المواقف الاكثر اثباطا للعزيمة. وإليك السبيل الى ذلك:

أعدد نفسك تمام العدة.

يستهل كثيرون مفاوضاتهم متعجلين بالاعلان: "أنا في حاجة الى زيادة على الراتب." أو "كم تريد ثمنا لهذا المنزل؟" وهم يجهلون تماما قيمة خدماتهم أو السلع المعروضة.

من المبادىء الاساسية أن تتقصى المعطيات كلها قبل الشروع في أي مفاوضة. فاذا ما بزّك خصمك دهاء أمكنك أن تفوقه استعدادا.

من يطمح الى زيادة على راتبه عليه أن يحتفظ بسجل كامل عن عمله وبمعلومات أكيدة عما يتقاضاه أناس يشغلون مراكز مماثلة. فاذا كان مديرك مرشحا للحصول على ترقية واحتاج الى مساعد، تحرَّ الامر. واذا تدنت العائدات ولزم القسم الذي تعمل فيه اعادة تنظيم، كن على بينة. فالأخبار تتنقل باستمرار، وآخرها متوافر دوما في مكان ما، في وسائل الاعلام أو في ثرثرة المكاتب. فابق مطّلعا.

كن ايجابياً.

أخاطب نفسي لدى الشروع في أي مفاوضة: "سأنجح في عقد هذه الصفقة." وأنت أيضا، عندما تتوقع النجاح تجيء ردود فعل الآخرين ايجابية. لذلك ترى أن معظم الناجحين في أي مهنة يتمتعون بموقف ايجابي من عملهم.

وتتوقف نتيجة مفاوضاتك، في معظم مراحلها، على أسلوبك في العرض. فعوض أن تحدد مطالب، تقدم باقتراحات أو توصيات. وسؤالك: "هل لي أن اقترح هذا الامر؟" ألبق كثيرا من القول: "هذا ما أريده." واذا ما توصلت الى موقف نهائي من عرضك فقل: "أمل أن تتفهموا أن هذا كل ما يسعني تقديمه. وأرجو أن نتمكن من العمل معا." هذا أفضل كثيرا من القول: "يمكنكم أن تختاروا بين القبول والرفض."

احتفظ بنبرة ودية في صوتك فهذه ميزة يجلّها الناس، واذا كنت ممن يتكلمون بحدة، فتمالك نفسك لانه بمقدار ما تبدو أقل توعداً يكون الطرف الآخر أكثر استرخاء.

التزم اهدافك.

قد يكون التفاوض أحيانا اختبارا عاطفيا وانفعاليا، إذ تدفعك رغبتك الشديدة في الحصول على شيء ما الى تقديم أكثر مما ينبغي من تنازلات. لذلك لا

تغفل عن هدفك الأساسي والا صرت مثل ذلك الرجل الذي ذهب لشراء سيارة "شفروليه" فعاد إلى منزله بسيارة "مرسيدس." لا بد أنه أتمّ صفقة جيدة، لكن هدفه الأساسي كان شراء سيارة مستعملة لأولاده المراهقين.

حدد أهدافك، ودوِّنها اذا لزم الامر، قبل بدء أي محادثات. فلربما أردت انفاق عشرة آلاف دولار لشراء سيارة جديدة، أو طلب زيادة على الراتب مقدارها خمسة آلاف دولار سنويا. من المرجح أن تتغير هذه التقديرات، لكن ذلك سيبقى في حدود معينة. ولك أيضا أن تضيف بعض "الزيادات" التي يمكن اسقاطها عند الحاجة. فقد ترغب مثلاً في الحصول على جهاز راديو من نوع ممتاز يقدم مجانا مع السيارة، أو تود الاحتفاظ ببعض أثاث المنزل الذي تحاول شراءه في مقابل كلفة اضافية دنيا. فاذا وجدت أن هذه الزيادات قد تؤثر سلبا في الصفقة أمكنك الاستغناء عنها، فهي مجرد زيادات. وتكون في الوقت نفسه لزمت أهدافك.

أصغِ أكثر وتكلم أقل.

أخبرني أحد زبائني، لاري كنغ، وهو مضيف برنامج مقابلات تلفزيونية: "حللت مرة ضيفاً على أحد البرامج الصباحية المتلفزة في دالاس. وكانت مضيفتي من النوع الذي يطرح السؤال ثم يلتفت الى مكان آخر من دون سماع الجواب. وكان سؤالها الثالث: "ما سر نجاحك مضيفا في برنامج مقابلات؟" وقد لاحظت أنها لم تكن تعيرني أي انتباه فأجبت ممازحاً: "أعمل في خدمة وكالة الاستخبارات المركزية. فهم يرسلون الي ضيوفاً بارزين كل ليلة، وأتفوه أنا، في المقابل، برموز الى عملائهم." وللحال عاجلتني بسؤال آخر فيما ضج المصورون والفنيون ضاحكين في الاستوديو.

وإلى ذلك، إذا أنت أكثرت الكلام فقد تخطىء القول. وأسوأ من ذلك انك تمنع الآخر من الكلام، وهذا خطأ فادح، لأن الذي يصغي جيدا يلتقط بعض المعلومات المفيدة التي يمكن استخدامها عنصرا مؤثرا في الحديث. وكما يقول المثل. "إن قل كلامك، كثر سامعوك."

لا تغضب.

قد تشعر أحيانا برغبة في صب جام غضبك على الشخص الآخر. تحاش ذلك. لانك لن تحصل على ما تريد إن فقدت السيطرة على نفسك، والارجح انك ستطلق أحكاماً خاطئة.

قد يحدث بعض الصدامات خلال المفاوضات. ولا يتطلب الأمر في معظم الأحيان سوى مزيد من المرونة والتفكير الخلاق للمضي في طريق الاتفاق. وقد يكون جل ما نحتاج اليه دعوة من نوع: "لنفكر ملياً في هذا الموضوع ونعُدْ الى اللقاء غداً."

لكن مشاعر الاحباط تعترضنا أحيانا فترتفع حدة الغضب ويصبح التفاوض مهدداً بالانهيار. في هذه الحال أرى من

المجدي قيام مبادرة تعيد احياء حس بالتقدم، فأسأل نفسي: "هل هنالك مسألة جانبية أخرى لم تناقش بعد؟" باظهارك القدرة على الموافقة على نقطة ثانوية، يمكنك غالبا مقاربة النقطة الأساسية بنظرة متجددة.

اسع الى التفاوض وأنت في موقع قوة.

اذا كنت حققت لتوك رقما قياسيا في مبيعات الشركة التي تعمل فيها، أو ربحت جائزة ما، فلا تنتظر ريثما يلاحظ الآخرون ذلك، بل بادر الى طلب ما تريد لانك تكون اذذاك في موقع قادر.

أوفِ بتعهداتك.

التزم شروط الصفقة التي تعقدها، ولا تجعل كلماتك فارغة.

واذا أنت أظهرت استقامة وخلقا في كل معاملاتك، فسيلحظ الناس ذلك. وان بدلت مبادئك كما تبدل جواربك، فسيدرك الناس ذلك أيضاً. يمكنك أن تكون من الناجحين أبدا ان أنت كسبت ثقة الناس. وكن على يقين أن في وسعك أن تكون مفاوضاً ناجحاً حازماً ذكياً، من غير أن تحيد عن الطريق السوي.

لم أعقد صفقة الا وشعرت أنه كان في مستطاعي كسب مقدار أكبر من المال أو الحصول على كسب اضافي. وهذا شعور طبيعي، فلا أحد يحصل على "القرش الأخير." والواقع أن ترك شيء على طاولة المفاوضات هو أحد الفنون التفاوضية الناجحة، لأنه يظهر عدم طمع ويُقابل دائماً بالتقدير.

قبل سنوات، عندما كانت ابنتاي صغيرتين، دار بينهما نقاش حاد. فطلبت منهما أن تتصالحا وتتبادلا القبل. ثم جاءت إلي احداهما محاولة استعادة رضاي قائلة: "أبي. أنا أحبك وسع الدنيا كلها."

قلت لها: "هذا جميل. وكم تحبين أختك؟"

لاحظت على وجهها ملامح تفكير عميق. وأخيراً أجابت: "أحبها وسع الحي كله."

أبهجني جوابها. كانت تلك طريقتها في ترك شيء على الطاولة.

بوب ولف ■

بين الجحيم والنعيم

خلال لقائنا الاسبوعي للبحث في سبل خفض الوزن، تحدثت احدى الزميلات عن مشقات ضبط الشهية، فقالت: "الاغراءات تطوقنا. انظروا الى كل هذه المطاعم التي تعرض البيتزا والدجاج والحلوى والمثلجات." ثم ختمت سائلة، وهي تطرق المنبر بيدها: "فماذا تدعون ذلك؟"

فأجابها صوت من عمق القاعة: "النعيم!"

م.م.



- الاولاد مرساة تشدّ الأم الى الحياة.

سوفوكليس. كاتب مسرحي يوناني (٤٩٦ - ٤٠٦ قبل الميلاد)

- لولا المكتبات لما كان لدينا ماض ولا مستقبل.

راي برادبري. كاتب روايات علمية - خرافية

- اللطف هو محبة البشر أكثر مما يستحقون.

ج. ج.

- يرى بعض الناس في المؤسسات الفردية نمراً مفترساً ينبغي إرداؤه. ويرى فيها آخرون بقرة تدرّ الحليب. قلة من البشر تراها كما هي تماماً، حصاناً قوياً يجرّ العربة بكاملها.

ونستون تشرشل. رئيس وزراء بريطاني راحل (١٨٧٤ - ١٩٦٥)

- التصورات المستبقة أقفال على أبواب الحكمة.

م.ب.

- انجاز المستحيل يعني أن رب العمل سيضيفه الى واجباتك العادية.

د.ل.

- الجمال الذي أرغب فيه حقاً هو ذلك النوع الصعب الآتي من الداخل، أي القوة والشجاعة والكرامة.

روبي دي، ممثلة أمريكية

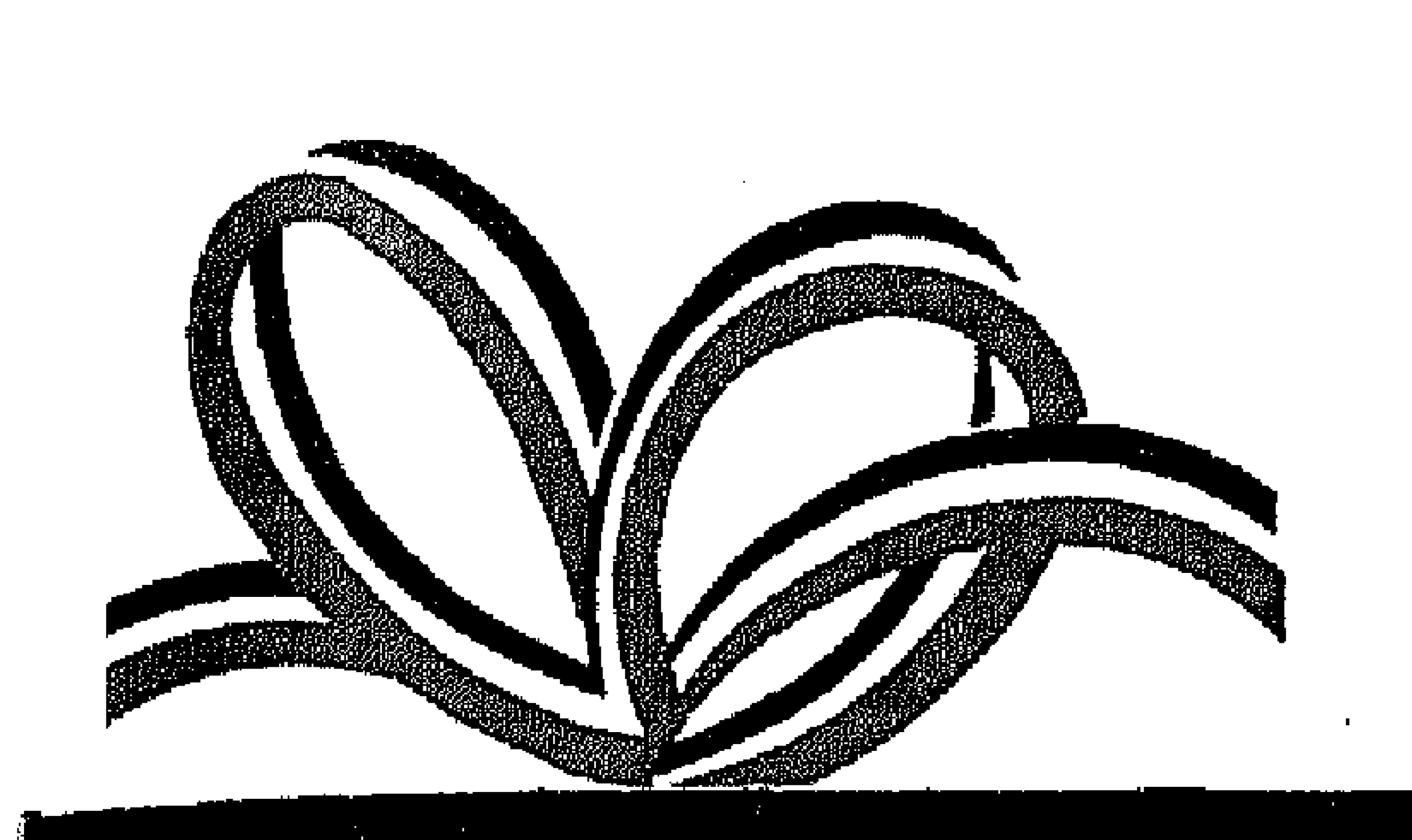
- قل الحقيقة وعجِّل بالرحيل.

مثل سلوفيني

- الربيع هو أسلوب الطبيعة في الاحتفال.

روبن وليمس، ممثل كوميدي امريكي

فاجئوا من تحبون بهدية لا تنسى



تمر اعياد من نحب في غفلة عنا، فننسى مثلا ان عيد الآباء يقع في ١٢ يناير (كانون الثاني) وعيد الامهات في ٢١ مارس (آذار).
كما المناسبات الاجتماعية والشخصية ولاسيما منها اعياد الميلاد الشخصية وذكرى الزواج او عيد الحب...
فهل فكرتم في هدية غير عادية، هدية ترافق من تحبون لأكثر من سنة، ترفقونها ببطاقة شخصية تعبرون فيها عن عاطفتكم تجاهه واهتمامكم به؟
فاذا اردتم اهداء من تحبون اشتراكاً لمدة سنة في "المختار" تفيدون خلالها من العرض الخاص (١٦ عدداً بدلا من ١٢) خلال الفترة بين ١٩٩١/١/١ و١٩٩١/١٢/٣١ فما عليكم الا ملء القسيمة باسم من تودون اهداءه الاشتراك وعنوانه الكامل مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بقيمة ٣٠ دولاراً امريكياً باسم "المختار من ريدرز دايجست" وارسالهما بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العناوين الآتية:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR Magazine
c/o Aramex International Courier
P.O.Box 3814 Deira United Arab Emirates.

Aramex International Courier
pour Al Mukhtar B.P. 819
94549 Orly Aerogare France

اسم المهدى اليه ____________

____

عنوانه ____________

____

المناسبة وتاريخها ____________

توقيع المهدي ____________

لا تنسوا ان ترسلوا مع القسيمة والشيك بطاقة شخصية موجهة الى المهدى اليه فنضمها بدورنا ضمن الرسالة التي نوجهها اليه.

مع أخلص تمنياتنا



اغسطس (اب) ١٩٩١
محرم ١٤١٢

السنة الثالثة عشرة
سلسلة جديدة

مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر

اخرجوا المدخنين من حياتكم

في ديسمبر (كانون الاول) عام ١٩٨٧ اتصلت مارغريت غراي، وهي مزخرفة في الستين من عمرها، بطبيبها تشكو من سعال مزعج فوصف لها دواء للسعال لم يُجدِها. وبعد أسابيع اقترح عليها الطبيب أن تجري فحصا لصدرها بالاشعة السينية، وجاءت نتيجة التقرير صدمة لها اذ تبين أنها مصابة بسرطان الرئة.

تقول مارغريت: "لم ادخن سيجارة واحدة في حياتي." لكن زوجها ادوارد كان يدخن علبة ونصف علبة على الاقل يومياً، طوال ٤٠ سنة من زواجهما.

الواقع ان مارغريت كانت تتنشق، معظم حياتها، مقدارا من الدخان.

بعد فترة قصيرة من تشخيص مرضها، خضعت مارغريت لجراحة استؤصلت فيها رئتها اليسرى. ويقول طبيبها الدكتور ديفيد كار الاختصاصي بعلم الأورام: "ما من أحد يمكنه أن يحدد جازماً الاسباب التي أدت الى اصابة مارغريت بالسرطان. ولكن استنادا الى ما اكتشفه العلم حديثا حول تاثيرات تنشق دخان السجائر، يمكنني القول إن هذا، على الأرجح، هو المسبب الفعلي."

برزت أدلة جديدة في الاشهر الاخيرة على أن ضرر التدخين اللاإرادي، من طريق الآخرين، يفوق كل تصور. في العام ١٩٩٠، بعد تحليل ٢٤ مشروعاً للأبحاث في ثمانية بلدان مختلفة أعلن الاختصاصيون في الوكالة الامريكية لحماية البيئة أن دخان السجائر المنفوث هو "مادة مسرطنة من الفئة أ" أي انها، بلا ريب، تسبب السرطان لبني البشر. وجاء في التقرير الاولي للوكالة أن آلوفا من غير المدخنين يقضون سنويا بسرطان الرئة وأن آلوفا أخرين – معظمهم من الاولاد – يصابون بجملة علل لم يكن ليعزوها معظمنا الى التدخين، وذلك نتيجة تلوث البيئة بدخان التبغ. وقد خلص بحث حديث الى أن ثمة رابطا بين "دخان التبغ البيئي"[1] وامراض القلب وسرطان عنق الرحم وسرطان الجيوب الانفية.

من الواضح أن هذه المسألة ليست مجرد مشكلة صغيرة. ففي أوروبا، يستهلك نحو ثلث الذين تجاوزوا السن الخامسة عشرة ما يزيد على مليارين ونصف مليار سيجارة يوميا، الامر الذي يكره ملايين من "المدخنين اللاطوعيين" على تنشق الدخان أينما وجدوا، في المكاتب والمخازن التجارية والمعامل والمدارس والمنازل والمستشفيات.

انها لمشكلة لا يستهان بها في الولايات المتحدة ايضا، حيث يدخن نحو ٥٠ مليون شخص مليارا ونصف مليار من السجائر يوميا في الاماكن العامة والخاصة، فيرغمون أكثر من مليون شخص من "المدخنين اللاطوعيين" على تنشق نفثات دخانهم.

العناصر السامة. ان دخان السجائر هو في الواقع هباء (ايروسول)[2] معلّق في الهواء، مثل المواد التي تُرش لإبادة الحشرات أو لازالة الروائح الكريهة في الغرف. وهو مكوّن من جسيمات غير مرئية ممتزجة مع غاز. ويحتوي هذا المزيج القاتل على قرابة ٤٠٠٠ مركب كيميائي بينها ٤٣ مركبا تُعرف بالمسرطنات.[3]

وينشق غير المدخنين، مرغمين، نوعين مختلفين من الدخان. يدعى الاول "الدخان السائد"[4] وهو الذي تنفثه الرئتان، ويسمى الثاني "الدخان الجانبي"[5] وهو الذي ينبعث من رأس السيجارة المشتعل.

يعتبر معظم العلماء أن الدخان الجانبي أشد خطرا على غير المدخنين من الدخان السائد الذي يصفّى عبر رئتي شخص آخر. (في امكانكم أن تتبينوا الفرق. فلون الدخان المنساب متموجاً من سيجارة مشتعلة رمادي ضارب الى الزرقة، اما لون الدخان الذي ينفثه المدخن فباهت ضارب الى الصفرة.) الى ذلك، لا يتولد الدخان المنفوث عبر الرئتين الا متى أطلق المدخن مجّاته، ويكون عدد

(١) Environmental tobacco smoke
(٢) Aerosol
(٣) المسرطنات (carcinogens) مواد تسبب السرطان.
(٤) Main-stream smoke
(٥) Side-stream smoke

هذه في حدود العشر بالسيجارة الواحدة، في حين أن الدخان الجانبي لا يتوقف عن الانبعاث ما بين خمس دقائق وعشر يستغرقها اشتعال السيجارة، فضلاً عن أن كميات كبيرة من المواد السامة تبقى منتشرة في المكان ساعات.

من العناصر السامة في الدخان المنبعث من اشتعال السيجارة أول أوكسيد الكربون وهو الغاز الذي ينفثه عادم السيارة أيضاً، وسيانيد الهيدروجين وهي المادة الكيميائية التي تستخدم في اعدام المجرمين، والفورمالديهايد وهو سائل يستخدم للتحنيط، والنيكوتين وهو مبيد قاتل للحشرات.

ورجّحت دراسة حديثة قدمها في جامعة هارفرد الفيزيائي جايمس ريبايس، أن احتمال اصابة غير المدخن بالسرطان نتيجة تعرضه لدخان التبغ البيئي، هو أكبر من احتمال اصابته بهذا الداء نتيجة كل الاسباب الأخرى المتصلة بالملوثات الخطرة في الهواء الطلق التي حدَّدتها "وكالة حماية البيئة" بما فيها الأسبستوس والزرنيخ والاشعاع.

دلّت المقاييس الدقيقة على وجود مقادير مذهلة من المواد الكيميائية السامة والمسبّبة للسرطان، في دخان التبغ البيئي الذي ينفثه المدخنون في كل مكان، في المطاعم والمقاهي والملاعب والمخازن التجارية الكبرى وقاعات المؤتمرات.

ظل أركان صناعة التبغ لسنوات يصرون على أن تلك المواد الكيميائية لا تغزو أجسام الذين لا يتعاطون التدخين



بمقادير تؤثر في صحتهم. لكن الادلّة العلمية الحديثة نقضت ادعاءاتهم.

يتحول نيكوتين دخان التبغ البيئي الذي يتنشقه غير المدخنين الى كوتينين، المادة الكيميائية التي يسهل قياس نسبتها في الدم والبول. وتظهر مثل هذه القياسات أن معظمنا ينشق دخان السجائر، سواء أدركنا ذلك أو لم ندركه. وقد بيّنت دراسة أجريت في بفالو بولاية نيويورك على عينة من ٦٦٣ شخصا غير مدخنين، وجود كوتينين في البول لدى ٩١ في المئة منهم.

ولم يفُتْ ذلك التثّبت العلمي الشركات المصنعة للسجائر. وبعد سنوات من انكار حقيقة أن دخان التبغ البيئي لا يشكل خطرا، عمد صانعو السجائر الى حض المدخنين على سؤال المحيطين بهم، بلطف وكياسة: "هل أسبب لكم ازعاجا اذا دخّنت سيجارة؟"

واستنادا الى أحدث الدراسات، يجدر أن يطرح السؤال على النحو الآتي: "هل تمانعون في أن أنقل اليكم السرطان؟"

اساءة الى الاولاد. ان تفادي دخان السجائر البيئي ليس بالامر السهل كما اعتاد الناس الاعتقاد. فعملية فصل المدخنين عن غير المدخنين لا يمكن أن تنجح، لأن أجهزة التهوئة في المستشفيات والمكاتب والمدارس والمباني العامة قد تحمل جسيمات الدخان الخطر بعيدا عن مصادرها، الى أماكن حيث لا أحد يدخن. وقد أثبت ذلك تحليل الهواء في حجرات المسافرين في الطائرات التجارية. حتى ان مستويات النيكوتين في بعض الاقسام المخصصة بغير المدخنين كانت في الواقع أعلى منها في الاقسام التي يسمح التدخين فيها!

ولئن بدا صعبا على البالغين حماية أنفسهم من دخان التبغ البيئي، فان هذا الامر شبه مستحيل بالنسبة الى الاولاد. فثمة تسعة ملايين ولد أمريكي دون الخامسة من عمرهم يعيشون في منازل تضم مدخنا واحدا على الاقل، حيث يتنشقون دخان التبغ البيئي معظم فترات النهار. ولا قدرة لجهازي المناعة والتنفس غير المكتملين لديهم على اتقاء الغازات الضارّة.

وبحسب وزارة الصحة في الولايات المتحدة، يمضي أطفال المدخنين في عامهم الاول مُددا في المستشفيات لاصابتهم بالالتهاب الشعبي (برونشيت) وذات الرئة (نومونيا) أكثر من أترابهم أطفال غير المدخنين. وهم يصابون أكثر من هؤلاء بالتهاب الرغامى (القصبة الهوائية) والحنجرة والاذن الوسطى وبالسعال المزمن والربو.

ولا تنتهي آثار العلل التي يبتلى بها الأولاد بسبب دخان التبغ البيئي بعد أن يتخطوا مرحلة الطفولة. فبحسب دراسة أجراها دوايت يانريك، أستاذ علم الاوبئة في كلية الطب بجامعة ييل، تبين أن الاولاد الذين يتنشقون دخان التبغ معرضون للاصابة بسرطان الرئة بعد سن الرشد، أكثر بضعفين من أقرانهم الذين

ينشأون في بيئة خالية من الدخان. ويتعاظم الخطر على الولد خصوصا حين يتعاطى التدخين أكثر من شخص واحد في المنزل.

اظهرت دراسة رعاها المجلس البريطاني للأبحاث الطبية عام ١٩٨٧ ان الفتيات اللواتي تراوح أعمارهن بين الحادية عشرة والسادسة عشرة ويعشن في منازل يتعاطى فيها الوالدان التدخين، يتنشقن سنوياً ما يعادل الدخان المنبعث من ١٥٠ سيجارة.

"تكون الانسجة النامية أكثر تأثرا بالمسرطنات من الانسجة المكتملة النمو،" كما يقول الدكتور وليم كاهان المتخصص بسرطان الرئة في مركز "ميموريال سلون - كيترينغ" للسرطان وأستاذ الجراحة الفخري في كلية الطب بجامعة كورنيل. وهو يحذر من أن "الاهل الذين يدخنون في حضور أولادهم يرتكبون جريمة ايذائهم جسدياً."

سم مشروع. انعكس الوعي العام لاخطار دخان التبغ البيئي في أحكام قضائية أخذت أخيراً، اذ ان القضاة في ولايات كاليفورنيا ونيويورك ولويزيانا وماريلاند، لدى اصدارهم أحكاماً تتعلق بالوصاية على الاولاد، أخذوا في الاعتبار الاخطار الناجمة عن التدخين. وتفرض حالياً قيود على التدخين في الاماكن العامة في ٤٥ ولاية وفي مقاطعة كولومبيا (حيث العاصمة واشنطن) وفي أكثر من ٤٨٠ مدينة ومقاطعة. أما الاشتراع الأشمل فكان الحظر الاتحادي اخيرا على التدخين اثناء الرحلات الجوية المحلية التي لا تستغرق أكثر من ست ساعات.

ان الحظر المفروض في الرحلات الجوية هو حدث نادر في ذاته، اذ نجد، في المقابل، أن حظر التدخين مستثنى من نصوص القوانين الاتحادية التي تنظم تعاطي المنتجات الاستهلاكية والمواد السامة والعقاقير. وتنص قوانين الولايات المتحدة على منع انتشار السموم في البيئة، ويعتبر حرق أوراق النبات والنفايات في معظم التجمعات السكنية عملا مخالفاً للقانون، بينما نجد أن القانون، في المجموعات ذاتها، لا يزال يجيز للمدخنين أن يشعلوا سجائرهم الضارة ساعة يشاؤون.

يقول الدكتور رونالد ديفيس مدير مكتب الصحة والتدخين في وزارة الخدمات الصحية والانسانية: "ليس هناك ما يسمّى "حق" التدخين. وأي "حق" مفترض ينتهي حيث يبدأ أنف شخص لا يدخن."

"لوبي" السجائر. تضاعفت الاجراءات الهادفة الى حماية حقوق غير المدخنين بازدياد توافر الادلة العلمية على أخطار دخان التبغ البيئي. فكل بلد في أوروبا يفرض الآن عدداً من القيود على التدخين في الاماكن العامة، وإن تبايَنَ نطاق هذه القيود الى حد كبير. وعززت المجموعة الأوروبية هذه الاجراءات عام ١٩٨٩ باصدار قرار يدعو

الدول الاعضاء الى آخذ اجراءات لمنع التدخين في الاماكن العامة المغلقة، وخصوصا في وسائل النقل، والى توفير أقسام خالية من الدخان حيث لا يزال التدخين مسموحا به.

يحظى مثل هذه الاجراءات بتأييد شعبي قوي، وأظهر استطلاع أجري في دول المجموعة الاوروبية أن ٧٦ في المئة من السكان يؤيدونها. لكن صناعة التبغ، القوة الرئيسية التي تعارض فرض قيود على التدخين، نافذة وغنية.

وتقول الدكتورة آنّا كاراأوغلو نائبة مدير "المكتب الاوروبي للعمل على منع التدخين" ومقره بروكسل: "ان لوبي[٦] منتجي التبغ يعارض بقوة وضع قيود على التدخين، سواء على مستوى المجموعة الاوروبية كلاً او في أي من الدول الاعضاء."

وقد برزت قوة هذا اللوبي في العام ١٩٩٠ على أثر اعلان شركة الخطوط الجوية الالمانية "لوفتهانزا" انها تنوي حظر التدخين في رحلاتها المحلية. ومع أن هذه الرحلات لا تستغرق، عادة، اكثر من ساعة واحدة، فقد كشف بيتر هوبل الناطق باسم "لوفتهانزا" أن "لوبي المدخنين مارس ضغوطا هائلة جعلتنا نخشى حصول مواجهات على متن الطائرات." وكان أن ألغي الحظر المقترح في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٠، علماً أن استطلاعا خاصا أجرته الشركة أظهر أن ٧٩ في المئة من الركاب، المدخنين وغير المدخنين على السواء، أبدوا تأييدهم لهذا الحظر. يقول الدكتور جون روبرتس المدير الاقليمي في اوروبا لبرنامج "التبغ أو الصحة" الذي ترعاه منظمة الصحة العالمية: "ان لوبي منتجي السجائر قوي في ألمانيا، في حين أن لوبي الصحة ضعيف."

ثمة قوانين سارية في البلدان الاوروبية تحظر انتشار المواد الضارة بالصحة في البيئة. ويحظر القانون رمي زيوت المحركات في أي مكان يشوه البيئة، أو افراغ السيانيد في خزان عام أو في مجاري المياه، ولكن لا يزال المدخنون في أوروبا يتمتعون قانونا بحق اشعال السجائر المؤذية كما يشاؤون.

ويحضّ قرار المجموعة الاوروبية الداعي الى حظر التدخين، على أن يتقدم حقُّ غير المدخنين في حماية صحتهم حقَّ المدخنين في التدخين.

تكلموا ولا تخافوا. ماذا تستطيعون أن تفعلوا لحماية أنفسكم وحماية عائلاتكم؟

ريجينا كارلسون المديرة التنفيذية لـ"جماعة محاربة تلوث التدخين" في نيوجرزي، وهي مجموعة عمل تضم ٣٠٠٠ عضو من المواطنين، تبدأ حملتها على دخان التبغ البيئي عند باب منزلها حيث تنتصب لافتة كتبت فيها: "أهلا وسهلا بكم في منزل آخر خال من دخان السجائر!" وتقول موضحة أسباب وضع

---

(٦) اللوبي (lobby) جماعة ضغط تحاول التأثير في أعضاء هيئة اشتراعية وما اليها من الهيئات التقريرية.

اللافتة: "كثيرون من الزوار يبدون اعتراضا على دخان السجائر، ولا أنوي تعريضهم لمزيد من أضرار هذا الدخان."

حين تجد كارلسون نفسها جالسة الى جانب أحد المدخنين، تقول له بتهذيب: "المعذرة، ان دخان السجائر يمرضني." فيبادر المدخن عادة الى اطفاء سيجارته.

وتقول كارلسون: "لهذا السلوك أثر ايجابي، اذ يتشجع غير المدخنين، وقد ادركوا مدى سهولة الامر، فيبادرون هم أنفسهم الى الالتماس في المرة المقبلة."

ان التشجيع ضروري بالتأكيد. ودلت دراسة وضعتها الحكومة الامريكية على أن ثمة أقل من واحد من ٢٥ من غير المدخنين يتحلّى بالشجاعة فيطلب من مدخن عدم التدخين.

وبالنسبة الى المشاكل التي يثيرها وجود مدخنين في مراكز العمل، تقترح كارلسون أن يرفع العاملون غير المدخنين أمرهم الى رب العمل ويشرحوا له أن تنشقهم دخان السجائر الضار يؤدي الى خفض انتاجيتهم. فاذا لم يلقوا استجابة أمكن الواحد منهم الحصول على تقرير طبي يثبت أن دخان السجائر في محيط عمله يهدد صحته. وقد يكون من الأجدى لفت الادارة الى أن العمل في جو نقي خال من الدخان سيؤدي الى زيادة القدرة الانتاجية وخفض تكاليف التأمين والطبابة.

اذا كان أحد الزوجين مدخنا، فليطلعه الآخر على هذه المقالة ويشرح له أنه يرغب، بدافع المحبة، في أن يعيشا طويلا وينعما معا بالصحة وبحياة راغدة هانئة.

واذا أعوزكم الحافز فاستشهدوا بما قالته مارغريت غراي التي عاودها السرطان بعد شفائها منه، للازواج والزوجات المدخنين: "ان التدخين خال من أي إثارة أو إغراء. توقفوا عن التدخين للحال. انكم لا تقتلون أنفسكم فحسب،.. انما دخان سجائركم يقتل الاشخاص الذين تحبون."

د. ديفيد روبن ■



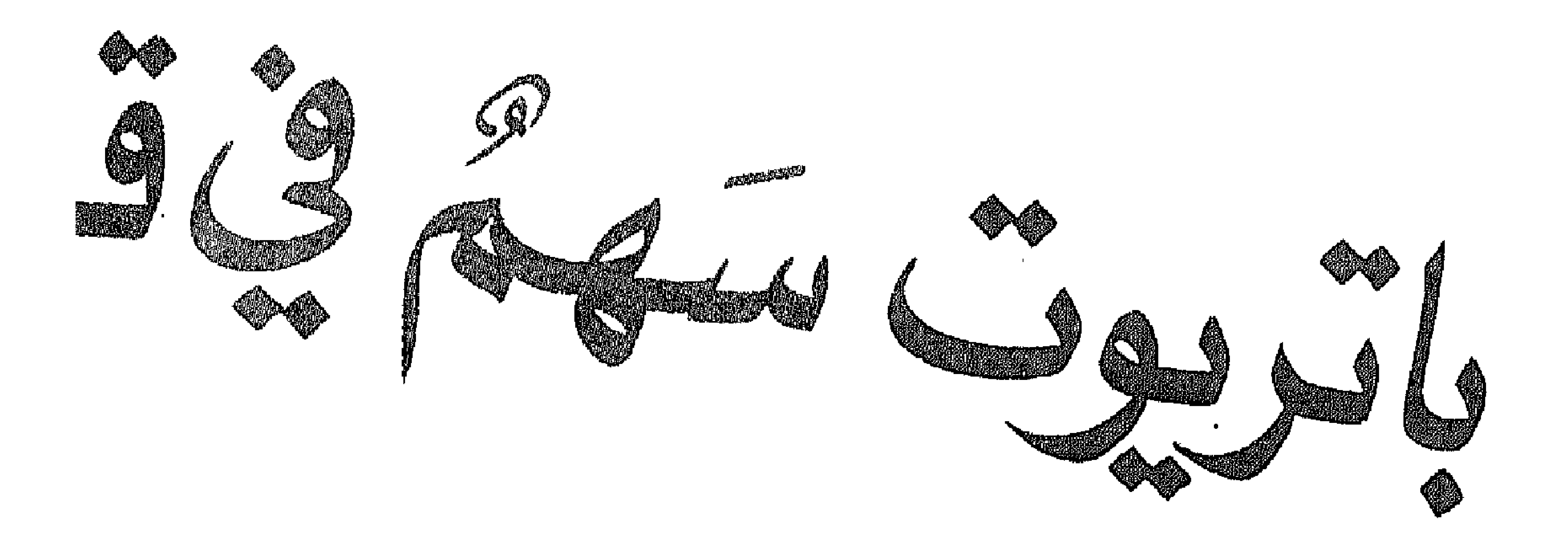
للكلاب فقط

في منتجعي بياريتز وسيت على الشاطىء الفرنسي افتتحت مراحيض حديثة للكلاب اعتُمدت فيها ابتكارات التكنولوجيا المتقدمة.

فبعد تدريب قصير يُلفت انتباه الكلاب الى هذه المراحيض بواسطة أصوات ذات توتر عال. وحين تقترب من المكان ترشّ أداة خاصة عطراً يجتذب الكلاب الى الداخل. ولكل مرحاض سجادة خصوصية، حالما ينزل عنها الكلب تشغّل أداة أوتوماتيكية تعمل بالرادار، فترشّ السجادة وتنظفها.

صحيفة "ديلي اكسبرس"، لندن

في كل حرب تسقط أسلحة وتعلو أسلحة



دغشة صباح ١٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٩١، انطلق صاروخ "سكود" عراقي عالياً فوق الصحراء السعودية مستهدفاً مركز القوات المتحالفة ضد الرئيس العراقي صدام حسين. لقد أثبت صاروخ "سكود" السوفييتي الصنع، خلال الحرب العراقية – الايرانية، انه السلاح العراقي الاكثر إرعاباً للايرانيين. لكن الطاقم الذي أطلق هذا الصاروخ لم يحقق كسباً. فقد رُصد الصاروخ بالضوء الكشاف غير المرئي لرادار أمريكي، وللحال اندفع لملاقاته صاروخ طوله خمسة امتار يدعى "باتريوت."

الواقع انه كلما بات صاروخ "سكود" أقرب واندفاعه أسرع صار تدميره أكثر حتمية. وعلى ارتفاع خمسة كيلومترات عن سطح الارض استقبل الـ "باتريوت" خصمه بكرة نار برتقالية هائلة، وهُزم السلاح المتفوق لصدام حسين.

يتمتع دونالد بانكس الذي يقارب السن السبعين، بحياة تقاعد هادئة مع زوجته في منزل يرتاح عند ضفة بحيرة وينيبيسوكي في ولاية نيو هامشير الامريكية. غير أن تدمير الصاروخ العراقي الأول من طراز "سكود" في سماء السعودية جعل بانكس ينعم بلحظات من الرضا الشخصي العارم، ذلك لان قدرته الابداعية تبقى وحدها وراء الدقة المذهلة لـ "باتريوت" في اعتراض الهدف، وان يكن الصاروخ نتاج مجموعة كبيرة من النظريات الفذة لفرق من المهندسين.

قلة معدودة هي التي كانت تعرف هذه القصة. فلم يسبق لبانكس ان تحدث عن دوره في تطوير صاروخ "باتريوت" لايصاله الى هذه القدرة الرائعة على اعتراض الاهداف، وذلك التزاما منه للقسم الذي يؤديه عندما يعمل على

وس "عاصفة الصّحراء"

مشاريع دفاعية سرية. ومع ذلك فان اسمه مسجل على براءة اختراع مؤرخة ٢٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٣ ومحفوظة في الملفات السرية في واشنطن، وتتعلق بـ"نظام توجيه بسرعة صاروخ يتضمن جهازاً لابطال المدى"[١]، وهذا هو المبدأ العلمي خلف نظام التوجيه الثوري المعروف بـ"اقتفاء الأثر بواسطة صاروخ"[٢] والمستخدم في صاروخ "باتريوت."

خلف المظهر البارد للهيكل الفولاذي لصاروخ "باتريوت" والقرقعة التي يحدثها، كذلك دقته الفنية، يقف أناس مفعمون بالافكار والتفاني والايمان، أمثال دون بانكس.

السمكري. في العام ١٩٢٢ انتقل والدا دون، المهاجران الاسكوتلنديان، من وينيبغ في كندا الى شيكاغو. وكان دون لم يكمل عامه الاول بعد. وهو دأب منذ حداثته على "اصلاح الاشياء." وحوّل الطبقة السفلى لمنزل العائلة مشغلا سرعان ما ضاق بأجهزة راديو وقطع غيار مهملة. وهو صمم، مستعيناً بمعلومات استقاها من مجلات علمية، جهازاً صغيراً لتضخيم الصوت في شكل أنبوب خوائي[٣] لتحسين قدرة الاستقبال في جهاز الراديو القديم الذي تملكه العائلة. ومذذاك لم يفارقه افتتانه بالكهرباء والراديو.

عمل بانكس بعد تخرجه في المدرسة الثانوية في شركة صغيرة تنتج مكبرات صوت خاصة بأجهزة الراديو. ثم التحق بجامعة نورث وسترن في ايفانستون بولاية ايلينوي لدراسة الهندسة الكهربائية. لكن الهجوم الياباني على القاعدة البحرية الامريكية في بيرل هاربور بجزر هاواي في ٧ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤١ والذي عجل دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية، عرقل دراسته. وعندما توقف تدريب الطيارين بسبب تفشي الحمى القرمزية، أوفدته البحرية الامريكية الى معهد مساتشوستس للتكنولوجيا لدرس مبادىء الرادار وآليّته وتقنية اصلاحه. تزوج فتاة من مساتشوستس، وعندما انتهت الحرب أكمل دراسته في نورث وسترن.

قاده بحثه عن عمل في العام ١٩٥٣

(١) Guidance system with missile speed and range — canceling apparatus

(٢) Track — via — missile guidance

(٣) Vacuum — tube amplifier

الى مصنع قديم للنسيج على ضفة نهر في والثام بولاية مساتشوستس، حُوِّل مبناه الى ما عُرف بـ"المختبر الرقم ١٦" مقر أبحاث الانظمة الصاروخية في شركة "ريثيون." ووظف بانكس مهندساً متدرجاً.

انسجم بانكس في جو العمل، وأحس من فوره أنه بين أهله مع نظراء يشاركونه في فضوله الذي لا يشبع وافتتانه بحل المشكلات المستعصية. وهو تقاسم وزملاءه المهندسين العمل واللهو، يخربشون معادلات على ألواح خشب او على مناديل ورقية، وفي نهاية كل يوم يتداولون افتراضاتهم العلمية بلا قيود.

أسئلة حرجة. بزغ فجر الحرب الباردة مع الاتحاد السوفييتي وعصر الصواريخ الموجهة. وأجرى الجيش الامريكي في الصحاري الغربية تجارب على صواريخ «V2» الالمانية التي أمطرت مدينتي لندن وأنفير رعباً ودماراً في الاشهر الاخيرة للحرب العالمية الثانية. وتبادر السؤال: هل يمكن بناء نظام دفاعي ضد مثل هذه الاسلحة؟ وكانت وزارة الدفاع الامريكية (البنتاغون) توزع عقوداً على الشركات في محاولة لايجاد الجواب.

وسرعان ما ألفى بانكس نفسه، مثل ألوف المهندسين الشباب في امريكا، غارقاً في لعبة شطرنج تقنية سرية وخطيرة. وبدأت أجواء التفكير الجامعي المتحرر بقسم الابحاث الصاروخية في "ريثيون" اعطاء مردودات غنية: في نهاية العام ١٩٥٦ طورت الشركة صاروخاً مضاداً للطائرات. وفي العام ١٩٥٩ أذهل فنيو "ريثيون" في وايت ساندز بولاية نيومكسيكو، الجيش باطلاق نموذج عادي من صاروخ "هوك" سجل اصابة مباشرة في صاروخ تكتيكي ذاتي الدفع[٤] في اثناء طيرانه. (لا يزال صاروخ "هوك"، بنماذجه الخاضعة لتحسينات مستمرة، العمود الفقري لانظمة الدفاع الجوي في كثير من البلدان.)

لكن تفكير بانكس كان منصباً على الدبابات – ألوف الدبابات السوفييتية. كان الجيش يرغب في تحديد مواقعها و"قتلها" من مسافات بعيدة في كل الاحوال الجوية، وفي الظلام او من خلف لبد دخان المعارك. وكرَّس بانكس وقته لفكرة تطوير صاروخ مضاد للدبابات موجه بواسطة الرادار، وهو تصوَّر امكان تركيز رادارات في مواقع بعيدة تتولى توجيه صواريخ ضد الدبابات، وذلك قبل وقت طويل من شيوع تعبير "ميدان المعركة الالكتروني."[٥]

كان بانكس يدرك صعوبة اكتشاف الرادار عربة مدرعة معينة وسط غابة من الاجسام المتحركة على أرض المعركة. لكن نواة نظرية تشكلت في ذهنه اذ راح يتوسل السؤال العظيم الذي لا يني يطرح نفسه مبدأً للمبتكر: ماذا يحصل اذا...؟ لعلَّه ليس ضرورياً أن ترتد موجات الراديو الى هوائي الرادار؟ ماذا يحصل اذا ارتد

(٤) Tactical ballistic missile
(٥) Electronic battlefield

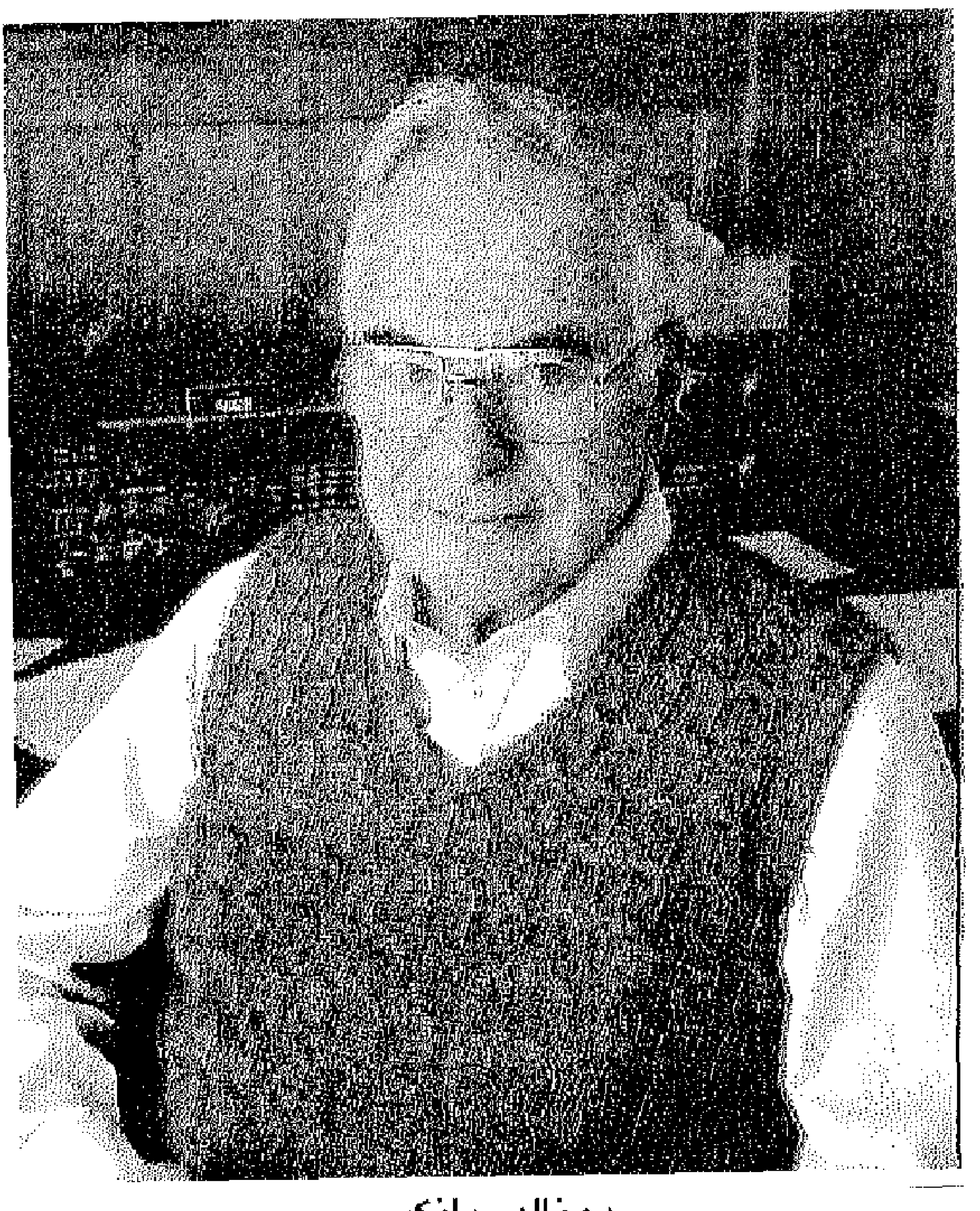
بعض هذه الموجات الى جهاز استقبال في مقدم الصاروخ نفسه، ثم أرسل ثانية الى الهوائي الارض؟ في هذه الحال سيندفع الصاروخ نحو الدبابة، وكلما اقترب منها اكثر صارت الاشارة أقوى، متيحة "صورة" أوضح للهدف. وفي النهاية تتجمع لدى الصاروخ كمية هائلة من المعلومات الدقيقة تمكنه من اعتراض الهدف بنفسه - نظرياً على الاقل.

عمد بانكس الى تجميع جهاز رادار وبعض معدات توجيه وثبتها داخل طائرة مقاتلة من طراز "دوغلاس F3D" قامت مقام صاروخ موجه يلاحق دبابة متحركة رصدها رادار ارضي. وعمل فريق بانكس على تحسين النظام الجديد وتنقيته حتى اصبح قادرا على التقاط الهدف واقتفائه.

تقدم بانكس بطلب تسجيل براءة اختراعه هذا، واصبح الجهاز جزءا من "جعبة الخدع" السرية لدى "ريثيون" في انتظار الموعد المناسب لاستخدامه.

الطبق الرئيسي. كان الجيش الامريكي مهتما بتطوير نظام دفاع جوي متحرك يحمل الى ارض المعركة راداراته وأجهزة الكمبيوتر ومولدات الطاقة ومنصات اطلاق الصواريخ الخاصة به. وسمي هذا النظام "سام - د."[٦]

أنفقت "ريثيون"، في ادارة مهندس لامع يدعى فلويد ويمبرلي، جزءا كبيرا من موازنتها على تصميم نظام كهذا يتضمن جهاز رادار يتولى عملية "التنظيم الممرحل" وصاروخا قادرا على بلوغ



دونالد بانكس

سرعة الصوت فور انطلاقه. ولفت ويمبرلي أمر أخر أثناء بحثه في محفوظات الشركة: نظام التوجيه الذي صمّمه بانكس.

"ما لنا وللدبابات!" أدرك ويمبرلي سريعا القدرة الكامنة للنظام في مجال اعتراض الطائرات، لانه يتناول صاروخا أخف وأقل كلفة ويتمتع باستجابة أسرع للخطر، كما يمكن اجراء الحسابات النهائية لعملية الاعتراض داخل الصاروخ الذي يتلقى معلومات رادارية من الهدف تزداد تفصيلا مع اقترابه منه. أما التحفة الرئيسية فهي أن نظام بانكس

---

(٦) SAM-D من الاحرف الاولى في عبارة Surface-to-air missile-development التي تعني "تطوير صاروخ ارض جو"

للتوجيه يتسلَّم، في الثواني العشر الاخيرة، مسؤولية اعتراض الهدف.

قرر ويمبرلي اعتماد فكرة "التوجيه عبر صاروخ" في مشروع "ريثيون" لتطوير نظام "سام - د."

وعندما حان الوقت لتختار المؤسسة العسكرية بين العروض المقترحة، فازت "ريثيون" بالمشروع على اثنتين من كبرى الشركات تعملان في حقل الانظمة الدفاعية: مؤسسة "هيوز" وشركة «RCA». لكن موظفين كباراً ومسؤولين في البنتاغون تدخلوا وأعاقوا المشروع لانهم استغربوا النظام المطروح، وخصوصاً آلية التوجيه عبر صاروخ "المعرضة لاعطال محتملة" وكان من نتيجة الجدل العقيم داخل بيروقراطية وزارة الدفاع أن أخضع مشروع "سام - د" لعملية "تطوير متقدم" استغرقت ست سنوات.

أخذ الكونغرس على "سام - د" انه برنامج عالي الكلفة وعديم الفائدة في النتيجة. وفي تقرير استند اليه السناتور جورج مكغفرن خلال جلسة مناقشة في العام ١٩٧٣، وصف الصاروخ "سام - د" بأنه "نظام معقد ذو فائدة هامشية." وقاد السناتور بيرش بايه حملة لسحب مخصصات تمويل المشروع. ثم أتت الضربة القاصمة في العام ١٩٧٤ عندما أمر وزير الدفاع جايمس شليزنغر بخفض نفقات المشروع وطلب اخضاع النظام الصاروخي لاختبارات صارمة وفي ظروف متغيرة.

فبات مصير الصاروخ "سام - د" رهناً بالقدرة العملية لاختراع بانكس.

اجريت التجارب في وايت ساندز تحت شمس الصحراء اللاذعة، في فصلي الربيع والصيف عام ١٩٧٥. ولبى صاروخ "ريثيون" كل متطلبات وزارة الدفاع بعدما نجح في تسجيل ست اصابات مباشرة متتالية بينها واحدة رائعة اسقط فيها طائرة من دون طيار حاولت الانحراف بحدة في مناورة للافلات. وأبلغ مسؤولون في البنتاغون الى مجلة "أفييشن ويك أند سبايس تكنولوجي" ان هذا هو "النظام الصاروخي المضاد للطائرات الانجح يُختبر اطلاقاً." وهكذا ثبتت فاعلية آلية التوجيه عبر صاروخ (وبقية اجهزة النظام) على نحو لا يقبل الشك. وفي أغسطس (آب) ١٩٧٦ عاد العمل ناشطاً في تطوير "سام - د" الذي عدِّلت تسميته فبات يدعى "باتريوت."

نقّاد مشككون. لم تنته مصاعب البرنامج. ففي عهد الرئيس جيمي كارتر حددت كمية الانتاج، كما أبطأت البرنامج أخطاء في تصنيع أجزاء الصاروخ. ولكن بحلول العام ١٩٨٥ باتت بطاريات صواريخ "باتريوت" التي نصبت في أوروبا قوية وصلبة وسهلة الاستخدام... وأهلاً للثقة.

وفي العام ١٩٨٥ تسلَّم العقيد لاري ر. كابس (هو الآن برتبة عميد ويشغل منصب مساعد قائد سلاح الصواريخ في

الجيش الامريكي) ادارة برنامج "باتريوت." وهو كان شديد الثقة بالقدرات الكامنة للنظام فلم يتأخر في الالحاح على رفع هذه القدرات لاستخدامها في الدفاع ضد الطائرات والصواريخ التكتيكية الذاتية الدفع أيضاً. وتم ذلك على مرحلتين – دعيتا "باك ١" و"باك ٢"[٧] – عُدِّل خلالهما برنامج الكمبيوتر وصاعق التفجير والرأس الحربي. و"لكن..." كما يعتقد ويمبرلي، "الباتريوت هو أساساً كما تخيلناه للمرة الاولى."

ومع ذلك، ظل "باتريوت" عرضة للانتقادات داخل الكونغرس بحجة ارتفاع كلفته والشك في طبيعته التي لم تجرب بعد. وحاول الديموقراطيون في لجنة القوات المسلحة داخل مجلس الشيوخ خفض موازنة البرنامج غير مرة. وفي العام ١٩٨٧ ألغى مجلس النواب الامريكي المخصصات الملحوظة لرفع قدرة "الباتريوت" على اعتراض الصواريخ المهاجمة. وفي العام ١٩٨٨ خفضت مخصصاته الى خمسة ملايين دولار، من أصل ٢٩،٥ مليوناً، ولم ينقذ البرنامج الا اصرار مجلس الشيوخ على دعمه.

وفي سبتمبر (أيلول) ١٩٩٠ نشرت بطاريات من "باتريوت" معدَّلة في أنحاء المملكة العربية السعودية للدفاع عن القواعد الجوية ومنشآت أخرى. ولكن، قبيل بدء القوات الحليفة قصف بغداد، صرَّح نائب وزير الدفاع الامريكي لشؤون المشتريات روبرت كاستيلو، لصحيفة "لوس انجلس تايمز": "سيتبين لنا أن التفوق التقني الساحق ليس كذلك، أي كما يفترض أن يكون." ورأى كوستا تسيبس الخبير بشؤون الدفاع في معهد مساتشوستس للتكنولوجيا: "أعتقد أننا سنتلقى مفاجآت غير سارة. فأسلحتنا شديدة التعقيد تقنياً، وستتعطل تكراراً في بيئة صحراوية قاسية."

كرة نار. "انذار! انذار! ضعوا الاقنعة الواقية من الغازات!" تردد هذا النداء عبر المخابىء المموّهة لكتيبة المدفعية الثانية (باتريوت) في الفوج السابع للدفاع الجوي في المملكة العربية السعودية. ولاحظ ملازمان ورقيب يتابعون شاشات الرادار في عربة مراقبة صغيرة، النقطة المتحركة بسرعة، وكان نظامهم جاهزاً، فانطلق صاروخ "باتريوت" من منصته محدثاً ارتجاجات وصوتاً هادراً.

وعلى سطح مبنى مجاور، شاهد فريق تلفزيوني من شبكة «ABC» الامريكية ما حدث بعد ذلك: اندفع "الباتريوت" كرة نارية الى السماء اخترقت جدار الصوت يرافقها دوي هائل وفجرت صاروخ "سكود" الآتي. للمرة الاولى في تاريخ الحروب يُعترض صاروخ ذاتي الدفع. وشاهد ملايين من سكان الارض الحدث مباشرة على شاشات التلفزة.

لم يكن دون بانكس بينهم، اذ كان يتمشى قرب منزله في نيو هامشير. الا

(٧) PAC 1 and PAC 2

أنه شاهد لاحقا شريطا متلفزا عن الحدث عرض في النشرة المسائية للاخبار. لم يتبادر الى ذهنه في تلك اللحظات جهد ٣٣ سنة عملا مع "ريثيون"، ولا ارثه السري من براءات الاختراع لأنظمة أسلحة مختلفة، بل فكر في مئات العلماء والمهندسين الذين ساهموا في انتاج "الباتريوت"، وفي المخططين العسكريين الذين وثقوا بقدراته وألوف العمال الذين جمّعوا عناصر لا تحصى من الاجهزة الالكترونية والمعدنية وأختبروها. قال في نفسه: "يا الهي! سيسعد هذا الحدث كثيرين!"

رالف كيني بينيت ■



صوت صغير

من دواعي البهجة في نفس المرء ان يرى كلماته مطبوعة، وان يروّجها ليقراها كل الناس، وان يعلم ان بعضا منهم يقراونها الآن فعلاً بملء ارادتهم. فهذا لمما يثلج الصدر.

غير اني ادركت ان العالم لم يصبح أكثر مسالمة، على رغم نصائحي الكثيرة المفيدة فالحماقة غزيرة وسائدة، واللاكفاية رائجة، والاستقامة سقيمة، واللصوص كثر، والسلطة تفسد. وعظامي تئن في الصباح.

ومع ذلك فما زال الفضاء يشهد امورا رائعة: اشكالا وألوانا وتحرّكات وتشكيلات غيوم ولوحات شمس شارقة وغاربة فيها من الروعة ما يحضّني على انهاء كل يوم واقفاً على سطح البيت مصفقا وطالب المزيد. وعلى السطح ساصفق لأشكال الارض ايضا. البساتين الخضراء المنتشرة بتناسق بين الحقول السمر والسود، والهضاب المقفرة الطالعة من المنحدرات، والجدول الطويل المتلوي في قعر الوادي.

انني استوعب بعضا مما اشاهد، ثم انسى واتعلم من جديد.

واتعلم كذلك ان الموت هو قوام الحياة، وكم يُسرع العمر في رحلته بين الشباب والكهولة، وكم هي قصيرة هنيهة الابد.

حزين هو الوقوف فوق تلة ومشاهدة الانوار تنطفىء نوراً بعد نور. وكئيب ان تعرف ان الورقة بدات تصفرّ قبل ان يصل اليراع الى اسفل الصفحة، ولا وقت كافيا لانهاء كل شيء: الاعمال اليومية، تربية الاولاد، الجلوس في الشرفة لمراقبة الطيور المارقة في دغشة الغسق، الاهداف الكبرى!

لكنّ ثمة امرا مطمئنا حين ندرك ان الموت يعلمنا اننا لسنا معنيين بانقاذ العالم وحدنا، وبمنع الشمس من الهُويّ والكرة الارضية من التوقف عن الدوران.

ما نحن معنيون بفعله - وهذا رجائي - هو ان نملأ، موقتا، شقّا صغيراً ضيّقاً، ان نطلق ضوءاً صغيراً لبرهة قصيرة ثم نستريح.

انا مرتاح الى ذلك، الى مفهوم كوني صوتا صغيراً يلغو بلا تردد على حافة مرج في كوكب صغير، واحداً من اصوات كثيرة. ليس الأحكم ولا الأفضل، لكنه صوتي أنا.

جيروم لامب، صحافي امريكي



روائية تدل ولديها على طريق الحب الحقيقي

أنا كاتبة روايات عاطفية. بطلاتي جميلات وأبطالي مموهون بلمسة اسطورية وحبكاتي أضخم من الحقيقة.

يعتبرني بعض القراء خبيرة في شؤون الحب، لكن ابني وابنتي لا يطلبان مشورتي. وعندما أحاول نصحهما يقلبان أعينهما. فأنا بالنسبة اليهما أم رجعية وامرأة عادية لا تفهم نزعات عصرهما.

منذ بلوغهما سن المراهقة، يقضّ مضجعي بحثهما الشاق عن "الشخص المناسب." ثمة كثير من الامور أتمناها لهما، لكنني عاجزة عن توفيرها. أحياناً أتصورهما يطرحان علي هذا السؤال: "ماما، كيف أعثر على الحب الحقيقي؟" وهذا ما كنت لأقوله لهما:

❤ اعرفا ان الحب حالة ذهنية وعاطفية.

الحب لا يرتكز على الجمال والقوة الجسدية والخلفيات الرومانسية التي استعملها في رواياتي. قد يبدأ الحب بالافتتان، الا أنه لا يلبث أن يتحول من الانجذاب الجسدي الى أعمق الروابط التي تشد شخصين.

للحب عندي معنى محدد. لنتكلم عن روبرت، والدكما وزوجي منذ ٢٣ عاماً. بالنسبة اليكما، علاقتنا الزوجية عادية جداً. أما بالنسبة الي فهي جوهر حياتي. انها علاقة لا تعدو الروايات العاطفية ان تكون مقدمة لها.

والدكما لا يقيم لي سهرات عشاء ولا يحيي لي أشهر عسل جديدة ولا يأتيني بالزهور، الا أنه يحرص على أن تكون سيارتي سليمة ومليئة بالوقود كي لا تخذلني. ينظف السجاد قبل زيارة جدتكما، ليس لأن الامر يهمه بل لعلمه أن الامر يهمني. ومع أنه لا يحب الحيوانات الاليفة فقد دفن هرتي عندما نفقت وتحمّلني وأنا أبكيها ثم شجعني على اقتناء هرة صغيرة. تذكرا أن الحب

الحقيقي، الطويل الامد، يأتي متخفيا بمهارة بحيث يسهل اغفاله.

❤❤ لا تقبلا بأقل من الالتزام الكامل.

شاهدت رجالا ونساء يعيشون "علاقة زوجية اختبارية." وهذا يشبه المنطق الذي يقول: "أقضم برتقالة لتكتشف ان كنت تشتهي تفاحة."

أعرف رجلا قضم برتقالة تلو أخرى لسنوات مدعيا أن النساء منهمكات في شؤونهن الذاتية ولا يستطعن التزام علاقة. لكنه فهم الامر معكوسا، اذ لا يمكن أحدا أن يستكشف أعماق قلب المرأة لمجرد الاختبار. الشريك هو العمود الذي نتكىء عليه والشخص الذي يظل يحبنا على رغم كل أخطائنا. والطريقة الوحيدة للحصول على شريك كهذا هي تنفيذ قفزة الثقة الرهيبة وتحولنا، نحن أيضا، ذلك النوع من الشريك.

❤❤❤ تحدثا في كل أمر الا الطلاق.

لم أكن محدثة لبقة حين التقيت والدكما. في طفولتي تعلمت أن من الافضل لي أن أبقى صامتة في حضور والدي القاسي الذي كان يحوِّل أي عبارة سلاحا فتاكا. لكن روبرت رفض أن يتقبل صمتي. وكانت تلك ايماءة أولى لحبه القوي.

اكتشفنا أن ثمة موضوعا واحدا ينبغي حظره في الاحاديث الزوجية، الا وهو الطلاق، إذ ان مجرد ذكره يضعه في حيز الممكن.

أنا ووالدكما تعلمنا هذا الدرس بطريقة صعبة. فخلال فترة عصيبة قبل سنوات وجدتني أقولها ببساطة: "ربما يجدر بنا أن نطلق." فرد روبرت: "نعم، ربما."

كيف توصَّلنا الى تلك النقطة؟ بمجرد الاتيان على ذكر تلك الكلمة في ساعات الغضب وبتمريرها هامشيا أثناء المناقشات.

يوم واجهنا خيار الطلاق لم نكن في حالة غضب عارم بل كنا سمحنا للطلاق تدريجا بأن يصبح خيارا حقيقيا في تفكيرنا. حينئذ تعاهدنا على ألا نأتي على ذكر تلك الكلمة في ما يخصنا. ولم ننقض هذه المعاهدة منذ ١٧ عاما.

❤❤❤❤ تمنيا الافضل لشريكيكما.

العلاقة الزوجية ليست تكبيلا للزوجين. فأحد أروع أمور الحب أنه يربط من دون أن يشلّ. تذكرا أن أصدقاءكما واهتماماتكما ونشاطاتكما لن تكون متطابقة تماما مع تلك التي تخص زوجيكما.

حين عاد والدكما الى الجامعة لتحصيل شهادة في التعليم كان ذلك يعني العودة الى البداية. لكنني أردته أن يتمم ما أراد. وحين قررت ترك الاسعاف الطبي لاصبح كاتبة شجعني.

محبتنا لشخص ما لا تعني أن أهدافنا

دائماً متطابقة. لكننا عندما نريد شيئاً فان الشريك يريده أيضاً من أجلنا.

♥♥♥♥♥ لا تفقدا أعصابكما معاً.

نادراً ما تكون الحياة طريقاً سهلا من التعاون. عندما يغضب المرء وينتاب القلق شريكه، قد يصبح أحد الزوجين بغيضاً. ولكن لا يحق للشريكين أن يفقدا أعصابهما في آن. على أحدهما أن يتصرف بنضج.

كونا حذرين، فأحياناً تستمر نوبات الغضب مدة طويلة، ربما أياماً أو أسابيع أو أشهراً.

انتابتني احدى نوبات الجنون هذه في السبعينات عندما بدأت قراءة كتب ومقالات حول "العودة الى الارض." فأخذت أطلق نظريات مشوشة عن جمال الطبيعة مقارنة ببشاعة المدنية الحديثة، الى أن وافق والدكما على الانتقال بنا للسكن في مزرعة صغيرة.

اشتريت مئة صوص وخروفين وبذوراً للحديقة، وشرعت أتعلم بعض الحقائق كالعلاقة بين السماد والذباب وبين الري والاعشاب وبين تربية الحيوانات واعدادها للذبح. وعندما اقترحت العودة الى المدينة هز والدكما رأسه بارتياح.

اننا نضحك على ذلك الآن، مع أن ثمة احداثاً أخرى لم يستطع، حتى الزمان، جعلها مضحكة.

كلما شعرتما بأنكما الضحية تذكرا أن دوركما آت. لذا تعلما باكراً أهم عبارتين في الزواج: "آسف" و"انني أسامحك."

تغضب احدى صديقاتنا اذا نسي زوجها ذكرى زواجهما أو ذكرى لقائهما الاول، فيسترضيها بدعوتها الى عشاء فاخر كل بضعة أسابيع. وفي ما عدا ذلك يقضي معها أقل وقت ممكن. لقد انجرا وراء المظهر السطحي للرومانسية، مخدوعين بخرافات عصر الاعلانات.

أما الجوهر فيتعلق بالحب. وهو ليس دائماً غامراً أو سهلا. الحب يساعدنا في دخول الحمام عندما نصاب بغثيان. الحب يوافقنا أو يخالفنا في أمور خطيرة، كحمل السلاح. وعندما نخرج من الباب غاضبين، يلحق بنا الحب صارخا: "لا تستطيع الهروب مني! انني أحبك، وسأتبعك أينما ذهبت."

وهكذا، في ساعات أرقي الليلي، أتمنى لكما يا ولديّ تلك اللحظة حين ترفعان نظركما فتريان شخصاً يراقبكما كأنكما شمعة مضيئة، كأنكما النور الوحيد في عالم من الظلام.

نادين كرنشو ■

هواية واحتراف

قال الممثل الايطالي أوغو تونيازي في مهنته: "حين بدأت التمثيل قيل لي إني أجيد الأداء لاني لا أبدو كالهواة. وحين أصبحت محترفاً كتب النقّاد أن أدائي حسن لاني أعطي انطباعاً بأني ما زلت هاوياً."



قصة من واقع الحياة

الرحلة ٥٣٩٠ طار القبطان

بدأت الرحلة سلسة هادئة. وما هي الا دقائق حتى تحولت كابوساً رهيباً

ILLUSTRATION: PAUL JENNIS

كان الطقس في أتم صفائه في الثامنة والثلث صباح ١٠ يونيو (حزيران) ١٩٩٠ حين أقلعت طائرة الخطوط الجوية البريطانية في رحلتها الرقم ٥٣٩٠ من برمنغهام الى ملقة في اسبانيا. وكان على متنها ٨٢ راكبا معظمهم مسافرون لقضاء اجازاتهم. وعلت الابتسامات الوجوه حين أعلن القبطان تيم لانكستر "الطقس في ملقة حار جدا. استريحوا واستمتعوا بالرحلة."

وباشرت المضيفات تقديم طعام الفطور الى الركاب. أما لانكستر (٤١ عاما) القبطان المرح المحنك الذي لديه سجل بـ١١ الف ساعة طيرانا، فجلس في قمرة القيادة والى يمينه معاونه الاستير أتشيسون (٣٩ عاما) الذي يرافقه للمرة الاولى. وركز أتشيسون انتباهه على

الارشادات الصادرة عن برج المراقبة الذي كان يوجهه عبر جو لندن المزدحم بالطائرات.

وعلى ارتفاع ٥٢٠٠ متر، لدى انعتاق الطائرة من كثافة الطيران بعد ١٢ دقيقة من اقلاعها، استطاع الطياران الاسترخاء، ففك لانكستر حزام كتفيه وأرخى حزام مقعده وأشار الى بلدة أبينغدون التي كان يطير فوقها، قائلا لمعاونه: "هناك منزلي."

وما هي الا ثوان حتى سُمع انفجار عنيف. واختفى حاجب الريح الايسر أمام لانكستر، فاندفع الهواء المضغوط من داخل الطائرة و"شفطه" جزئيا الى الخارج عبر هيكل الحاجب، فالتصق على الهيكل الخارجي بفعل الهواء العاصف المنزلق على الطائرة بسرعة ٥٠٠ كيلومتر في الساعة.

وانخلع باب قمرة القيادة وضرب كتف أتشيسون ثم سقط محطما على خزانة الراديو والصمامات الخانقة، وتعطل الربان الآلي بضربة من ساق لانكستر، فترنحت الطائرة النفاثة مندفعة نزولا.

وكان المضيف نايجل أوغدن واقفاً في المطبخ الامامي خلف باب القمرة، فاذا به يسمع صوتا كقصف الرعد. فالتفت وشاهد لانكستر ينزلق خارج الحاجب المحطم. فوثب فوق خزانة الراديو ووقف على مقعد القبطان وأمسك لانكستر محاولا شدّه الى الداخل.

ولشدة الضغط أحس أوغدن أن كتفيه كادتا تنخلعان وأنه يكاد يلحق بالقبطان، فصاح مستنجداً: "بربكم، ساعدوني!" لكن الهواء الصاخب خطف صوته، وكان أتشيسون منهمكاً في ضبط مسار الطائرة.

"هذه هي النهاية." في حجرة المسافرين المذهولين امتلأ الهواء للحظات بسديم أبيض نتيجة تكثّف بخار الماء بفعل امتزاج الهواء الخارجي البارد بهواء الحجرة الدافىء. وارتجت الطائرة وكادت تسقط. فقالت الراكبة ستيفاني جنكنز في نفسها: "يا الهي، انها قنبلة!" وكانت مسافرة لزيارة والدتها في ملقة. أما مايكل لورنس، وهو طيار سابق في سلاح الجو البريطاني، فعرف للحال أن ثمة انخفاضا في الضغط، فشد حزام مقعده حتى كاد يؤلمه.

وكان رئيس المضيفين جون هيوارد (٣٧ عاما) في الصف الخامس يسكب الشاي لاحد الركاب، فهرع الى قمرة القيادة حيث وجد أتشيسون يحاول الامساك بالصمامات الخانقة المغطاة بالباب المحطم. فرمى هيوارد ألواح الباب المكسَّر في الممشى، ثم ثبت نفسه وأمسك حزام أوغدن بيد وسروال لانكستر باليد الاخرى.

أدرك أتشيسون المأزق الذي هو فيه. فالطائرة «BAC 111» لم تكن مزودة كمامات للركاب تمدهم بالاوكسيجين في حال انخفاض مستواه. فرأى أن السبيل الاسلم هو الهبوط سريعا الى علو ٣٠٠٠ متر حيث تنتفي الحاجة الى كمامات

الاوكسيجين. كما رأى الخطر الداهم الذي يهدد القبطان، فقد أوشك الضغط الهائل أن يقذفه خارجاً، ثم انه قد يتجمد حتى الموت من جراء البرودة الخارجية الجليدية المتدنية الى ٢٢ درجة مئوية تحت الصفر.

خلال هبوط الطائرة بسرعة ٦٠٠ كيلومتر في الساعة، أدرك أتشيسون المعاناة التي يقاسيها لانكستر. فأرسل اشارات استغاثة ملحّة: "النجدة! النجدة! هنا الرحلة ٥٣٩٠. نواجه انخفاضاً في الضغط بسبب انفجار."

أما الركاب فلم يتملكهم الذعر فيما اندفعت الطائرة النفاثة نزولا بسرعة هائلة، اذ لفّتهم الصدمة بالصمت. وفكرت ستيفاني جنكنز: "هذه هي النهاية. لم أكتب وصيتي، ولن أرى غوردون والاولاد." أما مايكل لورنس فشعر بارتياح لدى رؤيته الكوابح الهوائية تنزلق من الجناح. فمال الى جاره مطمئناً: "كل شيء على ما يرام. لا تقلق."

خيار مريع. على علو ٣٠٠٠ متر كبح أتشيسون هبوط الطائرة، فاستوت في مسارها، وأبطأ سرعتها الى الحد الادنى للسلامة أملا مساعدة أوغدن وهيوارد في سحب لانكستر الى الداخل. ولكن على رغم جهودهم اليائسة وخفض سرعة الطائرة الى ما يقارب التوقف – ١٧٠ كيلومتراً في الساعة – فقد أخفقوا في زحزحة القبطان قيد أنملة. وبقي جسمه ملتصقاً بالهيكل الخارجي بفعل الضغط الهائل. وكانت يداه تضربان الهواء كأنهما يدا لعبة قماش. فقال أتشيسون في نفسه: "لا بد أن لانكستر مات." واذ التفت رأى عيون المضيفين متسائلة، فصاح بصوت علا ولولة الريح الصاخبة: "لقد مات."

ثم انضم سيمون روجرز الى أوغدن وهيوارد، وهو مضيف شاب في التاسعة والعشرين قوي البنية وأصغر أفراد الطاقم سناً. وحاول الثلاثة معاً انقاذ لانكستر فأخفقوا.

لكنهم نجحوا في رفع ساقه اليمنى مخففين الضغط عن جهاز القيادة الأيسر، مما أراح أتشيسون من احدى مشاكله. لكن الساق اليسرى بقيت عالقة، وواجه أفراد الطاقم احتمالا مريعاً: هل يضطرون الى دفع لانكستر خارجاً لكي يتمكنوا من تحرير أجهزة الضبط؟ حسم أتشيسون الموقف هازاً رأسه نهياً: "اصمدوا ما أمكنكم الصمود."

الى هنا كان أوغدن بلغ شفير اليأس. فقد انقطع أحد الاعصاب في ساعده اليمنى بفعل حركة الجذب والدفع، كالمنشار، على هيكل حاجب الريح. ومثل سائر أفراد الطاقم، كان يرتدي قميصا قصير الكمّين، فسرى الخدر في ساعديه العاريتين بفعل الريح الجليدية التي جعلت التنفس صعباً. وخاطب نفسه: "لا يسعك التخلي عن تيم يا رجل. فكر فيه وفي عائلته." لكن ساعديه فقدتا كل احساس، فصاح في الآخرين: "لا يمكنني تحمّل المزيد!"

شدد هيوارد وروجرز قبضتيهما على ساقي لانكستر فيما أرخى أوغدن قبضته وانهار على مقعد في المطبخ الصغير. واذا بالمضيفة سوزان برنس (٣٢ عاماً) تنضم اليه، فأخبرها بهدوء: "نعتقد أن القبطان مات. ولكن هيا يا عزيزتي، لدينا عمل كثير"

غالبت برنس دموعها، ودخلت وزميلها حجرة الركاب الذين بدوا يائسين من النجاة على رغم أمارات الطمأنينة المرتسمة على وجوههم.

في قمرة القيادة ربط روجرز نفسه الى مقعد ثانوي متحرك خلف مقعد الربان، وانحنى فتمكن من الامساك برسغ لانكستر وتحرير ساقه اليمنى من أجهزة القيادة. وعلى الأثر شعر بجسم القبطان ينزلق ١٥ سنتيمترا اضافية الى الخارج، فتملكه الرعب اذ أصبح بدن القبطان بكامله خارج الطائرة. وبعد لحظات انعطفت الطائرة يسرة، فانزلق جسم لانكستر نزولا الى النافذة الجانبية. وللمرة الاولى شاهد روجرز وجه القبطان. ويا لهول ذلك المشهد!

كان وجهه مخططاً بالدم، وعيناه جاحظتين مخضّبتين بالسواد بفعل الرضوض، ولسانه ناتئا، وخدّاه يتموجان في مجرى الهواء العاصف. شعر روجرز بالغثيان فأشاح بوجهه.

النزع الاخير؟ في الثامنة والدقيقة الثانية والاربعين، بعد تسع دقائق من هبوط الضغط، أبلغ كريس روندل مدير المراقبة في مطار سوثمبتون، ان طائرة تابعة للخطوط الجوية البريطانية تعاني مشكلة ضغط، وهي حوّلت مسارها الى مطار سوثمبتون. فأعلن روندل حال طوارىء مستنفراً الشرطة وسيارات الاسعاف وسرية الاطفاء.

بعد دقيقتين سمع أتشيسون على اللاسلكي: "سوثمبتون، هنا الرحلة ٥٣٩٠، أرشدونا."

فأفاده روندل بالارتفاع والخط الذي يتعين عليه اتباعه، وسأله: "هل الضغط مشكلتكم الوحيدة؟"

أجاب: "كلا، فنافذة قمرة القيادة طارت وجسم القبطان مشدود الى الخارج، وأعتقد أنه ميت."

وفيما أتشيسون يتأهب للهبوط بالطائرة منفرداً في مطار غريب، توجه الى الركاب مطمئناً: "سيداتي، سادتي، هنا معاون القبطان، أرجوكم التقيد بكل التعليمات الصادرة عن طاقم الطائرة."

طلب من الطيار الحربي السابق مايكل لورنس التقدم والتمركز في مخرج الطوارىء الرئيسي. فهاله أن يرى جسم القبطان يلتمع كأنه مكسو بالجليد، وفكر: "ماذا لو أرخى المضيف قبضته؟ قد يطير جسم القبطان الى المحرك الايسر ويعطله."

بدأت المضيفة برنس هي وأوغدن وهيوارد تهيئة الركاب لهبوط طارىء. فراحوا يشرحون لهم طريقة التأهب: "الرأس بين الركبتين، والساعدان منثنيتان فوقه."

لكن راكباً ظل يردد: "سنسقط ونموت، أليس كذلك؟"

فابتسمت برنس وطمأنته: "لا، لا، أنظر، لقد استوت الطائرة وكل شيء على ما يرام."

انعطف أتشيسون بالطائرة في دائرة واسعة نحو مطار سوثمبتون وفق تعليمات روندل. فتطلع الركاب الجالسون قرب النوافذ الى أسفل والخوف في عيونهم. وكان ديفيد دونكان بين الخائفين، وهو مدير مبيعات في شركة الكترونيات، اذ خشي أن تسقط الطائرة في البحر وتتحطم. لكن قلقه تبدد حين رأى الى جانبه عجوزاً هادئة في مقعدها. فقال في نفسه: "إن تكن هي قادرة على الهدوء، فأنا قادر أيضاً."

في قمرة القيادة كان سيمون روجرز لا يزال ممسكاً بساقي لانكستر، فأحس رسغه ينتفض وقدميه تركلان، فعزا ذلك الى تشنجات النزع الاخير.

ولدى تخفيف السرعة استعداداً للهبوط، بدا اتشيسون قلقاً، لأن هبوطاً عنيفاً قد يطيح القبطان من الطائرة، كما أن قِصر مدرج مطار سوثمبتون حتّم الهبوط بأقصى درجات الدقة تفادياً لأي خطأ يودي بالطائرة. والى ذلك، قد ترتفع حرارة الكوابح الى درجة الاحتراق. كان أتشيسون يتطلع أمامه باحثاً عن المطار، فلم يسعه تفادي منظر جسم لانكستر وهو يخفق متدلياً خارج النافذة، فقال في نفسه: "اطمس هذه الرؤية داخلك وركّز أفكارك على الطيران."

نجاة عجيبة. أصبحت الطائرة على بعد خمسة كيلومترات من المطار، فأبلغ أتشيسون الى روندل أنه يشاهد المدرج. فطمأنه هذا: "لا شيء يعوق هبوطك."

شاهد هيوارد رؤوس الاشجار تنساب تحته، فأعلن عبر المذياع: "تهيأوا! تهيأوا! أحنوا رؤوسكم أدنى من المقاعد!"

تمَّ الهبوط بهدوء، ولم يحس ديفيد دونكان الا رجة خفيفة، واختبرت ستيفاني جنكنز أسلس هبوط عرفته. ولدى توقف الطائرة ساد داخلها صمت ذاهل بضع ثوان، ثم بادر المضيفون بانزال الركاب بسرعة.

كانت الساعة التاسعة الا خمس دقائق، وقد مضت ٣٥ دقيقة على اقلاع الطائرة من برمنغهام. وهتف روندل عبر اللاسلكي: "كان ذلك هبوطاً رائعاً."

لكن أتشيسون لم يردّ. كان يبكي.

وما ان توقفت عجلات الطائرة حتى ذهل الاطفائي جون فوسكيت لرؤيته تيم لانكستر يتحرك ويرفع رأسه. فتسلق احدى السلالم ولحق به آخرون، فرفعوا لانكستر وأدخلوه قمرة القيادة. وسمعه فوسكيت يتمتم: "أين أنا؟"

وما هي الا دقائق حتى كان لانكستر في الطريق الى المستشفى حيث أجريت له فحوص ووصفت حاله بأنها "ممتازة جداً!" والعجيب أن إصاباته اقتصرت على قضمة صقيع وكسور غير خطرة في ساعده اليمنى ومعصمه وابهام يده ورضوض في أنحاء جسمه.

ودعي الركاب الذاهلون الى اكمال رحلتهم على متن طائرة "بوينغ ٧٣٧" استدعيت من مطار هيثرو في لندن، فتخلف سبعة منهم في سوثمبتون.

اكتشف المحققون أن الكارثة التي كانت وشيكة نجمت عن خطأ بشري. فقبل ٣٠ ساعة من الحادث أبدل حاجب الريح في قمرة القيادة، واستخدم في العملية ٩٠ مسماراً مصوملا أصغر من الحجم المطلوب، مما أفقد الحاجب قدرته على مقاومة الضغط وجعل انفصاله أمراً محتوماً.

بعد خمسة أشهر من المعالجة الطبيعية المكثفة لاصلاح أعصاب الساعدين، عاد لانكستر الى وظيفته في قيادة الطائرات. ومُنح ألاستير أتشيسون عدداً من الجوائز، منها ميدالية ذهبية من "جمعية طياري الخطوط الجوية البريطانية" تمنح عادة للطيارين المتفوقين. كما منحت الجمعية جوائز لجميع أعضاء طاقم الطائرة.

وما زال لانكستر مدهوشاً لبقائه حيا بعد محنته القاسية والفريدة في تاريخ الطيران. وهو يقول: "لا بد أنني الرجل الأسعد حظا في العالم."

بيتر براون ■

زوجة... مفكّر

كنت اتصفح الجريدة ذات مساء فوقع نظري على مقالة مثيرة تتناول احصاءات حوادث السيارات، فقلت لزوجتي المنهمكة في تحضير العشاء: "اسمعي يا عزيزتي، يقولون هنا ان غالبية حوادث السير تقع ضمن نطاق ثمانية كيلومترات من المنزل."

فصمتت زوجتي مفكّرة لبرهة ثم قالت: "أتعتقد أن علينا الانتقال من هنا؟"

د.س.

بريد مضمون

حملت طرداً الى مكتب البريد، فقال لي الموظف المختص ان رسم التسليم السريع هو دولاران واربعون سنتاً في حين أن الخدمة الابطأ تكلف دولاراً وثلاثين سنتاً.

فقلت له: "لست في عجلة من امري، فما يهمني هو أن يسلَّم الطرد وأنا حيّ."

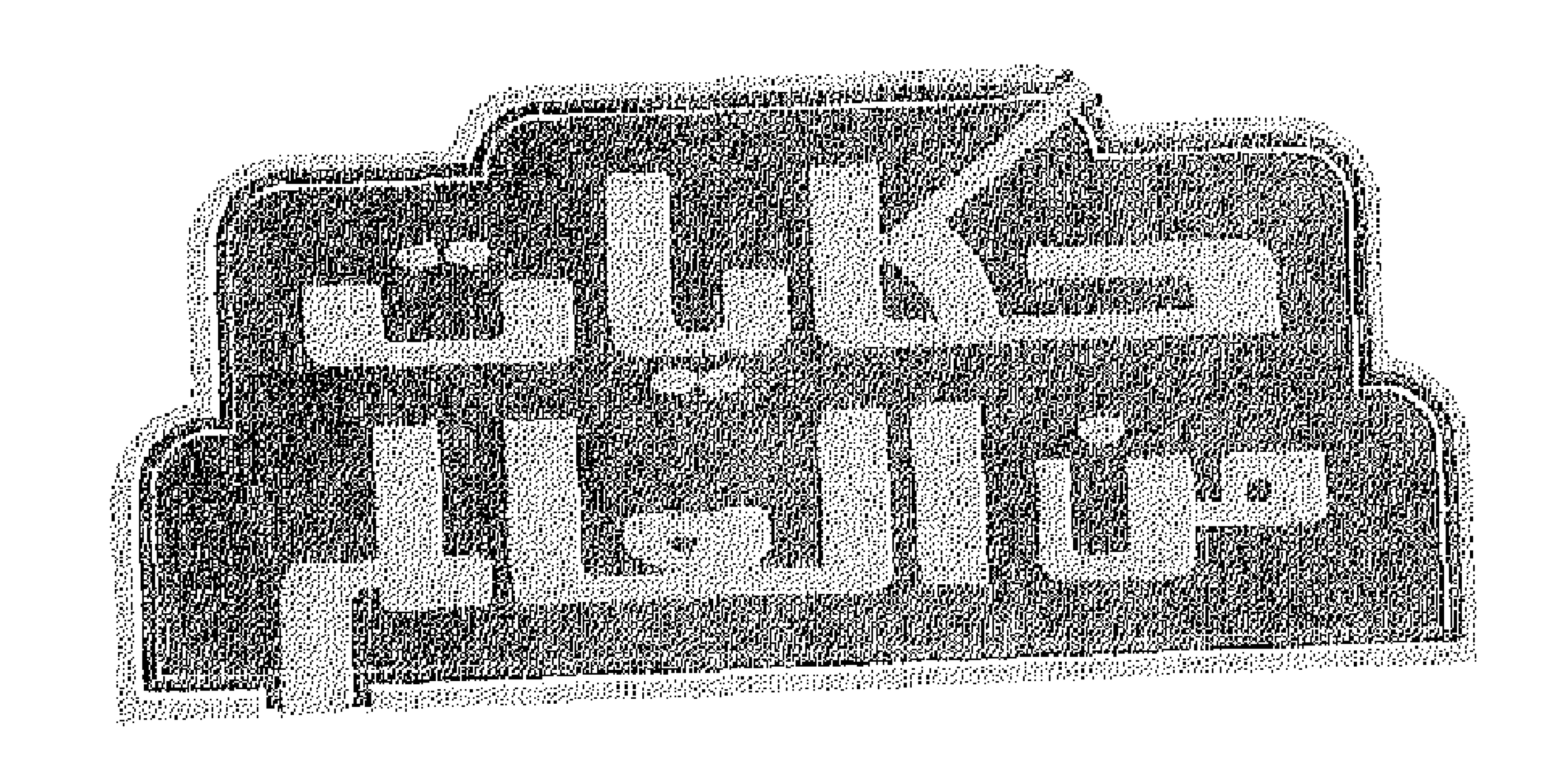
فرمقني بنظرة حادة ثم قال: "دولاران واربعون سنتاً من فضلك."

د.م.

تكنولوجيا الحب

قالت شابة لخطيبها بنبرة احتجاج: "ماذا تعني باننا لا نتحاكى؟ فامس بعثتُ اليك بالتلفاكس جواباً عن الرسالة التي تركتها لي على مسجّلة الهاتف."

"وول ستريت جورنال"



ضفادع أوستراليا

□■ استوردت مصانع السكر الأوسترالية في يونيو (حزيران) ١٩٣٥ مئة ضفدع قصب من هاواي أملة أن تقضي بها على خنافس القصب التي تهدد محاصيل السكر. لكن الضفادع لم تأتِ بالنتائج المرجوة، وقد "احتلت" نصف أراضي مقاطعة كوينزلاند وهي تنتشر في اتجاه نيو ساوث ويلز والاقليم الشمالي. وتضع أنثى الضفدع عشرين ألف بيضة دفعة واحدة. وقد تبيض مرتين في السنة.
وضفادع القصب خطرة، اذ انها تفرز سماً قادراً على قتل كلب في غضون ربع ساعة. وقد اقترح علماء الأحياء ادخال انواع من الطفيليات أو الأوبئة للقضاء على هذه الآفة. ولكن، ألم تأت الضفادع بهذه الطريقة؟

مجلة "ناشونال جيوغرافيك"

هاتف هونغ كونغ

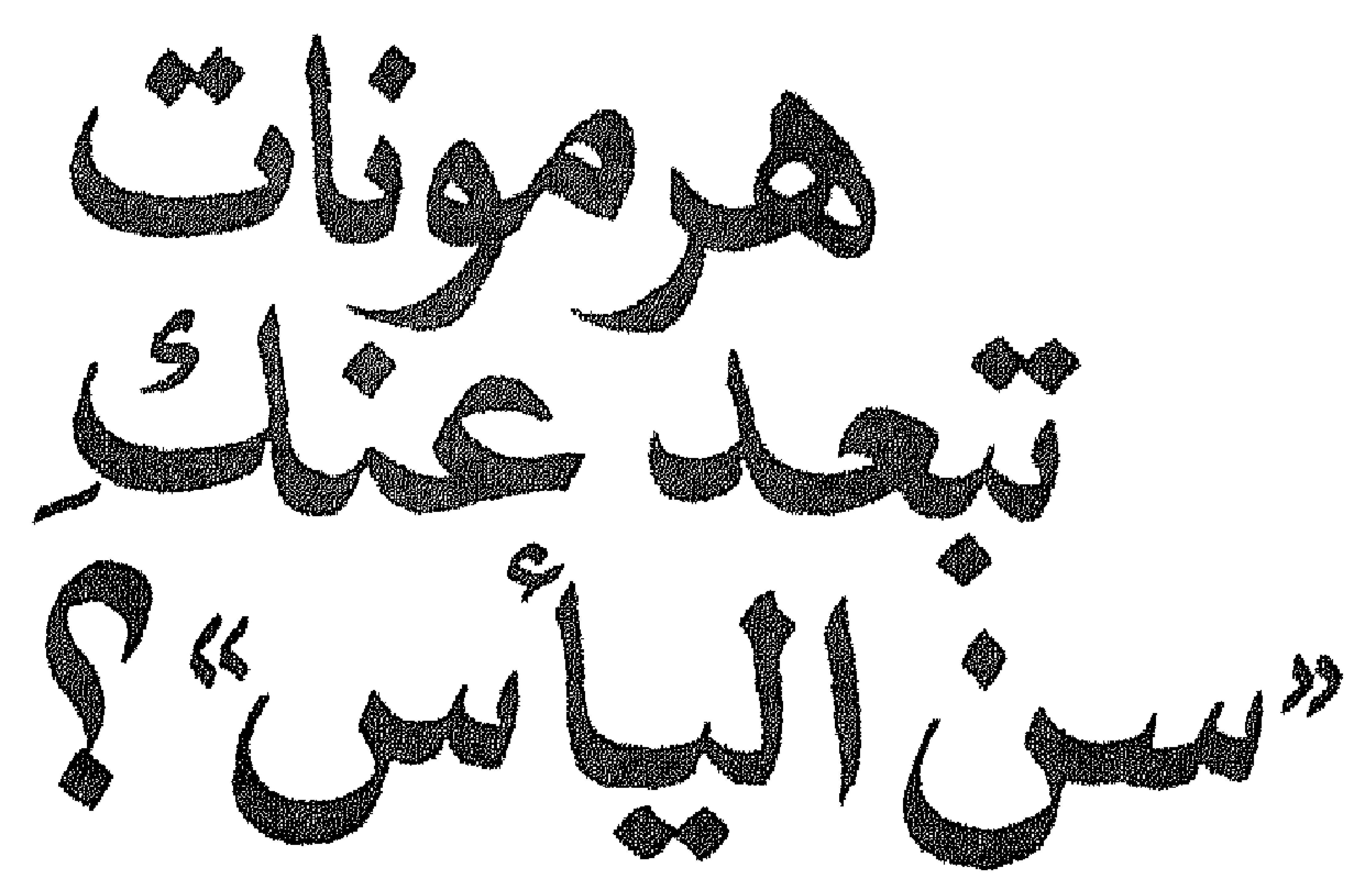
□■ سجلت هونغ كونغ أعلى نسبة لاجهزة الهاتف النقالة في الكيلومتر المربع. فقد أصبح اقتناء هذه الأجهزة نمط حياة، اذ بات السكان يتحدثون عبرها أثناء تناولهم العشاء خارج المنزل أو مشاهدتهم فيلماً سينمائياً أو سيرهم في الطريق. ويقول فرد سوم مدير التسويق في شركة "هاتشيسون" أكبر مسوّقي أجهزة الهاتف النقالة في هونغ كونغ: "الناس هنا يعملون ليلا ونهاراً، ولا يمكنهم بالتالي أن ينقطعوا عن الاتصال بعضهم ببعض."
ومع اقتراب عودة هونغ كونغ الى السيادة الصينية سنة ١٩٩٧، ازدادت مبيعات أجهزة الهاتف. ويلاحظ الفرد هو مدير قسم المبيعات والتسويق في شركة "هاتشيسون": "لقد "ادت حركة الهجرة التي تشهدها المستعمرة الى ازدهار سوق الهاتف. لنفترض، مثلاً، أن عشرة مندوبي مبيعات كانوا يعملون في شركة ما، ثم تضاءل العدد الى ثمانية. يكفي أن تعطي كلا من هؤلاء الثمانية هاتفاً فيقوموا بعمل عشرة."

صحيفة "واشنطن بوست"

قنابل فرنسا

□■ ليس من السهل تصوُّر فرنسا حقل الغام. لكن الواقع هو أن ١٢٠ خبير متفجرات محترفاً يفككون يومياً أطناناً من المخلفات المميتة للحروب الفرنسية - الالمانية الثلاث لا تزال منتشرة، من غابات اللورين الى رمال جزيرة كورسيكا. ويقول رئيس احدى فرق تفكيك القنابل: "لا نزال نعثر على قذائف مدفعية صالحة تعود الى زمن الحرب الفرنسية - البروسية عام ١٨٧٠. وهناك بحيرات زاخرة بالقنابل اليدوية السامة العائدة الى الحرب العالمية الاولى. وكثيراً ما يصادف أن يعبر مزارع بجراره فوق لغم مضاد للدروع من مخلّفات الحرب العالمية الثانية، فينفجر به."
وقد قضى ٦٠٨ خبراء متفجرات منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. وتم تفكيك ١٦ مليون قذيفة و٤٦٠ ألف قنبلة و٦٠٠ ألف لغم تحت الماء.

صحيفة "نيويورك تايمز"



هرمونات تبعد عنكِ "سن اليأس"؟

على كل امرأة أن تعرف هذه الحقائق
قبل أن تبلغ "سن اليأس" وتغرق في معاناة صامتة

هيلاري غيبس ممرضة نشطة متزوجة ولها ثلاثة أولاد بالغين، شعرت فجأة بأن حياتها شارفت الانهيار. فمع انقطاع الطمث عنها وهي في التاسعة والاربعين ترقبت أن تعصف بها "هبّات" ساخنة بين حين وآخر، لكنها لم تكن مهيأة لأن "تشيخ" بين ليلة وضحاها.

بان جلدها قصِفا وشعرها كأنه كومة قش، وغلب عليها الانهاك، لا يفارقها. وأفظع من كل ذلك أنها فقدت قوة التركيز فباتت عاجزة عن تذكر الاسماء، وتحولت القراءة لديها احباطا لانها صارت تنسى ما قرأت في الصفحات السابقة، وباتت الكلمات تخذلها أثناء المحادثات وعقلها يغيب في فراغ. تقول: "عرفت أني لست على ما يرام. واعتقدت أن الخرف دبَّ فيَّ قبل الاوان، فارتعبت."

ولدى زيارتها احدى العيادات النسائية نمى اليها أن ثمة معالجة لمثل حالها تُعرف بتعويض الهرمونات.[1] لم يؤمن طبيبها بهذه المعالجة، فأقنعت طبيبا آخر باحالتها على عيادة تابعة لمصلحة الصحة الوطنية ومتخصصة بانقطاع الطمث.

أُخضعت هيلاري لفحص طبي دقيق، ثم أعطيت رقعاً مشبعة بالاستروجين[2] للصقها على الجلد في أي مكان تحت الخصر وابدالها مرتين في الاسبوع. ولأن الاستروجين يسبب نموّ بطانة الرحم وقد تصبح الخلايا سرطانية، فُرض عليها أيضا تناول حبوب بروجستوجين[3] ١٢

(١) Hormone replacement therapy

(٢) Oestrogen. وهو هرمون جنسيّ انثوي.

(٣) Progestogen

يوما كل شهر، اذ ان هذه الحبوب تسقط بطانة الرحم فتقيه من السرطان.

تقول هيلاري، وهي ما زالت تستخدم الرقع منذ خمس سنوات: "بعد ثلاثة أسابيع من مباشرة المعالجة عدت كما كنت. فأنا أبدو على ما يرام وأشعر على ما يرام، والأهم أني استعدت قواي العقلية."

يعود سبب الأعراض البغيضة التي عانتها هيلاري، الى تقلبات في مستويات الاستروجين خلال فترة انقطاع الطمث[٤] التي تحلّ قرابة السن الخمسين. وقد يسبب تدني مستويات هذا الهرمون هبّات ساخنة وعرقا ليليا وخفقانا في القلب وسرعة انفعال وألما في المفاصل وفقدان ثقة وانحطاطا وحكاكا في الجلد وجفافا في المهبل. وثمة واحدة من كل خمس نساء لا تعاني أي مشاكل خلال فترة انقطاع الطمث، وثلاث من كل خمس يعانين بعض الأعراض وخصوصا الهبات الساخنة والعرق الليلي، وواحدة من خمس تتعرض لمعاناة شديدة.

المعالجة بتعويض الهرمونات ترفع مستويات الاستروجين الى الحد الطبيعي، فتزيل تلك الاعراض التي يسببها انقطاع الطمث.

وتوصف للمعالجة حبوب أو رقع، أو تزرع حبوب استروجين تحت الجلد. وتوصف حبوب الاستروجين لمعظم النساء، ما عدا أولئك اللواتي خضعن لجراحة استئصال الرحم. وهذه الحبوب تسبب "نزفا" شهريا، لكنها لا تعيد الخصب.

حدبة العجوز. ربما كان الفعل الاهم لعلاج تعويض الهرمونات ابعاد داء ترقّق العظم[٥] الذي ينجم عن نقص تدريجي في الكلسيوم بعد انقطاع الطمث. والنساء البيض هن الاكثر تعرضا للخطر، خصوصا أولئك اللواتي لهن نسيبات قريبات ذوات عظام سريعة الانكسار، وهنّ نحيفات ويتبعن نظاما غذائيا فقيرا بالكلسيوم ويدخِّنَّ ولا يمارسن من الرياضة الا القليل وقد انقطع الطمث لديهن في وقت باكر. أما النساء اللواتي تناولن عقاقير "كورتيكوستيرويد"[٦] للربو أو لالتهاب المفاصل الروماتزمي، فيرتفع احتمال اصابتهن بداء ترقق العظم.

وفي سنوات السبعين تكون واحدة من كل امرأتين قد رقّ عظمها وهشّ وانكسر مرة على الاقل. وحين يصبح العظم قصِفا سريع الانكسار، يتقلّص العمود الفقري فيقصر في حدود ١٥ سنتيمترا ويتسبب في ألم مبرِّح، وتتكون حدبة في أعلى الظهر تعرف بـ"حدبة العجوز."

يوقف تعويض الهرمونات ترقق العظم باعادة الاستروجين الى مستوياته الطبيعية. واذا استمرت المعالجة بالاستروجين ست سنوات انخفض خطر انكسار الورك في سن الشيخوخة الى النصف.

المعالجة الاكثر فاعلية تبدأ في غضون

---

(٤) Menopause. وهي ما يُعرف، بين العامة، بسن اليأس.

(٥) Osteoporosis. وهو يُعرف ايضا بمسامية العظم او نخره.

(٦) Corticosteroid drugs

ثلاث سنوات بعد انقطاع الطمث. وفي الامكان مباشرتها في أي وقت حتى السن الخامسة والستين، وتظل فاعلة في وقف خسارة العظم ما دامت مستمرة.

انقطع الطمث باكراً عن احدى النساء في نيوبورت، فظلت لسنوات تعاني آلاماً حادة في المفاصل. وهي تقول: "اشتد الألم في رسغيَّ فبتُّ عاجزة عن تسلق السلالم، وفي معصميَّ حتى استحال علي حمل الغسيل. وتصلَّب ظهري فعجزت عن الانحناء."

وبعدما سقطت مرة وانكسر ساعدها، سمعت بعلاج تعويض الهرمونات من طريق "الجمعية الوطنية لترقق العظم." وكانت في الثانية والستين حين اجري لها أول "زرع" للاستروجين في عملية خالية من الالم في عيادة خارجية بأحد المستشفيات. فبعد حقنها مخدراً موضعيا، بَضَع الطبيب شقاً دقيقاً في أسفل بطنها وزرع حبة صغيرة من الاستروجين تطلق الهرمون على مدى الأشهر الستة التالية.

وزالت أوجاع تلك السيدة. وفي أقل من سنة زادت كثافة عظمها، وهي تنوي متابعة العلاج واجراء الزرع كل ستة أشهر في المدى المنظور.

نادي المعجبات. تدّعي كثيرات من النساء البريطانيات اللواتي تراوح أعمارهن بين الخامسة والاربعين والستين ويخضعن لعلاج تعويض الهرمونات، أن هذا العلاج غيّر حياتهن.

وتقول الممثلة جيل غاسكوين: "أنا أبدو في شكل أفضل وأشعر بأنني أحسن حالا. لقد غيّر العلاج مجرى حياتي وأعادني الى ما كنته من نشاط وعزم قبل أن تخذلني هرموناتي."

تيريزا غورمان، عضو البرلمان البريطاني، متحمسة جداً لعلاج تعويض الهرمونات وتقول: "إنه أعادني شابة في العشرين." وبلغت حماستها حدَّ أنها أسست "صندوق أمارانت" في سبيل ترويج هذا العلاج عبر عيادة خاصة وبرنامج تثقيفي للاطباء والنساء.

لكن الاطباء حذرون، اذ يرون أن علاج تعويض الهرمونات يحمي العظام حقاً ويساعد الجلد والشعر من خلال تقوية الكولاجين.[٧] ولكن حتى أشد أنصار هذا العلاج يؤكدون أنه لا يستطيع "اعادة عقارب الساعة الى الوراء."

يقول جون ستود الطبيب النسائي والمستشار في مستشفى "كينغز كوليدج" في جنوب لندن وهو من المؤيدين البارزين: "علاج تعويض الهرمونات لا يوقف تقدم الشيخوخة لدى المرأة، ولا يحوّلها رمزاً للصبا والجمال. لكنه قد يطيل عمرها سنوات."

في دراسة أجريت في جامعة جنوب كاليفورنيا تبين أن متوسط الوفيات بالنوبات القلبية بين النساء اللواتي تعاطين الاستروجين لعشر سنين كان أقل ٤٠ في المئة منه بين النساء اللواتي لم يتعاطينه. والوفيات بالسكتة الدماغية

(٧) Collagen

(الفالج) أقل ٥٠ في المئة. وقد عاشت أولئك النسوة، عموماً، نحو ثلاث سنوات أطول من الاخريات.

وثمة دلائل متزايدة تشير الى أن تناول الاستروجين يحمي النساء من مرض القلب ومن السكتات. ويتوقع البروفسور مارتن فيسي من مستوصف "رادكليف" في أكسفورد، وهو وضع تصوراً مستقبليا مبنياً على دراسات عالمية، أن النوبات القلبية القاتلة التي تصيب النساء اللواتي يتعاطين الاستروجين، ستقل ٢٣ ألفا في المليون عن تلك التي تصيب اللواتي لا يتعاطينه، وذلك خلال فترة ٣٠ سنة.

لكن الباحثين اكتشفوا أن تناول الاستروجين ربما زاد خطر الاصابة بسرطان الثدي. ويتوقع البروفسور فيسي أن تزداد الوفيات بسرطان الثدي في غضون ثلاثين سنة ١٠ آلاف في المليون بين النساء اللواتي يتعاطين الاستروجين. وفي دراسة أجراها بمشاركة كيت هنت العالمة في "مجلس الابحاث الطبية" في غلاسغو وشملت ٤٥٤٤ امرأة يُعالجن بتعويض الهرمونات، اكتشف أن خطر اصابتهن بسرطان الثدي أعلى أكثر من مرة ونصف مرة من خطره على النساء اللواتي لا يتبعن هذا العلاج.

يقر الاطباء أن الخطر يتنامى مع دوام المعالجة. ففي السنوات الخمس الاولى لا يظهر أي تأثير يذكر. لكن احدى الدراسات الامريكية التي أجريت على ٤٠٠ امرأة بيّنت أنه بعد عشر سنين من تناول الاستروجين زاد عدد النساء اللواتي أصبن بسرطان الثدي ٣٠ في المئة. وبعد مرور ٢٠ سنة ارتفعت النسبة الى ٥٠ في المئة.

لكن أيان فنتيمان الاختصاصي بالسرطان في مستشفى غاي في لندن، يعتقد أن العلاج بتعويض الهرمونات يزيد احتمال اصابة المرأة بسرطان الثدي في أي فترة من حياتها، إنما زيادة ضئيلة، بنسبة واحدة في كل ١٢ امرأة أو واحدة في كل ١١.

المعلّمات محميّات! الثابت هو أنه اذا كانت الاصابة بسرطان الثدي حاصلة فعلا فان خطره يتفاقم باتباع علاج تعويض الهرمونات. ويقول أيان بورن الجراح المتخصص بالسرطان ورئيس "الجمعية الاوروبية لجراحي الاورام": "المقلق هو أن بعض النساء اللواتي يباشرن المعالجة بتعويض الهرمونات قد يكنّ، من غير علمهن، مصابات بسرطان الثدي. ان تعويض الهرمونات خطوة متقدمة، ولكن يتعين اللجوء اليه بعد فحص دقيق للثدي يليه تصوير بالاشعة السينية (اكس)."

اذا كانت الافادة من تعويض الهرمونات متيسِّرة لغالبية النساء ما بين الخامسة والاربعين والستين من العمر، كما يدعي جون ستود، فلماذا لا تلجأ اليه الا ٨ في المئة من النساء البريطانيات؟

واحدة من كل امرأتين تفضل عدم اتباع علاج تعويض الهرمونات لصلته

بسرطان الثدي أو خشية الاعراض الجانبية كالصداع وأوجاع الثدي والغثيان والتوتر الذي يسبق الطمث. كما أن كثيرات لا يرغبن في العودة الى الطمث ولا في الخضوع لعلاج طبي مديد.

وتلفت الدكتورة بات لاست الى أن ثمة خيارات بديلة لمعالجة مشاكل انقطاع الطمث لدى النساء اللواتي لا يستطعن اتباع علاج تعويض الهرمونات أو لا يرغبن فيه، "فالفيتامينات والمكمِّلات المعدنية تفيد بعض النساء، تماما كما تفيدهن لقاءات نسائية متعاطفة أو كما يفيدهن طبيب متفهِّم يصغي الى كلامهن. وقد تختار أخريات المعالجة بوخز الابر."

وثمة عقاقير لا علاقة لها بالهرمونات قد تخفف الاعراض. العقار "ديكساريت"[8] يخفف الهبّات الساخنة الى أكثر من النصف في أربع نساء من خمس. ويجوز وصف مُحصِرات بيتا[9] للخفقان.

ومن العقاقير الواعدة في مكافحة داء ترقق العظم "اتيدرونات"[10] المرخّص له في بريطانيا لمكافحة خلل آخر في العظم يدعى "داء باجت."[11] وفي دراسة أجريت في الولايات المتحدة لمدة سنتين وشملت ٤٢٩ امرأة يعانين ترقق العظم، تبين أن اعطاءهن عقار "اتيدرونات" ومكمّلات الكلسيوم أدى الى ازدياد كثافة عظم العمود الفقري وانخفاض حالات انكسار العظم الى النصف، بالمقارنة مع النساء اللواتي أعطين حبوبا تمويهية.

وتساعد الرياضة المعتدلة والمنتظمة في حفظ العظام قوية، وتخفض خطر انكسار العظم بعد تخطي السن الخمسين. وبينت دراسة لمجلس الابحاث الطبية في سوثمبتون شملت ٧٢٠ امرأة راوحت أعمارهن بين الخمسين والتاسعة والتسعين، أن احتمال انكسار العظم لدى العاملات الكثيرات الجلوس، كالسكرتيرات، يزيد ثلاثة أضعاف على ما هو لدى المعلمات، وهو أدنى من ذلك لدى الممرضات.

ماذا تسألين؟ يجدر بالنساء المتشوقات الى معرفة شيء عن علاج تعويض الهرمونات استشارة طبيبهنّ أولا، واذا لم يلقين تجاوبا منه فما عليهن الا التوجه الى طبيب نسائي.

وأيا يكن من تستشيرينه، فعليك الاخذ في الاعتبار الاجابات الآتية عن أسئلة تطرح عادة:

هل ثمة سبب يجعل تعويض الهرمونات علاجاً غير ملائم لي؟

لا تجوز معالجة النساء بتعويض الهرمونات اذا كنّ مصابات بسرطان الثدي أو سرطان بطانة الرحم أو بورم قتامي خبيث هو نوع من سرطان الجلد أو بمرض في الكلى أو الكبد أو بجلطة دموية حديثة أو بسكتة دماغية أو بنزف في

(٨) Dixarit

(٩) Beta-blockers

(١٠) Etidronate

(١١) Paget's disease. وهو داء يتسبب في تضخم العظام ووهنها وتشوهها.

المهبل لم يتم تشخيصه. لكن سرطان عنق الرحم، مثلاً، لا يمنع المعالجة بتعويض الهرمونات.

ماذا عن الاعراض الجانبية؟

الاعراض الجانبية الاولية، كالصداع والغثيان، تزول لدى معظم النساء في غضون أسبوع. واذا استمرت فاطلبي استشارة طبيبك لتغيير صيغة معالجتك. النزف الشهري هو العَرَض الجانبي الدائم، وقد يسبب توتراً ورخاوة في الثديين قبل الطمث.

ما هي الحسنات والسيئات في الطرق المختلفة للمعالجة؟

الحبوب هي الطريقة الاسهل والاكثر شيوعاً. فالرقع تولج الهرمون للحال في مجرى الدم، مما يجعل جرعة صغيرة فاعلة، لكنها قد تسبب حكاكاً في الجلد. الزرع يخدم ستة أشهر، وتجديده يستلزم جراحة بسيطة في عيادة خارجية. ومرهم الاستروجين طريقة فاعلة لمعالجة جفاف المهبل الذي يعتبر ظاهرة شائعة لانقطاع الطمث.

كم من الوقت يتعين عليَّ متابعة العلاج؟

يتفق الاطباء على ان النساء المعرّضات بنسبة مرتفعة لخطر الاصابة بداء ترقق العظم، وأولئك اللواتي توقّف انتاج الاستروجين لديهن قبل السن الخمسين بسبب انتزاع الرحم والمبيضين أو انقطاع الطمث في وقت مبكر، عليهن تناول الاستروجين على المدى الطويل لوقاية عظامهنّ. وتجدر مباشرة المعالجة في غضون ثلاث سنوات بعد انقطاع الطمث، وفي امكانهن الاستمرار فيها الى ما لا نهاية. ويجدر بنساء أخريات التفكير في اتباع علاج تعويض الهرمونات لتخفيف الاعراض الحادة التي ترافق انقطاع الطمث، ولكن لمدة سنة أو سنتين فقط، ثم يخفف العلاج تدريجاً.

هل أحتاج الى فحص منتظم؟

على كل النساء، أيا يكن عمرهن، اجراء فحص ذاتي للثديين مرة كل شهر لكشف الاورام، وهذا الفحص مهم خصوصا لاولئك اللواتي يعالجن بتعويض الهرمونات. وكل امرأة تخضع لهذا العلاج يتعين عليها إجراء فحص شهري للوزن وضغط الدم وفحص سنوي للحوض والثديين.

قد تمر سنوات قبل أن تظهر جميع الفوائد والاخطار التي ينطوي عليها علاج تعويض الهرمونات، الا أن الوسط الطبي يزداد تحبيذاً له، والابحاث مستمرة على نطاق عالمي. في غضون ذلك تبقى النساء الخاضعات لهذا العلاج "حقول تجارب" بشرية. الا أنه قد يكون نعمة، كما في حال هيلاري التي تقول: "لقد جعل حياتي جديرة بأن تعاش."

فلور بريثان ■



من قال إن الآباء هم المعلمون دائما؟
نحن نتعلم من أولادنا من حيث لا ندري

اذكر اسطورة سمعتها يوما عن غلام اهدى اليه والده عجلا. وكان على الصبي أن يعلف العجل وينظفه ثم يرفعه فوق رأسه مرة كل يوم. وكبر الصبي وكبر العجل معه فثقلت حمولة الصبي نصف كيلوغرام يوميا. وحين بلغ ربيعه الخامس عشر أصبح بمقدوره رفع ثور تام النمو وقادر على الرفس.

مررت في حياتي بقصة مماثلة صنعها لي ابني. وأظن أن أطفالكم يصنعون لكم قصصا حياتية من حيث لا تدرون أحيانا.

ذات يوم كنت ألعب بكرة المضرب في المدينة مع ابني ايفان البالغ من العمر عشرة اعوام. وكان ايفان رفيقي الوحيد في هذه الرياضة منذ بلوغه السن الخامسة. وكانت في الملعب المجاور زمرة من الاولاد الأعضاء في فريق محلي لكرة المضرب. وفيما أنا ألتقط بعض الكرات الشاردة اقترب مني مدرب الفريق قائلا: "الحقيقة أن ابنك يضرب الكرة جيدا."

أدركت أن المدرب لم يقصد الاطراء فقط، بل أراد ايفان عضوا في فريقه. لذلك أجبته بلا تردد: "لسنا سوى زائرين هنا."

قال: "خسارة!"

وفي طريق عودتنا الى بيت عم ايفان أخبرته بما قاله لي المدرب. لكن فضولي لم يهمد، اذ أردت معرفة الامر المميز الذي لاحظه المدرب في لعب ايفان.

وكان ابني خلال السنوات الفائتة يخبرني عن تقدمه السريع في رياضة كرة المضرب في المدرسة، فيروي لي كيف تقدم على هذا الفتى أو ذاك وكيف هزم أحد أبطال النادي. لكنني لم أكن أصغي اليه بانتباه لأنني، بصراحة، لم أكن أرى

لديه تقدماً ملحوظاً. صحيح أن أخطاءه قلّت وأن ضرباته أصبحت أقوى. ولكن كيف يمكنه أحراز تقدم ملحوظ ما دام والده - أنا - يهزمه باستمرار؟

لطالما آمنت بأن من المهين جداً للمرء أن ينافس أحداً من دون أن يبذل قصارى جهده. لذلك لم أكن أقدم الفوز هبة الى ايفان عندما كان في الخامسة، وإن كنت لا أكيل له الضربات أيضاً. كان عليه أن يقوِّم نفسه نظراً الى طريقة لعبه لا الى الربح أو الخسارة. والحقيقة أنه، عندما لعبنا في المدينة، لم يكن هزمني قط.

ثم حدث أمر غريب بعد عودتنا الى بلدتنا. فقد زارنا صديق قديم وتحداني للعب معه بكرة المضرب. وكان هذا الرجل يهزمني دائماً. لذلك سألته ان كان لا يزال محافظاً على مستواه في اللعب، فأجابني مبتسماً: "انني ألعب كل أيام السنة."

لن أطيل عليكم الحديث عن تفاصيل الهزيمة المنكرة التي ألحقتها بهذا الرجل. يكفيني القول ان النصر فاجأنا كلينا.

وسرعان ما أدركت السبب وأنا عائد إلى المنزل. انه ايفان! كنت أتقدم في هذه الرياضة كلما تقدم هو. مثلي كمثل الصبي والعجل الذي كان يزداد ثقلاً كل صباح. كان ايفان يتقدم في كل مباراة. وكنت أنا أرفع الثقل المتنامي، كالصبي الذي كان يرفع العجل.

كان ايفان يحملني على صقل قدراتي الخاصة وعلى اكتشاف قوى جديدة وحلول مستجدة. كان يعلمني أن في امكاني العمل بكد أكبر والتقدم أكثر والذهاب أبعد. وكان يفعل ذلك بجرعات صغيرة جعلتني أغفل عنها.

أراهن أن هذا ما يفعله أولادكم أيضاً. فهم يحملونكم على رفع أنفسكم درجة درجة بألوف الوسائل التي لم تخطر في بالكم قط. انهم يعملون على تحسين رعايتكم لهم وشحذ رباطة جاشكم، ويعلمونكم متى يجوز الاستسلام ومتى يتحتم الصمود.

لقد واجهت ذلك في مباريات كرة المضرب، ومثل هذا الامر يحدث في كل مراحل حياتنا. فأطفالكم إذ تنشئونهم وترشدونهم يوسعون أفاقكم ويشحذون تصرفاتكم ويصقلون تفكيركم ليجعلوا منكم لاعبين أفضل ووالدين أفضل وأناساً أفضل.

بارني كوين ■

فرحة جدة

انتقل جدّاي للسكن في ناحية جديدة، وكانت اولى نزهاتهما جولة في الجوار. فاكتشفا سوقاً تجارية مزدحمة ومحطة لغسل السيارات. وقد استولت الدهشة على جدتي مما رأت فقالت لجدي: "في متناولنا هنا كل ما نحتاج اليه، حتى اننا نستطيع بلوغ محطة غسل السيارات... على الاقدام."

أ.ج.



سيارات

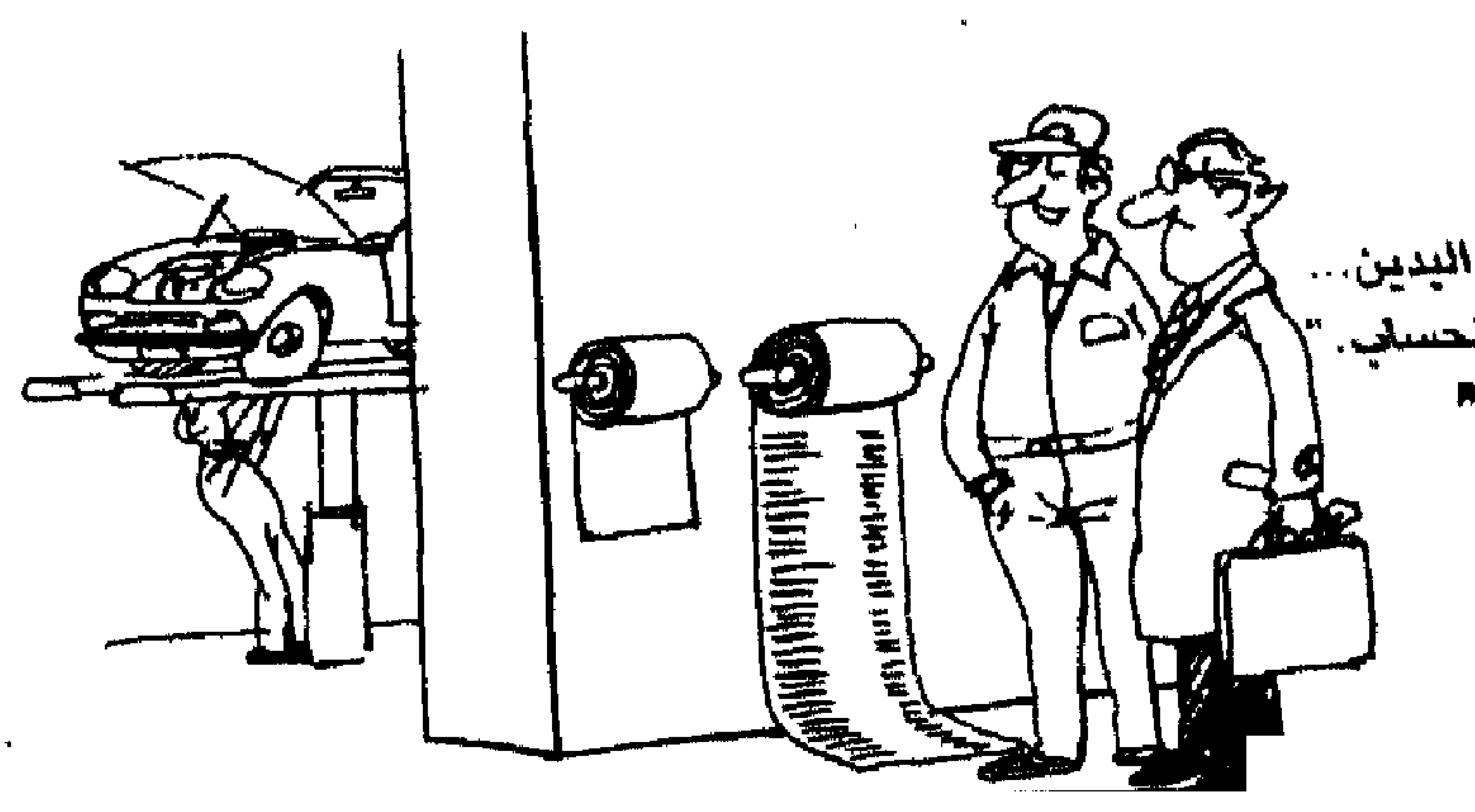


"حسناً، تصل اليكم بعد ٢٤ ساعة."

THE SUN



بدون تعليق.



"تلك لتجفيف اليدين...
وهذه فاتورة الحساب."

ROSS THOMSON

"هه! لقد اشتغل جهاز الراديو الآن."
ANOTHER 1,000 LAUGHS / DAILY MIRROR

"لقد حذُرتك يا سيدي. ان ليترأ من الوقود
لا يذهب بك بعيداً هذه الايام "
KEN MAHOOP / PUNCH

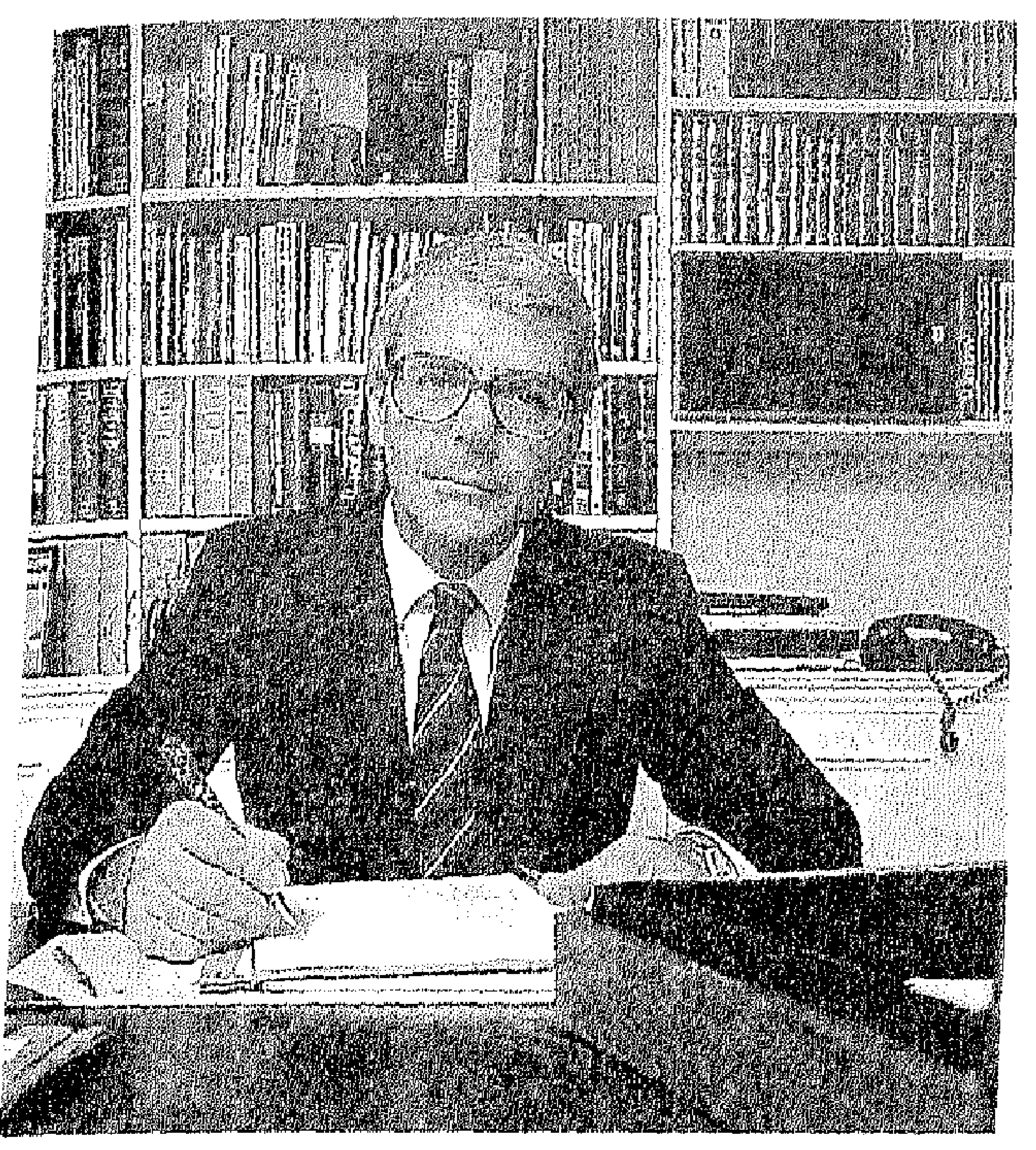
"مبروك! متى اشتريت هاتف السيارة؟"
TONY HUSBAND / PUNCH



"هل انت أكيد من ان الشباب اتبعوا
تعليمات الغسل الخاصة بسيارتي؟"



"ترى لمن أفضلية المرور الآن؟"
WORLD WILDLIFE FUND



قبل أشهر، لم يكن كثيرون
خارج بريطانيا سمعوا
باسم جون ميجور
واليوم يملأ هذا السياسي الشاب
مقعد "المرأة الحديد"

جون ميجور "عمّالي" في قلب المحافظين

العاشرة والدقيقة الثامنة صباح ٧ فبراير (شباط) ١٩٩١ دوّت فوق "وايتهول"[١] في قلب لندن ثلاثة انفجارات لقذائف هاون أطلقها مسلحو الجيش الجمهوري الايرلندي من منصة مثبتة في مؤخر شاحنة كانت متوقفة على مسافة ٦٠ متراً من "١٠ داوننغ ستريت."[٢]

سقطت واحدة من هذه القذائف في حديقة مقر رئيس مجلس الوزراء البريطاني واحدث انفجارها دوياً يصم الآذان على بعد ١٢ متراً حيث كان الرئيس جون ميجور مجتمعاً مع ١٤ شخصاً آخرين في "مجلس حرب" للبحث في النزاع في منطقة الخليج العربي فالتوت النوافذ المقوّاة الى الداخل. أما القذيفتان الاخريان فسقطتا

(١) "وايتهول" شارع في لندن تقوم فيه مباني وزارة الخارجية البريطانية.

(٢) 10 Downing Street هو مقر رئاسة الحكومة البريطانية.

PHOTOS: IAN BRADSHAW

في مرج قريب خلف مبنى وزارة الخارجية، ولم تنفجرا.

نهض ميجور وزملاؤه عن الارض، حيث كانوا منبطحين، وقال رئيس الوزراء بهدوء: "أرتأي، أيها السادة، أن نتابع نقاشنا في مكان آخر."

هذا الاسلوب البارد المقتضب هو سمة الرجل ابن السابعة والاربعين الذي حلّق الى مركز رئاسة الوزراء قبل ذلك التاريخ بعشرة أسابيع ليصبح أصغر رئيس وزراء بريطاني في ٩٦ عاماً.

لم يكن يخطر في بال جون ميجور، حتى قبل عشرة أيام من تسلمه المنصب، أن رئاسة مارغريت تاتشر الاسطورية التي بدت ثابتة كالصخر، كانت على شفير نهاية مأسوية. ولم يكن السباق الى الزعامة ليأتي في وقت أسوأ من هذا. فقد كان ميجور، لشهرين خلوا، يعاني آلاماً بسبب التهاب في أحد أضراس العقل، واقتلع الضرس أخيراً يوم السبت في ١٧ نوفمبر (تشرين الثاني) مع أوامر من طبيبه بوجوب اخلاده الى الراحة التامة عشرة أيام وبعدم القاء خطابات اطلاقاً.

لكن السيدة تاتشر قصّرت، يوم الثلثاء التالي، عن كسب الجولة الاولى من الاقتراع لزعامة حزب المحافظين في البرلمان، وأعلنت يوم الخميس أنها ستستقيل حالما يبرز خلف لها في الجولات التالية. وبدأ هاتف ميجور الرنين فوراً باتصالات من نحو مئة عضو في البرلمان تمنوا عليه أن يرشح نفسه للجولة الثانية.

نظرياً، كان على ميجور أن يمضي ثلاث سنوات أو أربعاً أخرى من الخبرة في مراكز وزارية قبل أن يدخل السباق الى مركز القيادة، ولكن، كما فسر الامر لزوجته نورما: "عندما تأتي الكرة في طريقك، عليك أن تلتقطها وتركض بها."

كان عليه، وهو لا يزال يترنح من جراء الجراحة التي أجريت له، أن يستجمع كل مخزونه من الطاقة والبأس ويسرع عائداً الى لندن — ويلمع هناك.

تبعت ذلك سلسلة من المقابلات التلفزيونية والصحافية المتهكة. وفيما عمد المنافس الرئيسي لميجور مايكل هزلتاين (٥٧ عاماً) الذي استقال من الوزارة في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦، والمتحدي الثالث وزير الخارجية دوغلاس هيرد (٦٠ عاماً)، الى التركيز على نضجهما وخبرتهما الاوفر وحظهما الاكبر في كسب الجولة التالية من الاقتراع الحزبي، وجّه جون ميجور نظره الى الافق البعيد، فتحدث عن تعجيل التحركية الاجتماعية التي بدأت أخيراً في قيادة تاتشر. وقال: "ان احدى الطرق التي لم تؤد الى أي فائدة لبريطانيا في السنوات الخمسين الاخيرة هي النهج الذي اتّبعه كثيرون في التمييز بين مهارات العمال أصحاب الياقات الزرق وأولئك أصحاب الياقات البيض.[٣] انني أؤمن بأننا سوف نتابع خلال السنين العشر المقبلة احداث

---

(٣) "الياقات الزرق" كنية الطبقة الكادحة و"الياقات البيض" كنية المديرين وفئة الموظفين ذوي الرواتب الجيدة.

التغييرات التي ستؤدي الى مجتمع خال فعلا من الطبقات."

طبع حاد! وفيما الامة "تقضم أظافيرها" بقلق صبيحة الجولة الثانية من الاقتراع يوم الثلثاء ٢٧ نوفمبر (تشرين الثاني)، ظهر ميجور، بصفته وزيراً للمال، في حفلة افتتاح المقر الجديد لمصرف ياباني في لندن، وهو موعد تم الاتفاق عليه سابقا. فبدا هادئا ومقتضبا كالعادة، وقال بابتسامة: "انه لأمر سارّ جداً أن يكون لدى المرء عمل مثير يقوم به في فترة ركود وضجر."

واظهرت النتائج التي أعلنت في السادسة والثلث مساء ان ميجور خسر الجولة بفارق صوتين فقط. فاعترف هزلتاين بهزيمته بعد دقائق، وسرعان ما ألقى هيرد سلاحه هو أيضا، ليصبح ميجور زعيم المحافظين ورئيسا للوزراء.

انصبّت هذه الخاتمة في منحى الصعود "الصاروخي" الاخير لجون ميجور ذي الاعصاب الباردة. ففي يوليو (تموز) ١٩٨٩ عُيّن وزيراً للخارجية، واحتفظ بالمقعد، كما يقول هو ساخراً، "لفترة تكاد لا تكفي لأعرف أين تقع بوركينا فاسو." وعين بعد ثلاثة اشهر وزيرا للمال.

المدهش أن ميجور لم يثر حوله عداوات كثيرة خلال صعوده السريع، على رغم ما يقال من أن سحره الهادىء يخفي "بعضاً من طبع حاد" وأن في وسعه ان يكون لاذعا. وهو شبّه مرة عضواً معارضا في البرلمان، دأب على مقاطعة مناظرة، بـ"ببغاء مهتاجة تعاني امساكا." ومع ذلك يعتبر ميجور أعضاء عماليين في البرلمان من بين أصدقائه القدامى.

وعلى رغم مظهر ميجور الرقيق، يبدو أن التعابير الهازئة التي أطلقتها الصحافة والمنافسون السياسيون خلال الحملة الاخيرة والتي اعتبرته "ابن تاتشر المدلل،" لا تقوم على حقائق. فعبر السنين، أثبت ميجور أنه لا يساوم في مبادئه السياسية: عطف على الضعيف وبناء بريطانيا تؤمن بالجدارة حيث يستطيع الناس من كل الخلفيات بلوغ القمة. وهو قال في مقابلة أجريت معه حديثا: "انني أقل اهتماما بالاغنياء والقادرين، فهم يتدبرون أمورهم دائما. اهتمامي منصب على الناس الذين يعملون بجهد ولم يصلوا بعد ويحسون أنهم عالقون في مصيدة."

حادث في نيجيريا. لا يختلف ماضي ميجور كثيراً عن ماضي أي عضو محافظ في البرلمان. كان أبوه طوم في السادسة والستين عندما ولد في العام ١٩٤٣، وقد عاش حياة قلقة كفنان بهلواني ومغن في مسارح المنوعات وكاتب أغنية ومدير فرق فنية ورجل أعمال متعدد الاهتمامات. لكن هذه الاعمال كلها اتخذت منحى انحداريا عندما كان جون في العاشرة، واضطرت العائلة (لجون شقيقة وشقيق أكبر منه سنا) الى الانتقال من منزلها المريح في

جنوب لندن الى غرفتين في منزل قديم من الطراز الفيكتوري في بريكستون، وهي ضاحية تقطنها غالبية من الطبقة العاملة. كان المرحاض دون الغرفتين بثلاث طبقات، والمطبخ مجرد موقد غاز في أسفل السلم.

منحت هذه التجربة ميجور نظرة عميقة الى "الحياة تحت" لم ينسها أبداً. وهو يعلن بانفعال: "ان معظم الناس يرفضون الرعاية، أو أن ينصّ عليهم البيروقراطيون ماذا يفعلون، أو أن ينتظروا المساعدة من الدولة. انهم، ببساطة، يتوقون الى مناخ من العدالة يسمح لهم بأخذ قراراتهم الخاصة وبادارة شؤون حياتهم. ان أقصى ما يمكن أن يأمله رجل السياسة هو المساهمة في خلق هذا المناخ."

لم يفلح ميجور في دراسته، مع أنه حاز منحة من مدرسة راتليش في ويمبلدون حيث تقطن غالبية من الطبقة الوسطى. كان يهتم باللغة الانكليزية والرياضيات والتاريخ، ويعترف بأنه لم يبذل أي جهد في المواضيع الاخرى. لكنه تميّز بلعبة الكريكيت.[٤]

كانت السياسة هواه الآخر. وهو وقف في طابور عام ١٩٥٦ لسماع جلسة الموازنة، ثم جلس مفتونا بالمبارزات البرلمانية الكلامية الحادة. يقول: "لا أعتقد أن لحظة مرت بعد ذلك لم تكن خلالها الرغبة في العمل في مجلس العموم كامنة في مؤخر عقلي."

ترك جون المدرسة في السن السادسة عشرة وعمل كاتباً في شركة تأمين. ثم تدبر وظيفة أكبر دخلا كعامل يدوي، لكنها لم تعمّر طويلا، فاضطر الى الاعتماد على الاعانة الحكومية للعاطلين عن العمل. وعاش تسعة أشهر على أقل من ثلاثة جنيهات استرلينية أسبوعياً قبل أن يجد وظيفة كتابية في مؤسسة الكهرباء الحكومية. ومن هناك انتقل الى أحد فروع مصرف "ديستريكت" ثم الى مصرف "ستاندرد تشارترد" الدولي حيث عمل في قسم القطع الاجنبي. وعندما طلب المصرف متطوعين عازبين للعمل في جوس بنيجيريا، اقتنص جون الفرصة، وكان آنذاك في الثانية والعشرين من عمره.

بعد ستة أشهر، بينما كان ميجور في سيارة أحد أصدقائه، انحرفت السيارة عن الطريق وسقطت عن جرف شديد الانحدار. قُذف جون من خلال الزجاج الامامي كاسرا ضلعين ومهشما ركبته، وأصيبت ساقه اليسرى بكسور متعددة. لم تسمح له حاله بمغادرة نيجيريا قبل ثلاثة أشهر عاد بعدها الى بريطانيا ليمضي سنة أخرى في المستشفى. لقد انتهت أيام الكريكيت، وهو لا يستطيع اليوم أن يسير أكثر من كيلومتر ونصف كيلومتر من دون أن تتورم ركبته.

صدام مع تاتشر. اغرق جون ميجور نفسه في عمله المصرفي وفي الشأن السياسي المحلي في جنوب لندن. خلال الانتخابات المحلية عام ١٩٦٨ تحوّل

(٤) الكريكيت لعبة بالكرة والمضرب.

"مجلس لامبث" المحلي الى المحافظين، وهو واحد من مجالس ضواحي لندن كان يدعم العماليين عادة. وهكذا قدر لميجور الذي رشح نفسه "بروح رياضية" لمقعد لا يمكن الفوز به، أن يجد نفسه عضواً في المجلس. واصبح خلال سنة رئيساً للجنة الاسكان، فمهد الطريق لبيع منازل يملكها المجلس من مواطنين اضطروا الى اخلاء منازلهم بسبب سياسة المجلس في اعادة تخطيط المنطقة. وانشأ مركز استشارات اسكانياً للمقيمين في منازل حكومية وخاصة، ثم بدأ عقد لقاءات شعبية يتمكن خلالها شاغلو المنازل الحكومية من بث شكاويهم. في واحد من هذه اللقاءات المزدحمة ألقت امرأة جرذاً نافقاً على ميجور احتجاجا على أوضاع السكن. فسألها بهدوء عن عنوانها وأدرك أنها تعيش خارج الضاحية فقال لها: "هذا، يا سيدتي، جرذ من ساوثوارك وليس من لامبث."

عندما خسر ميجور مقعده في المجلس عام ١٩٧١، ركّز على عمله كمستشار في شؤون التجارة والاستثمارات في مصرف "ستاندرد تشارترد." وفي السن الثالثة والثلاثين أصبح مدير الادارة في المصرف الذي ضم ٣٥ الف موظف، وكان يحضر المؤتمرات الدولية كمساعد شخصي لرئيس مجلس الادارة.

لم ينسحب ميجور من السياسة كلياً. وفي العام ١٩٧٦ اختير مرشحاً لمقعد محافظ خال للانتخابات التالية. وكان جريئاً وصريحاً في اعلان عقيدته السياسية: "أريد أن أرى الناس يقفون على أرجلهم من دون أن تمسك الدولة المرضعة بأيديهم."

انتخب ميجور عضواً في البرلمان عام ١٩٧٩. وفي العام ١٩٨٣ أصبح "حامل سَوْط"[٥] متدرجاً، وهذا عضو في البرلمان يعهد اليه حزبه في تطبيق الانظمة الحزبية وحمل نواب الحزب على حضور الجلسات المهمة. ثم تولى الوظيفة ذاتها لدى وزارة المال في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٤. وبعد أشهر حصل اصطدامه الخطير الاول مع مارغريت تاتشر بعد عشاء لـ"حاملي السياط" الحكوميين. تحدث ميجور ناقلا قلق نواب القاعدة في حزب المحافظين حيال السياسة الانفاقية للحكومة ومعدلات الاستثمار ومسار الاقتصاد البريطاني. فأثار بعض ملاحظاته رئيسة الوزراء فعارضته.

لكن ميجور أصر على موقفه مشيراً الى أنه مجرد ناقل لآراء الآخرين. وأبرزت تاتشر حقائق وأرقاماً لدعم موقفها، فرد ميجور بمعلومات من عنده. وتبادل الاثنان الآراء بحدة مناقشين الموضوع نقطة نقطة من دون أن يتراجع أحدهما قيد أنملة. وبعد انتهاء الاجتماع ربت دنيس تاتشر كتف ميجور مؤكداً له "ان مارغريت استمتعت بالنقاش. لقد أفادتها محادثتك الصغيرة كثيراً." الا أن الآخرين شككوا في ما اذا كان ميجور أفاد نفسه.

---
(٥) Whip



جون ميجور وزوجته نورما في حديقة بيتهما.

لكن تاتشر دعت ميجور بعد شهرين الى دخول الحكومة وكيلا لوزارة الضمان الاجتماعي. وفي سبتمبر (أيلول) ١٩٨٦ أصبح وزير دولة لشؤون الضمان الاجتماعي والمعاقين، ثم عين في العام ١٩٨٧ وزيراً للمال.

حياة عائلية. في هذه الاثناء حلّقت غالبية ميجور الانتخابية عالياً. وفي انتخابات ١٩٨٧ فاز بفارق ٢٧٠٤٤ صوتا عن أقرب منافسيه، وهذه أعلى غالبية محافظة في البلاد. قالت فيه الناخبة إلسي ثولي: "انه لا يحشر السياسة في بلعومك. انه يعامل الناس كأفراد ويتحمل كل مشقة لمساعدتهم في حل مشاكلهم."

ويركز المطلعون على دور زوجته نورما ذات العينين العسليتين والقوام النحيف، فهي تعمل "دواماً كاملا" على قضايا الناخبين. التقى الزوجان للمرة الاولى خلال انتخابات مجلس بلدية "لندن الكبرى" عام ١٩٧٠. فعرفت نورما للحال أن ميجور هو الرجل الذي تريده. وهي أخبرتني ضاحكة عن الصعوبة التي واجهتها في لفت انتباهه: "أقمت حفلة رائعة، لكنه لم يحضر." الا أن الامور تحسنت قليلا عندما اعترف ميجور بمشاركتها في حب الاوبرا، لكنه نام خلال معظم حفلة موسيقية في حديقة "كوفنت."

بذلت نورما جهدها خلال حياتها الزوجية لتخليص ميجور من ضغوط عمله المنهك. تقول: "اننا لم نحتفل بأي من الترقيات التي حصل عليها جون، فكل وظيفة جديدة تتضمن كمية هائلة من القراءات، سبع حقائب من الاوراق يؤتى بها الى المنزل في نهاية كل أسبوع.".

وهي تمضي يوما أو نحوه أسبوعياً في ١٠ داوننغ ستريت، لكن "البيت" يبقى ذلك المنزل الذي يضم أربع غرف نوم في قرية غريت ستكلي في دائرة زوجها الانتخابية على بعد مئة كيلومتر من شمال لندن. وهي مصرّة بعناد على أن يعيش ولداهما، اليزابيث (١٩ عاماً) وجايمس (١٦ عاماً)، حياة عائلية طبيعية ما أمكن. تقول: "انهما ليسا ممتلكات تعرض على الجماهير."

ينتقل ميجور خلال عطل نهاية الاسبوع الى غريت ستكلي ليكون مع

عائلته فيسترخي ويتجول في الدائرة. وفي لحظات نادرة يغرق نفسه في غرامه المستمر بلعبة الكريكيت، يشاهدها حية على شاشة التلفاز أو يقرأ جداول المباريات.

حرب الخليج. على رغم تلهف ميجور لتأكيد استقلاليته، فهو استمر عموماً في اتباع سياسة سلفه المحلية والخارجية. وقد تحدث بحماسة عن رغبته في تملّك مزيد من البريطانيين عقارات ورساميل وأسهما، ليس لكسب مادي وانما لصوت أفعل يكون لهم في ادارة شؤون وطنهم.

كبح التضخم هو أيضا ضمن أهدافه. يقول: "التضخم لا يؤذي الاعمال والقدرة التنافسية والاستثمارات بل هو قاس خصوصا على العناصر الاضعف في المجتمع، اي المتقاعدين وذوي المداخيل الثابتة." وعلى ميجور أن يواجه بطالة متفاقمة وركودا اقتصاديا متجذرا ومطالب شعبية متنامية لاصلاح النظام الضريبي المحلي بعد الغاء "ضريبة الاقتراع" المثيرة للجدل، وحاجة الى ابراز تعاون واضح حيال قرارات المجموعة الاوروبية، من دون تسليم ما يعتبره الناخبون والبرلمان قطاعات حيوية مما تبقى من سيادة بريطانيا.

استمر ميجور خلال حرب الخليج في دعمه الثابت لقرارات الامم المتحدة. قال: "لا مجال لعقد صفقات ولا لانسحابات جزئية." ولم تكد تمضي أيام على نهاية الحرب حتى ظهر ميجور في الكويت ليشكر الجنود شخصيا.

عندما تخلّت مارغريت تاتشر عن ١٠ داوننغ ستريت في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩٠ بدت، للمرة الاولى في مدى احدى عشرة سنة ونصف سنة، مترددة قليلا، بل على حافة البكاء. لكنها كانت حازمة في نقطة واحدة خلال كلمتها الاخيرة: "في جون ميجور طاقات كامنة تجعل منه رئيس وزراء كبيراً."

ديفيد مولر ■



فوضى بيكاسو

التقى المصور الهنغاري براساي الرسام بيكاسو عام ١٩٣٢ واصبح مصوّره "الرسمي" الاول. وكانت محاولاته التقاط صورة حقيقية لمحترف بيكاسو بمثابة تاطير فوضى عارمة، اذ ان بيكاسو لم يكن يرمي شيئا، لا عود ثقاب ولا قطعة كرتون ولا ايا من الصحف القديمة التي كان يستخدمها الواحا للالوان. فاذا غيّر براساي شيئا في المحترف كان بيكاسو يصرخ، مثلا: "لن تكون الصورة دقيقة. لقد حرّكت خُفَّي. انا لا اطرحه هكذا ابدا."

حتى الفوضى كان لها معنى في نظر بيكاسو.

صحيفة "الاكسبرس"، فرنسا

إعتمر خوذة إن كنت راكب دراجة

صباح أحد أيام يوليو (تموز) ١٩٨٦ انطلقت كريستي بريستر على دراجتها الهوائية ذات السرعات العشر الى مركز عملها في مارييتا بولاية جورجيا الامريكية. وعند أحد المنعطفات انحرفت لكي تتفادى الاصطدام بسيارة مقبلة، فصدمت حاجز الطريق بسرعة ١٦ كيلومترا في الساعة و"طارت" عن الدراجة وسقطت على رأسها في صندوق معدني لشركة الهاتف.

بريستر اليوم مشلولة من رقبتها نزولا، وقدرتها على استخدام ساعديها محدودة. وتقول وهي جالسة في كرسي للمقعدين: "ذلك الصباح عينه كنت أفكر في شراء خوذة."

في ٤ يوليو (تموز) ١٩٩٠ على بعد ٢٤ كيلومترا من مكان اصطدام بريستر، كان هيث واتسن، وهو رافع أثقال عمره



الخوذة المنقذة

PHOTO: © WHITNEY LANE

١٩ عاماً، راكبا وراء روبرت ليدبيتر على دراجته النارية. شاهد ليدبيتر سيارة شرطة، فتوترت أعصابه لكثرة مخالفات السرعة التي نظمت في حقه، فما كان منه الا أن أطلق العنان لدراجته مندفعاً بسرعة ١٣٧ كيلومترا في الساعة. فاصطدمت الدراجة بشاحنة صغيرة وقتل ليدبيتر للحال. أما واتسن فطار حوالى ٢٠ مترا وسقط في الطريق المعبَّدة وانزلق على الاسفلت مسافة ١٠ أمتار، فأصيب بحروق وتأذت ركبته. وهو يقول: "لقد تأكلت خوذتي من جراء الانزلاق." لكنها أنقذت حياته.

في مايو (أيار) ١٩٨٦ كانت كاترينا كارتر (٥ أعوام) راكبة دراجتها ذات العجلتين على رصيف للمشاة في سياتل بولاية واشنطن. ففقدت سيطرتها على الدراجة وهوت واصطدم رأسها بالأرض، ولكن لم يظهر أثر لأي أذى لحق بها. وتتذكر أمها: "كانت تقود الدراجة بسرعة ثمانية كيلومترات في الساعة، ليس أكثر." لكن الصدمة مزقت أحد شرايين الجمجمة. وفي وقت لاحق من ذلك النهار تكوَّنت جلطة ضخمة من الدم على دماغ الطفلة أعجزتها عن التنفس. وبقيت كاترينا ثلاثة أشهر في المستشفى في حال غيبوبة. وهي الآن تمشي مستعينة بسناد على عجلات، لكن ملكة النطق غابت عنها الى الأبد.

الثمن الغالي. يعتقد البعض أن هذه الحوادث الثلاثة مصادفات نادرة. ولكن علينا أن نعي أخطار السقوط عن الدراجات. ألم يكن هيث واتسن محظوظا لنجاته؟

هذه الحوادث هي في الواقع ظاهرة نموذجية لوباء عصري. ففي كل سنة يقتل في الولايات المتحدة وحدها أكثر من ألف شخص نتيجة ركوب الدراجات الهوائية. ويقدَّر عدد الذين تلحق بهم إصابات خطيرة بخمسمئة ألف. أما ركوب الدراجات النارية فيتسبب في مقتل ٤٠٠٠ شخص واصابة مئة ألف بأذى.

واصابات الرأس هي السبب الرئيسي للوفاة في حوادث اصطدام الدراجات النارية، وهي سبب رئيسي أو مساهم في ٨٠ في المئة من الوفيات الناجمة عن حوادث الدراجات الهوائية. لكن هذه الأرقام لا تكشف المأساة الواقعية بكاملها: أن غالبية القتلى والمصابين لم يكونوا معتمرين خوذاً واقية.

نُشرت في "نيو إنغلند جورنال أوف ميديسين" عام ١٩٨٩ دراسة عن حوادث الدراجات الهوائية أجراها الدكتور فريد ريفارا، وهو طبيب أطفال واختصاصي بالصدمات في مدينة سياتل. وقد تبيّن أن خوذ الدراجات خفضت خطر الاصابة في الرأس بنسبة ٨٥ في المئة. لكن الدراسة ذاتها بينت أن ٢٠ في المئة فقط من الراشدين و٥ في المئة من الاولاد في منطقة سياتل يعتمرون الخوذ.

يقول الدكتور ريفارا: "لو مات ٦٠٠ طفل سنويا في هذه البلاد بسبب الالعاب الرياضية في المدارس، لألغينا الرياضة.

ان هذا العدد يموت حاليا بحوادث اصطدام الدراجات الهوائية، لكننا نتغاضى عنه ونبدو راضين."

لماذا لا يزداد عدد الدرّاجين الذين يعتمرون خوذا؟

مردّ ذلك الى أسباب مختلفة، منها أن الدراجين يجدون الخوذ سخيفة ومزعجة، فهي تضايقهم وتعبث بشعورهم. ثم انهم يعتقدون أن الحوادث تقع لأناس آخرين وليس لهم. ويتوهم البعض أن الخوذة تؤذي الرقبة أو تعوق السمع. ويتذرع آخرون بأن الخوذ غالية الثمن.

في الامكان شراء خوذة دراجة هوائية بنحو ٥٠ دولاراً وخوذة دراجة نارية بنحو ١٥٠ دولاراً. أما كلفة العناية مدى الحياة بشخص تلقى اصابة خطرة في رأسه فتناهز أربعة ملايين دولار.

سقوط على وسادة. يقول هاري هورت مدير مختبر أبحاث حماية الرأس في جامعة جنوب كاليفورنيا والمحقق الرئيسي في دراسات تشمل ٢٠٠٠ حادث اصطدام لدراجات نارية و٨٠٠ حادث لدراجات هوائية: "الاذى الذي يلحق بالرأس لا يعود الى سرعة الدراجة، بل الى المسافة العمودية، أي تلك التي يقطعها الرأس قبل أن يسقط ويضرب الارض. فاذا وضعت دراجة نارية الى جانب دراجة هوائية جيدة، تجد أن راكب الدراجة الهوائية يسقط عموديا مسافة أطول من المسافة التي يسقطها راكب الدراجة النارية."

ويضيف ديفيد ثوم الباحث المساعد في المختبر: "لا يستغرق سقوط رأسك عن الدراجة الهوائية الى أرض الشارع الا نصف ثانية، أو ما يعادل طرفة عين لا يتاح لك خلالها حماية رأسك."

لماذا تُحسب للمسافة العمودية تلك الأهمية؟

يجيب هورت: "إن متوسّط ارتفاع الجالس على دراجة هوائية هو ١٥٩ سنتيمتراً. فمن هذا الارتفاع يضرب الرأس الارض بسرعة ٢٠ كيلومتراً في الساعة، وهذه السرعة تلحق بالدماغ أذى يتعذر اصلاحه."

وأظهرت دراسات أخرى في جامعة جنوب كاليفورنيا أن سقطة من ارتفاع ١١٥ سنتيمتراً بسرعة ١٨ كيلومترا في الساعة قد تلحق بالدماغ أذى قاتلا. لكن توفير وقاية للرأس قد يغير ذلك كله. فالخوذة مبطنة غالبا بمادة "بوليستيرين" الشبيهة بالبلاستيك الاسفنجي الذي تصنع منه أكواب "الكرتون"، لكنها أكثر كثافة. وعند وقوع الاصطدام تُسحق حشوة البوليستيرين التي تبلغ سماكتها حوالى سنتيمترين فتمتص قوة الصدمة.

ويشرح جيم فيف ما يحدث، وهو مدير تنمية الانتاج في "مركز ماونتن لأبحاث السلامة" في سياتل: "ان اصطدامك بالارض وأنت معتمر خوذة يشبه، الى حد ما، سقوطك على رأسك على وسادة قاسية محشوة سماكتها ٣٠ سنتيمتراً."

ويضيف هورت: "تبين لنا أنه نادراً ما

يقتل راكب دراجة اذا سقط مباشرة على أرضية معبّدة وهو معتمر خوذة."

وبينت دراسة أجرتها شركة "جنرال موتورز" عام ١٩٨٨ انه كان في الامكان نجاة اكثر من ربع مجموع راكبي الدراجات النارية الذين قتلوا وهم لا يعتمرون خوذاء، لو كانوا يعتمرونها لحظة الاصطدام. وكانت وزارة النقل في الولايات المتحدة رعت تحقيقاً أجراه هورت وزملاؤه وشمل ٩٠٠ حادث اصطدام لدراجات نارية، استُنتج منه أن الخوذة الواقية هي العامل الاهم في تحديد فرص النجاة.

واذا اعتبرنا أن الاولياء هم المسؤولون مباشرة عن حماية أولادهم من الحوادث القاتلة، فماذا عسى هؤلاء ان يفعلوا؟

نقول للاولياء: شجعوا اولادكم على اعتمار خوذ. ففي امكانكم شراء خوذ للدراجات الهوائية من المتاجر المختصة.

ويُنصح راكبو الدراجات النارية باعتمار خوذ تغطي الوجه لانها توفر لهم حماية أكبر مما توفره الخوذ المفتوحة.

يقول الدكتور دونالد ليسلي المتخصص باصابات الرأس: "تنطوي حوادث اصطدام الدراجات النارية والهوائية على عوامل كثيرة لا يمكن التحكم فيها. ولكن ثمة شيء واحد يمكن التحكم فيه: الخوذة."

ويتني لين ■



"ماما" اخرى!

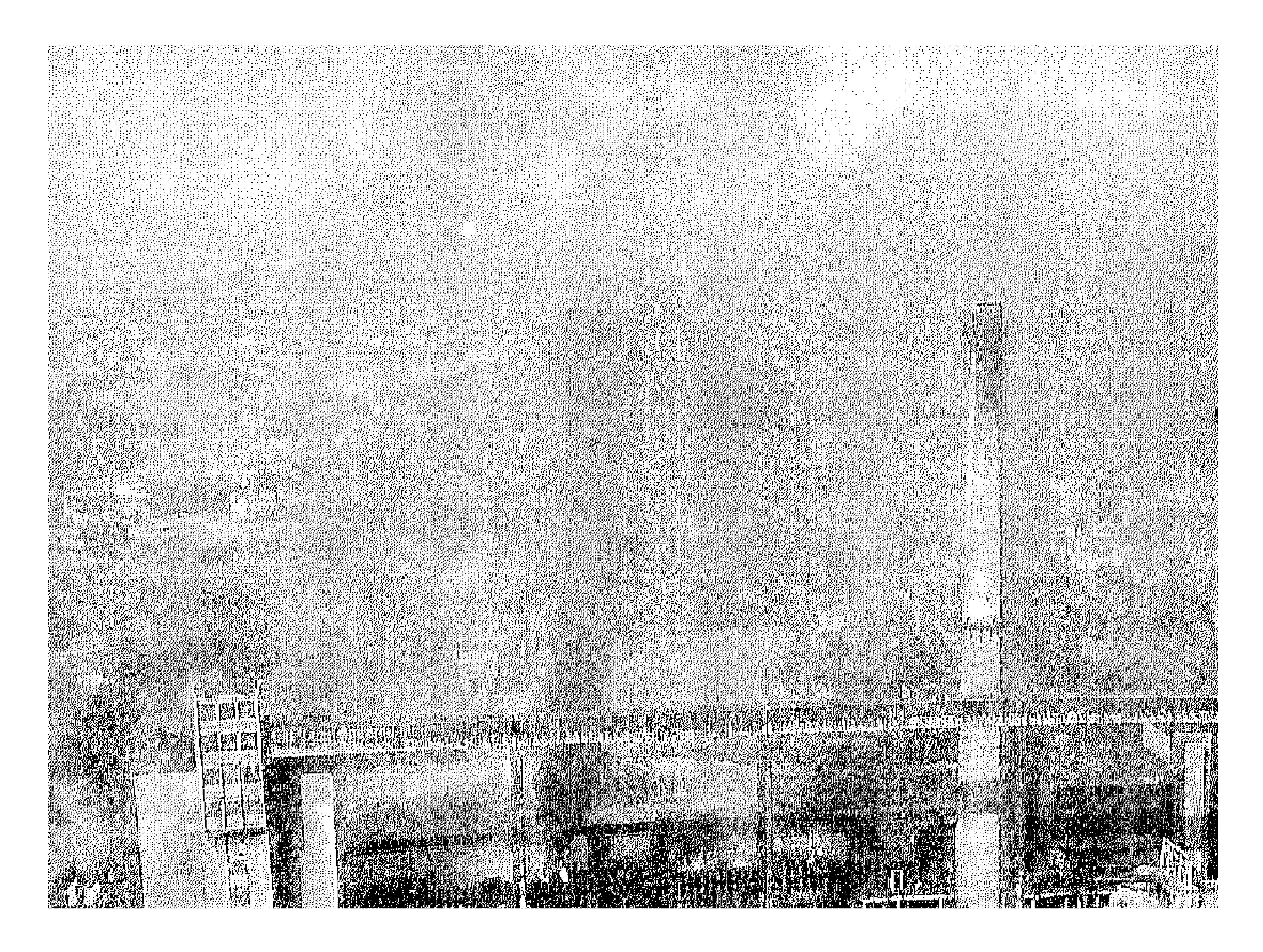
رددت يوماً على الهاتف حيث اعمل فكان الحديث الآتي:
"مرحبا ماما: ماذا تريدين مني ان افعل اليوم؟"
فاجبتها: "اعتقد اننا قررنا ذلك مساء امس، فانت ستغسلين الصحون وتمسحين ارض المطبخ وتنظفين الحمام."
وران صمت لبرهة ثم سمعت: "اوه، الرقم غلط." واقفلت المتكلمة السكة.

م.م.

اسباني من الهند

درّستُ الانكليزية لاجانب راشدين حضروا صفوفاً مسائية. وكان جميع الطلاب يتكلمون الاسبانية باستثناء شاب هندي كنا ندعوه مايك. وبعد اشهر ابدت احدى الطالبات ملاحظة مؤداها ان مايك "حين باشر التعلم كان عاجزاً عن تكلم الانكليزية، اما الآن فبات يتقن الاسبانية."

م.ف.



التلوث يعيدنا إلى الكهوف!

**من حرائق آبار النفط في الكويت
الى تطور التصنيع في العالم العربي، نجد أنفسنا مقبلين
على عصر يصبح فيه التلوث قضية حياة أو موت.
وهذا المقال عن أخطار التلوث في أوروبا - الغربية
والشرقية على السواء - يدق ناقوس... النجدة**

منجم في بولونيا ينفث الدخان في الهواء الملوّث اصلا.

في الرواق المعتم خارج احدى العيادات المتخصصة بالرئة في بودابست يتردد صفير وأصوات تنفس مُجهَد. انها منبعثة من عشرات المجريين من كل الاعمار الذين احتشدوا منتظرين دورهم للدخول وتنشق ابخرة الملح لمدة خمس عشرة دقيقة في إحدى "حجرات التنشق" الخمس في العيادة، وهي بحجم اكشاك الهاتف. واذ خرجت امرأة من الضباب المنعش ومعها طفلها ابن السنتين المصاب بالربو، قال أحد الاطباء: "هذا يشبه الاغتسال في البحر."

في اشدّ ايام التلوث، تعالج العيادة اكثر من ١٨٠ شخصا ينشدون فترة راحة وفرج من الهواء الدبق البني في الخارج. وثمة أناس آخرون يلجأون الى الكهوف الجوفية المنتشرة في البلاد حيث يستطيعون تنشق الهواء النقي. ويقدر بعض العلماء والأطباء أن ١٠ في المئة من الوفيات في المجر (هنغاريا) تعود مباشرة الى التلوّث. ويضيفون أن المشكلة أكثر تفاقما في بعض مناطق تشيكوسلوفاكيا وبولونيا وألمانيا والاتحاد السوفييتي. أما أولغا بانلاكي (٧٥ عاما) التي تنتظر دورها في العيادة فتقول: "في هذا الجزء من العالم لا يمكنك الركون الى سلامة التنفس."

وعلى بعد حوالى ٢٥٠ كيلومترا غربا تختنق غابات في النمسا تحت وطأة الهواء الملوّث. ويقول العالم ستين نيلسون من "المعهد الدولي لتحليل الانظمة التطبيقية" في لاكسنبرغ القريبة من فيينا: "ان كثيراً من الاشجار في هذه البلاد سقيم ومجهَد، ويعود معظم السبب الى تلوّث الهواء والى المطر الحمضيّ. وتنطبق هذه الحال على ٧٥ في المئة من غابات أوروبا."

مياه غير آمنة. الوضع خطير منذ وقت طويل في أوروبا الوسطى، لكن رياحا بغيضة تجتاح أجواء الغرب أيضا وتمطر مقادير كبيرة من الفضلات الكيميائية. أما الآن وقد شرّعت أوروبا الشرقية أبوابها، فان فداحة كارثة التلوث التي ظهرت فيها أذهلت المتخصصين بشؤون البيئة. وتستنتج مجموعات علمية بارزة أن أوروبا الغربية لن تتقدم كثيراً في "تنقية أوساخ بيتها" ما لم تساعد جيرانها. ويقول العالم رود شو من "المعهد الدولي لتحليل الانظمة التطبيقية" الذي أدار دراسة لايجاد فضلى الطرق غير المكلفة والفاعلة في خفض تلوث الهواء في أوروبا: "ان مساعدة أوروبا الشرقية في تنقية أجوائها ستكون الطريق الأسرع والاقل كلفة لتخفيف تلوث الهواء في جزء من أوروبا الغربية."

ويفيد الباحثون الذين يدرسون شؤون الهواء في أوروبا، أن العقد الفائت شهد زيادة ملحوظة في تأثيرات تلوث الهواء. فالملوّثات التي تحملها الرياح وتسقط على الأرض مع المطر تتآكل الأبنية الحجرية وتسمّم التربة وتبيد الحياة في البحيرات والأنهار... وأحيانا على بعد

مئات الكيلومترات من مصادرها. وهي تتجمّع أيضا في أنسجة الرئتين لدى البشر وتساهم في ارتفاع اصابات انتفاخ الرئتين والربو والسرطان.

ويضيف علماء في جامعة هامبورغ أن التلوث المحمول في الهواء هو أحد أسباب تحوُّل بحر الشمال أحدَ المجمَّعات المائية الرئيسية الاشد تلوثا في العالم. وثمة ٤٠ في المئة من شواطىء هذا البحر غير آمنة للسباحة.

وباستثناء الاتحاد السوفييتي، تنفث بلدان أوروبا الشرقية والغربية في الهواء أكثر من ٣٥ مليون طن من ثاني أوكسيد الكبريت سنويا. وهي تعادل في خطورتها مقادير أوكسيد النيتروجين الهائلة، وهو الغاز السامّ ذو اللون الاحمر القاتم وأحد مركَّبات الابخرة التي تنفثها عوادم السيارات. وفي مثل خطورتها أيضا المعادن الثقيلة كالرصاص والزئبق والكادميوم والزنك والنحاس. يقول يان فرنسين الاختصاصي بتلوث الهواء في أحد معاهد البيئة* في أوترخت بهولندا: "من الواضح الآن أن الوضع أسوأ كثيرا مما كنا نعتقد قبل سنة فقط."

بقعة ساخنة. سيستمر تلوث الهواء قضية مقلقة تجدر معالجتها فيما تحاول دول أوروبا الشرقية كسب مساعدة الغرب لتجديد أنظمتها الاقتصادية المنهارة. فرغبة هذه الدول في شراء مزيد من السيارات والادوات المنزلية في فترة قصيرة الاجل تفرض على الغرب زيادة انتاجه من الطاقة زيادة كبيرة. وهناك مشروع لزيادة انتاج الطاقة الكهربائية في أوروبا الشرقية نحو ٥٠ في المئة بين ١٩٩٥ و٢٠٠٥. ويقتضي تحقيق هذا الهدف احراق مزيد من الفحم الحجري القاسي والفحم البنّي الذي يحوي نسبة مرتفعة من الكبريت. ويؤكد أحد خبراء البيئة في المجموعة الاقتصادية الاوروبية: "ثمة معالجات كثيرة تهدف الى انتشال أوروبا الشرقية من أزمتها الاقتصادية، لكنها تؤدي الى بروز مشاكل بيئية تفوقها ضخامة." والمجموعة الاوروبية عاكفة على تنسيق الاعانات الغربية الى دول أوروبا الشرقية، وقد انضمت اليابان وكندا والولايات المتحدة الى الجهود المبذولة لتنقية الهواء في أوروبا.

والداعي الملحّ الى هذا الكفاح هو الرغبة في انقاذ أشجار أوروبا وصناعتها الحرجيَّة التي تقدَّر بمليارات الدولارات. ففي العقدين الفائتين أدى تراكم ترسّبات ثاني أوكسيد الكبريت وملوّثات أخرى في تربة أوروبا، الى اعاقة نمو الاشجار في معظم غاباتها والى تقصير أجلها، فأصبحت أكثر استعدادا للابتلاء بالأمراض. و"البقعة الساخنة" المنبسطة عبر تشيكوسلوفاكيا وجنوب بولونيا وجنوب شرق المانيا قد تُبتلى قريبا بمستوى عال من الحمضيَّة في التربة والماء بحيث لا يبقى فيها شيء قابل للحياة.

(*) Stichting Natuur en Milieu

ويأمل الاختصاصيون، من طريق اعادة بناء الاقتصاد وأخذ قرارات اكثر ديموقراطية، وضع حد لبعض أسباب التلوث الرئيسية في أوروبا الشرقية، ألا وهي النفايات الصناعية وانعدام الفاعلية. ويأملون أيضا أن تساهم التغييرات التي طرأت على أوروبا الشرقية في اقناع أوروبا الغربية بتبني سياسة أوروبية جامعة حقيقية تغني عن البرامج الفردية المعتمدة حاليا والباهظة التكاليف. ويرى روبرت براي مدير "المعهد الدولي لتحليل الانظمة التطبيقية" أن "مجرد التفكير انانيا في المشكلة يؤدي الى الاستنتاج أن الدول الغنية تحتاج الى مساعدة الدول الفقيرة في تنقية البيئة. وذلك لا يعدو كونه مصلحة ذاتية متنورة."

مشكلة موازنة. في دراسة حديثة اجراها علماء المعهد أن الاوروبيين، بالعمل معا في سبيل خفض التلوث في أوروبا الشرقية، لن يوفّروا مالا فحسب، بل سيحققون نجاحا أكبر في مكافحة المشكلة الاجمالية التي تواجههم. فاذا اتخذت أوروبا منحى انفراديا، واتجهت كل دولة على حدة الى مكافحة التلوّث وتنقية الهواء الى مستوى آمن لمعظم الاشجار، فان الكلفة الاجمالية ستبلغ ٤٥ مليار دولار سنويا على مدى أجيال مقبلة. ولكن في المستطاع خفض هذا المبلغ الى ١٦ مليار دولار سنويا والحصول على النتيجة ذاتها لو حوّلت الدول الغربية قسما من موازناتها المخصصة للبيئة الى دول أوروبا الشرقية لمكافحة التلوث المنتقل عبر الحدود.

وهذا التفكير هو ما يحفز ألمانيا على التخطيط لزيادة الانفاق في جزئها الشرقي. ففي يوليو (تموز) ١٩٨٩ – قبل الاتحاد – اتفقت الالمانيتان على برنامج توظيف مشترك تساهم فيه ألمانيا الغربية بمبلغ ٣٠٠ مليون مارك (نحو ١٦٥ مليون دولار) وهدفه مساعدة ألمانيا الشرقية في تحويل مولداتها الكهربائية الى العمل بوقود أنقى من الفحم الحجري المستخدم حاليا. وذلك يؤدي الى خفض الضباب الدخاني المنتشر في أجواء الحدود المشتركة. لكن موازنات الدول الاوروبية الأخرى مشدودة الى أقصى الحدود، فمن الصعب حملها على المساهمة في مكافحة التلوّث. ويؤكد يان فرنسين أنه، شخصيا، لن يؤيد عصر النفقات في هولندا للمساعدة في خفض التلوّث الآتي من ألمانيا الشرقية. ويضيف: "مثاليا، يتعين علينا القيام بالامرين معا."

ويبرز التناقض ايضا في طريقة انفاق المال. فالبعض يقول بابدال كل معمل طاقة في أوروبا الشرقية بمحطات طاقة عصرية تستخدم محركاتها وقودا أكثر نظافة، كالغاز الطبيعي. لكن نفقات باهظة تترتب على هذا الاتجاه، مما يدفع الخبراء الى صرف النظر عنه باعتباره غير واقعي. الا أن خطة الغاء المعامل ومحطات توليد الكهرباء غير الفاعلة والباهظة التكاليف ليست الحل الافضل

المنشود، لانها تؤجّل – فقط – الانتقال الى استخدام مولّدات للطاقة أكثر فاعلية.

غيمة معلّقة. نظرة الى مصادر التلوّث في اوروبا تدل على مدى صعوبة ازالته. فمعظم السخام المحمول في الهواء يأتي عبر الحدود حيث ترمي البلدان مشاكلها على جيرانها مما يضفي على كل مشكلة تلوّث بعداً وتعقيدات دولية. فنهر الدانوب، مثلا، يجري متلويا من المانيا الغربية والنمسا عبر تشيكوسلوفاكيا والمجر ويوغوسلافيا ورومانيا وبلغاريا، مكوّنا جزءاً من حدود كل منها. وعلى ضفاف النهر معامل الخشب والورق والصلب والحديد ومصافي النفط ومصانع الاسمنت والمواد الكيميائية ومعالجة الفحم الحجري والمعادن وتكرير السكر والتعليب.

وثمة منطقة ساخنة أخرى تمتد من كراكوف في جنوب بولونيا نزولا الى جبال تاترا في شمال تشيكوسلوفاكيا. فوق هذه البقعة غيمة واسعة من ثاني أوكسيد الكبريت وأوكسيد النيتروجين ومواد كيميائية أخرى تبقى معلقة في الهواء على مدار السنة، فتظلل الصناعات الثقيلة على جانبي الحدود وتسبب توتراً بين البلدين وتقضي على السياحة.

أخبرني أحد موظفي الفنادق متحسّراً، أن المتزلجين والمتنزهين في التلال الجميلة القريبة من زيلينا في شمال تشيكوسلوفاكيا ليسوا بالكثرة التي كانت المنطقة تشهدها قبل عشر سنين. وتظلل البلدة غيمة مشبعة بالروائح المنبعثة من مداخن المصانع الكيميائية ومعامل الورق. وشاحنات النقل المتثاقلة في الطرق المتحدرة المتعرجة تنفث من عوادمها غيوما سودا من الدخان الملوث بالزيت فيترسّب على كل شيء.

لا يزال، حتى على الدول الغربية، اجتياز مرحلة طويلة. ففي أحدث دراسة لمنظمة الصحة العالمية، بين ١٩٨٠ و١٩٨٤، تبين أن معدّل التلوّث بثاني أوكسيد الكبريت في ٢٣ مدينة كبرى كان أعلى من المستويات المقبولة. وقد شملت الدراسة سبع مدن أوروبية هي ميلانو وباريس ومدريد وفرنكفورت وبروكسل ولندن ودبلن. في الفترة ذاتها سُجّلت في اثينا ولشبونة مستويات تلوث غير صحية بمواد دقيقة أخرى معلّقة في الهواء.

يقول كارلو ريبا دي مينا مفوض البيئة لدى المجموعة الاوروبية، إنه سيسعى الى حمل البلدان الاعضاء على الاتفاق على تبني مشروع جديد أقوى لتنقية الهواء في الغرب ولمساعدة البلدان الشرقية أيضا.

ولكن ما لم تبادر الدول الاوروبية الى انفاق جزء أكبر من موازناتها المخصصة لمكافحة التلوّث في أوروبا الشرقية، فان خبراء كثيرين يتوقعون ان تزداد الحال سوءاً. وينبّه رود شو من "المعهد الدولي لتحليل الانظمة التطبيقية": "الامور تتغير، لكني لست متأكدا من أنها تتغير بالسرعة المطلوبة."

مارك م. نلسون ■

لمعات محبة

سائقون محسنون

جلست امرأة شابة في زاوية داخل مطعم قريب من موقف للشاحنات في شرق تنيسي واستسلمت للبكاء، ووقفت الى جانبها طفلتان في الرابعة والخامسة من العمر تراقبانها مهمومتين.

وكان ورد اتصال على المخفر يفيدنا بالوضع، فأُرسلتُ للاطلاع على الامر.

واذ دنوت من العائلة لاح الخوف في عيلي الطفلة الكبرى فقالت بعفوية: "لقد تركنا أبي وأنزل أمتعتنا من السيارة ورحل بينما كنا في الحمام."

قلت لها: "هكذا اذاً يا سيدتي الصغيرة. هيا اجلسي أنت وشقيقتك هناك واطلبي طعاماً لكما."

فابتعدتا على مضض، وأشرت الى النادلة لكي تهتم بهما.

وسألت والدتهما: "ما المشكلة؟"

فأجابتني وهي تمسح عينيها بظاهر كفها: "كما قالت لك ابنتي. زوجي ليس قاسياً، ولكن لم يعد لدينا أي مورد للرزق، وهو ظن أننا سنلقى مساعدة ان هو تركنا."

— هل لديك أقارب؟

"أجل، ولكن في شيكاغو."

جلسنا نتداول أسماء الجمعيات والمؤسسات التي يمكن اللجوء اليها. وقدمت النادلة الى الطفلتين شطيرتي نقانق مع بطاطا مقلية. وحين توجهت الى الصندوق وأخرجت محفظتي لادفع ثمن الطعام بادرتني النادلة: "هذه تقدمة من صاحب المطعم، فنحن على علم بما يجري."

في تلك اللحظة اقترب من الصندوق رجل ضخم يرتدي سروال جينز وقميصاً قطنياً وقبعة رياضية وناداني: "حضرة الشرطي!"

لاحظت أن الاحاديث همدت وأن عيون الزبائن شاخصة الينا، وغالبيتهم من سائقي الشاحنات. ثم ناولني الرجل حفنة من الاوراق النقدية قائلاً: "لقد جمعنا ما يكفي لمساعدة السيدة وابنتيها على المضي في وجهتهن."

فقلت له: "أنا أكيد أن السيدة ستكون ممتنة. فهل أعلمها باسمك؟"

فرفع يديه متراجعاً: "لا، قل لها ان المبلغ من أصدقاء هم أيضا أرباب عائلات."

كان المبلغ كافياً لشراء بطاقات حافلة الى شيكاغو وما يلزم من طعام طوال الطريق. وبكت المرأة ثانية عندما أعطيتها النقود.

وبعد دقائق دنا زوجان وولداهما من الطاولة محاولين التخفيف عنها. واتصلت بالمخفر لابلغ عن تسوية الامر.

غالباً ما يتعرف الشرطي الى الناحية البغيضة من الناس، لذا من المفرح أن يجد من يذكِّره بأن المحبة واللطافة موجودتان في الشارع، حتى في محطة للشاحنات شرق تنيسي.

ديفيد هانتر

في "نوكسفيل نيوز سنتينل"

عهد طبيب

روجر بيلي شخصية فريدة قلما يقدَّر لنا التعرف الى مثلها الا في الافلام السينمائية. فهو طبيب يعود المرضى في منازلهم ويعرف أسماء المئات منهم ويناوب ٢٤ ساعة في اليوم. ولا خوف عليه من ألا يحظى بتقدير سكان آشلاند ومين والبلدات المجاورة، فقبل ثماني سنوات رفع هؤلاء السكان ضرائبهم طوعاً للمساهمة في ارساله الى كلية الطب ليتعلَّم ويصبح طبيبهم.

ففي تلك الفترة كان أقرب طبيب الى آشلاند وجوارها (٣٠٠٠ نسمة) يعيش في بريسك ايل على بعد ٣٠ كيلومتراً. وحده روجر بيلي، المساعد الطبي آنذاك، كان يعنى بمرضى آشلاند.

يقول راي بولييه آمر شرطة آشلاند آنذاك: "كان روجر يشارك في كل صغيرة وكبيرة بما في ذلك فرق الاسعاف وحركة الشبيبة. وكانت زوجته تدرِّس الاقتصاد المنزلي في المدرسة الثانوية، وكانا معروفين ومحبوبين."

شهد بيلي تعاقب الاطباء على آشلاند وأدرك أن حلم حياته في أن يصبح طبيباً ربما لم يمت، وكان تخلى عنه بسبب تكاليف التخصص الباهظة. يقول: "فكرت في أن البلدة اذا ساعدتني على دفع التكاليف ففي مستطاعي استدانة المبلغ المتبقي فأدرس وأعود لممارسة الطب هنا."

هكذا دوَّن بيلي عقداً رسمياً وتوجه الى مجالس البلدات الست في منطقة آشلاند شارحاً للاعضاء أن ارساله الى كلية الطب سيكلف كل رجل وامرأة وطفل ٥،٣٥ دولارات في السنة من ضريبة الملكية المضافة. وفي المقابل، تعهد بيلي العودة الى المنطقة وممارسة الطب لثماني سنوات على الاقل (أي سنتين لكل سنة تخصص دفع السكان تكاليفها). وتم الاتفاق على العقد بالاجماع في البلدات الست.

غاب روجر بيلي عن آشلاند سبع سنوات أمضاها في دراسة الطب

والتخصص. وعاد في أغسطس (آب) ١٩٨٩ ليبدأ ممارسة طبية حافلة. قال أحد زبائنه أخيراً: "لقد كان ارساله الى كلية الطب فكرة جيدة، بل جيدة جداً. أنا في التاسعة والتسعين من عمري، وأعرف ما هو جيد."

مايكل ريان

في "باراد"

جوهر التعليم

كان "تي جي" ضخم البنية، أشعث الشعر، هادئاً، منسياً. وكان يجلس وحيداً في مؤخر الصف حيث أعلِّم في المدرسة الثانوية، ولا يأتي أي حركة. فلا يشارك في النقاش ولا يكتب الفروض ولا يقدم الامتحانات ولا يحضر دروسه. فرسب.

أثار هذا الفتى الغريب فضولي فراجعت سجله. وتبين لي أن والدته توفيت وأنه يعاني مشاكل مع والده. فاتضحت لي أسباب استسلامه وأسفت لحاله. وفي السنة التالية عاد الى الانطواء. وذات يوم خلال نقاش في الصف حول موضوع "تقدير الذات"، طلبت من التلاميذ تثبيت ورقة بيضاء على ظهورهم والتفتيش عن خمسة رفقاء لا تربطهم بهم معرفة جيدة فيكتب كل منهم صفة حسنة عن حامل الورقة. ثم طلبت منهم قراءة أوراقهم بصمت وكتابة بضعة أسطر يصفون فيها أنفسهم من خلال نظرة الآخرين اليهم.

وللمرة الاولى امتثل "تي جي" لما طلب منه.

في ما بعد، سألني "تي جي" أن أسمح له بتقديم ملصَّقة* عن شخصيته في الصف. وعلى رغم انه كان يفترض تقديم الملصقة قبل شهر فانني رحبت بطلبه.

وفي اليوم التالي عرض "تي جي" ملصقته التي تضمنت ثلاث مجلات زراعية وُصلت بخيط قنَّب. وهو أخبرنا أن عائلته تعمل في الزراعة وأن الخيط يبقي حياته متماسكة. وعلّق في أسفل الملصَّقة الورقة التي كانت على ظهره وقد كتبت عليها عبارات: "لطيف"، "مضحك"، "شعر جميل"، "شخص ودود" و"محب."

علّقتُ الملصقة عاليا ليراها الجميع. وعندما عاد "تي جي" الى مكانه نقل كرسيه الى جانب التلاميذ الجالسين في الصف الاخير. ورحت أقاوم دموعي، بينما لزم التلاميذ الصمت وقد شعروا للمرة الاولى بأهمية حضور "تي جي."

أما "تي جي" فقد كانت تلك اللحظة بالنسبة اليه بداية ارتباط.

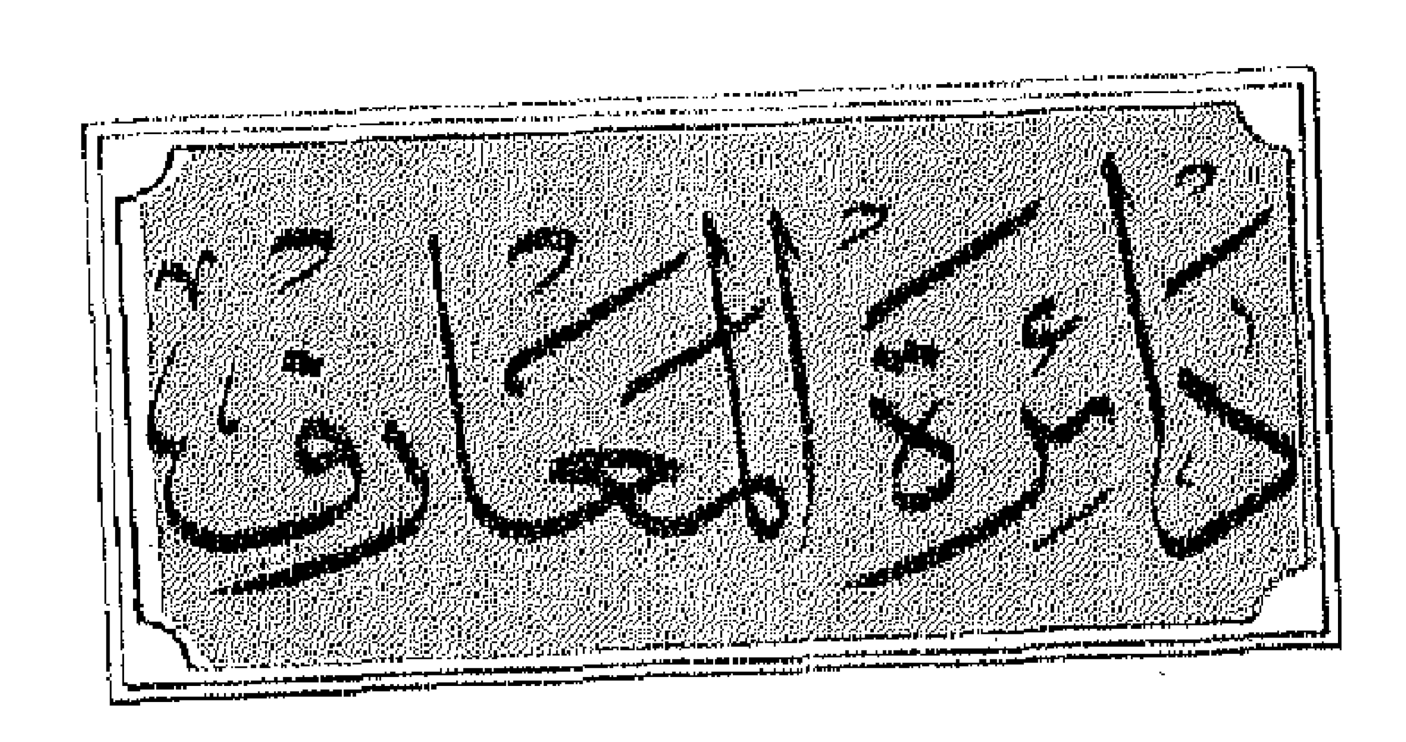
تخرج "تي جي" في المدرسة الثانوية. ولدى مروره أمامي خلال الاحتفال بردائه المتطاير وقلنسوته المنحرفة وشهادته التي رفعها عاليا، ابتسم لي وصافحني وغمزني بعينه.

لقد علّمني "تي جي" جوهر التعليم.

سوزان كانينغهام أوكر

في "بالتيمور ايفننغ صن"

(*) الملصَّقة (collage) رسم مؤلف من قصاصات صحف واعلانات وسواها ملصقة على سطح صورة.



تضم دائرة هذا العدد مضافات نسبت الى اشخاص فشاعت حتى ضرب بها العرب المثل.

كنوز قارون: يضرب بها المثل في ما يستعظم قدره من نفائس الاموال. وجاء في رسالة للخوارزمي: "لو كنا نعمل على قَدْر النية لحملنا إليك خَراج فارس وعُشر الاهواز ودَخْل البصرة وتاج كسرى وإكليل شيرين وكنوز قارون وعرش بلقيس.

مواعيد عرقوب: يضرب بها المثل في الكذب والخلف. وعُرقوب رجل من خَيْبَر، أتاه أخوه يسأله، فقال له عرقوب: اذا أطلعت تلك النخلة فلك طلعها. فلما أطلعت أتاه فقال له: دعها حتى تبلح. فلما أبلحت أتاه فقال: دعها حتى تُزهي. فلما زهت قال: دعها حتى تُرطب. فلما أرطبت قال: دعها حتى تُتْمر. فلما أتمرت سرى اليها عرقوب من الليل فجدَّها ولم يعطِ أخاه شيئا. فسرت مواعيده مثلا سائرا في الامثال.

واو عَمْرو: تضرب مثلا لما لا يُحتاج اليه. وأول من ضرب المثل بها أبو نواس حيث قال لأشجع السُلَمي:

أيها المدعي سُليمى سَفاها
لستَ منها ولا قلامة ظُفرِ
إنما أنت من سُليمى كواوٍ
ألحقَتْ في الهجّاء ظلما بِعَمْرِ

شبديز كِسرَى: مِن خصائص كسرى بن أبَرويز أن الناس لم يروا أحدا قط في زمانه أمدَّ قامة ولا أتم خلقة ولا أوفر جسامة ولا أبرع جمالا منه، فكان لا يحمله الا فرسه شبدين، وكان في الأفراس كَهوَ في الناس، يُضرب به المثل في عظم الخَلق وكرم الخلق، وجمع شرائط العِتْق.

ولما مات شبديز لم يَجسُر أحد على نعيه اليه، فضمِن صاحب الدواب للفلهيد المغني مالا، وسأله أن يعرِّض لأبرَويز بموت شبديز، فقال وهو يغنيه في مَجلسه:

شبديز لا يَسمَى ولا يرعى ولا يَنامُ

فقال أبرويز: قد مات إذا! فقال الفلهيد: من المَلك سمعت. ثم كان ابرويز بعدُ لا يحمِله إلا فيل من أفيلته، وكان ألطفَها بدنا، وأعدلَها جسما.

سيرة أزدشير: من حسن سيرته أن له كتابا في حُسن السيرة يُضرب المثل به، وتَقتَبس الملوك من أنواره، فمن نكته قوله: إذا رغب المَلك عن العدل رغبتْ الرعية عن الطاعة. لا صلاح للخاصة مع فساد العامة، ولا نظام للدهماء مع دولة الغوغاء. أوحش الاشياء عند الملوك رأس صار ذَنَبا وذَنَب صار رأسا. لا سلطان الا برجال، ولا رجال الا بمال، ولا مال إلا بعمارة، ولا عِمارة إلا بعَدْل وحُسن سياسة.

ومن كلامه: القَتْل أنْفى للقتل. وأجلّ منه في معناه قولُ الله تعالى: ﴿ولكُمْ في القصاص حياة يا أولِي الألبابِ﴾.

حوليّات زُهير: يُضرب بها المثل في جيّد الشعر وبارعه: وهي أمهات قصائده، وغُرر كلماته التي كان لا يعرض واحدة منها حتى

يحول عليها الحول. وهو يجتهد في تصحيحها وتنقيحها وتهذيبها. وكان يقول: خير الشعْر الحوليّ المنقّح المحكّك.
وعهدي بالخوارزمي يقول: مَن روى حوليّات زهير، واعتذارات النابغة، واهاجي الحطيئة، وهاشميات الكُميت، ونقائض جرير والفرزدق، وخمريات أبي نواس، وزُهديات أبي العتاهية، ومراثي أبي تمام، ومدائح البحتري، وتشبيهات ابن المعتز، وروضيات الصنوبري، ولطائف كُشاجم، وقلائد المتنبي، ولم يتخرّج في الشعر فلا أشبّ الله تعالى قرنه.

بنات نُصيب: كان نُصيب عبداً أسود لبني كعب بن ضمرة وكان شاعراً مفلقاً، ولشعره ديباجة، ولما سئل عنه جرير، قال: هو أشعر اهل جلدته، ولا يقال: أشعر اهل بلدته، وقد يقال لمثله. هو أشعر الناس، وإن كان فيهم من هو أشعر منه. وكان لنُصيب بنات نفضَ عليهنّ من لونه، فهنّ يشبهنه في الادمة والدمامة، وكان يحبّهن جدا، وكان يربأ بهن عن العجم، ولا يرغب فيهن العرب، فبقين معنّسات، وصرن مثلا للبنت يضنّ بها ابوها، فلا يرضى من يخطبها، ولا يرغب فيها من يرضاه لها.

يوم عبيد: يضرب مثلا لليوم المنحوس الطالع. وكان عبيد بن الأبرص تصدى فيه للنعمان بن المنذر في يوم بؤسه الذي كان لا ينجو منه من لقيَه فيه كما كان لا يخيب مَنْ لقيه في يوم نعيمه، فقال له. يا عبيد، إنك مقتول فأنشدني قولك:

﴿أقفر من أهله مَلْحوبُ﴾

فأنشده:

أقفرَ من أهله عَبيدُ
فاليوم لا يُبْدي ولا يُعيدُ

ثم امر به فقتل فسار يوم عبيد مثلا.

دجاجة هِلال. هي كديك مُزبِّد في البركة وحُسن الاثر على صاحبها. ومن قصتها أن عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، بينما كان يتعشى على مائدته، إذ قُدّمتْ له دجاجة فائقة مشويّة، فاستطابها. وسأل عنها، فقالوا له: إنّ هلالا أهداها للأمير، فقال يا غلام. أخرج كتابا من ثِني فراشي، فأخرجه. فاذا هو كتاب الحجاج إليه يأمره بقتل هلال، والبعث إليه براسه، فلما قرأه هلال تغيّر وارتعد، فقال له ابن الاشعث: لا عليك يا هلال! أقبل على طعامك. أترانا نأكل دجاجتك ونبعث اليه برأسك! والله لا يُوصَل إليك حتى يُوصَل إليّ.

هدهُد سليمان: يُضرب مثلا للانسان الحقير يدل على الملك الخطير، قال بعض العلماء: للعلم دالّة يعتزّ بها الصغير على الكبير، والمملوك على المالك، ألا ترى أن الهدهد وهو من محقرات الطير قال لسليمان عليه السلام وهو الذي أوتيَ مُلكا لا ينبغي لأحد من بعده: ﴿أحَطْتُ بما لم تُحِط به وجئتُك من سبأ بنبأ يقين﴾.
قال الجاحظ: هدهد سليمان هو الذي كان يدل سليمان على مواضع المياه في قُعور الأرضين إذا أراد استنباط شيء منها.

شاة أشعب. يضرب بها المثل في الطمع، قيل لأشعب: هل رأيت أطمع منك؟ قال: نعم، شاة لي صعِدت في السطح، فنظرت إلى قوس قُزح، فظنّته حبل قَتّ، فسقطت فاندقت عنقها.

حمق دُغَة: هي بنت منعج، زُوّجت وهي صغيرة في بني العَنْبر، فحملتْ. فلما ضربها المخاض ظنّت أنها تحتاج الى الخلاء، فبرزت الى بعض الغيطان ووضعت ذا بطنها، فاستهل الوليدُ، فجاءت منصرفة وهي لا تظنّ إلا إنها احدثت فقالت لأمها: يا أماه، هل يَفتح الجَعْرُ فاهُ؟ قالت. نعم ويدعو أباه، فسُبّ بها بنو العنبر، فسُمُّوا بني الجَعراء.
ولها حماقات كثيرة، والمَثَل بحُمقها سائر.



رسم ذاتي، ١٨٨٤.
كانت الرسامة آنذاك في الثانية والعشرين وتعيش في باريس.

كرّست حياتها للرسم
وباتت من عظماء
الرسامين في بلدها

رسامة من فنلندا

عاشت هيلن شيرفبك* حياتين مختلفتين: الاولى رسامة في العقدين الاخيرين من القرن التاسع عشر في باريس وايطاليا وبريطانيا، والثانية رسامة في العقد الثاني والثالث والرابع من القرن العشرين في بلدها الام فنلندا. ولم تكن معروفة لدى جمهور الفن.

وشعرت أينما حلّت بأنها في موطنها، سواء وسط غابات الصنوبر في بلدة هيفينكا الصغيرة او على شاطىء البحر في بلدة تاميساري.

شاءت الاقدار أن تعيش هيلن حياتين يفصل بينهما زمان وظروف، ولكن جمعهما عامل حيوي مشترك هو الرسم الذي استحوذ على هيلن أيما استحواذ وبات الانسلاخ عنه يتطلب منها جهداً ذهنياً كبيراً.

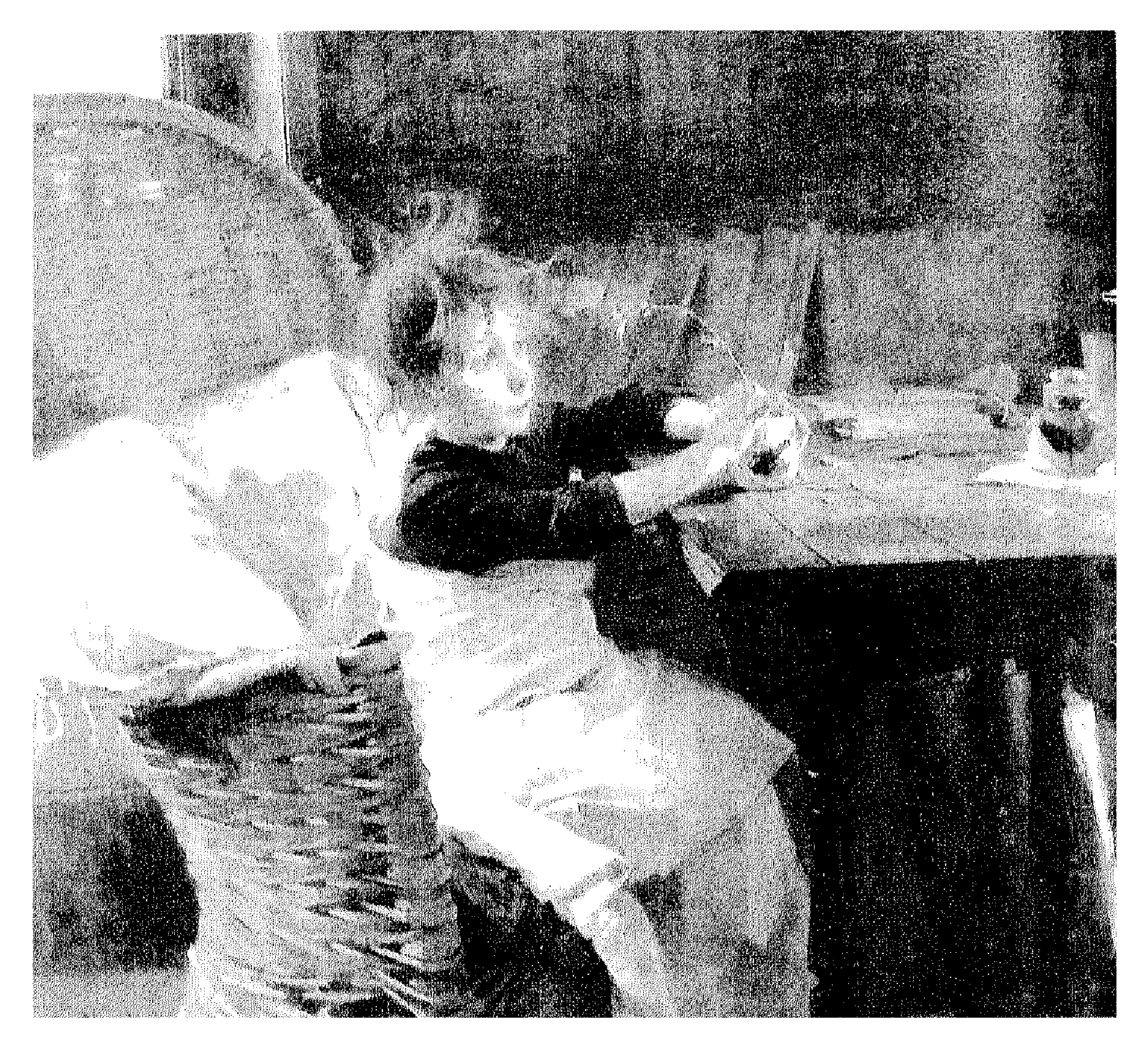
(*) Helene Schjerfbeck



صبيّان على الجرف في سانت ايف، ١٨٨٧. زيتية على الخشب. حذفت شيرفبك حرف «j» من توقيعها لاعتقادها أنه صعب اللفظ على الانكليز.



"ورود صفراء في كأس" من أواخر ثمانينات القرن التاسع عشر. تبدو تركيبات "الحياة الساكنة" منسجمة وتتجلى فيها موهبة شيرفبك وابداعها ولمستها البارعة.



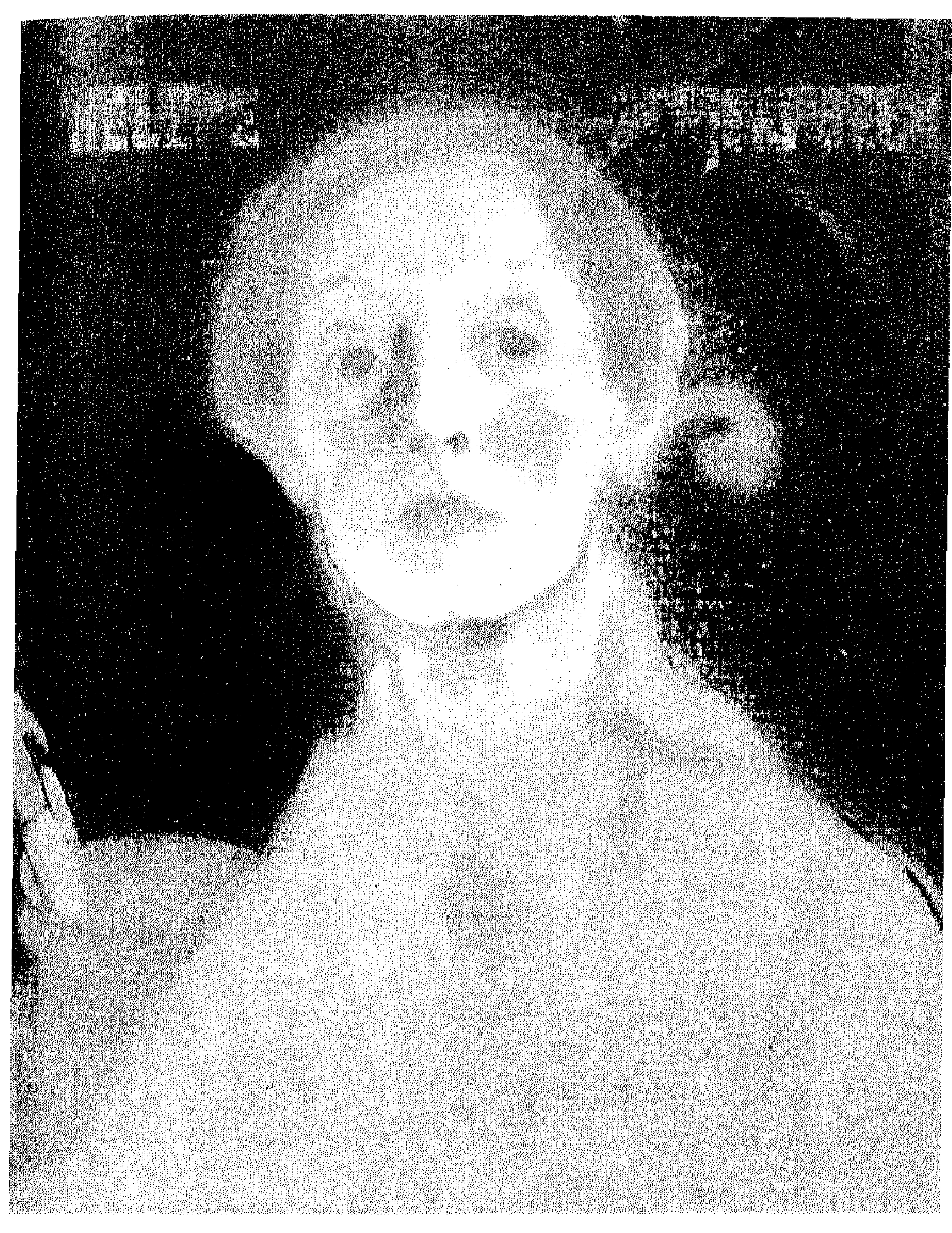
"الناقهة." رسمت في سانت ايف (كورنوال). عرضت للمرة الاولى في صالون باريسي ربيع ١٨٨٨ ونالت ميدالية في معرض باريس العالمي عام ١٨٨٩.

تقول ماریاتا لیفانتو وهي محاضرة في "متحف أتنوم للفنون" في هلسنكي طالعت نحو ٢٠٠٠ من رسائل الرسامة: "كانت الاعمال المنزلية بالنسبة الى هيلن مثل غول يحرمها الانصراف الى هاجسها الاوحد: الرسم. كانت تتذمر من أبسط الاعمال اليومية التي ينجزها الآخرون في نصف دقيقة."

كانت هيلن تكره الالتزامات الاجتماعية على رغم أنها عاشت للناس. وقد كتبت في احدى رسائلها: "أستطيع السكن في أي زقاق حقير بشرط أن أرى مارة."

أجبت رسم الوجوه وحققت ٤٠ لوحة ذاتية أنجزت عشرين منها في السنتين الاخيرتين من حياتها. ولم تحظَ المناظر الطبيعية الا بقلّة من رسومها.

في البدء كان الرمادي مفضلا لديها، وأدخلت اليه لاحقاً الاصفر الكبريتي.



رسم ذاتي، ١٩١٥. كلف "الاتحاد الفنلندي للفن" شيرفبك رسم لوحة ذاتية. ولما لم تحب الفنانة الخلفية الفضية للوحة الاصلية، اختارت رسم خلفية سوداء.

كان الاحمر يربكها وسمّته "المجهول الصعب." واستعانت بالكرتون لانه يمتص بعضاً من الالوان ويبقي تركيبتها الخشنة . ظاهرة. واستعملت تقنيات الالوان المائية تفادياً للرسوم اللماعة. وأشهر لوحاتها "الناقهة" وهي رسم لفتاة تحمل غصناً أخضر. النور في اللوحة هو نور الربيع الزاهي. وكما تفيق الطبيعة على دفء الربيع فان صحة الناقهة الصغيرة ستتحسن مع اقتراب الصيف. رسمت شيرفبك اللوحة عام ١٨٨٨ يوم كانت تسكن في بلدة سانت ايف الساحلية في كورنوال جنوب غرب بريطانيا. ولطالما فُسرت على أنها ترمز الى تعافي الرسامة نفسها من صدمة عاطفية بعد افتراقها عن رسام بريطاني.

رسمت شيرفبك في العشرينات والثلاثينات نسخات معدَّلة لهذه اللوحة على غرار ما فعلت لاحقاً بلوحات أخرى قبل وفاتها. وجاء النسخات الجديدة اعادات مبسَّطة للمواضيع السابقة. وكان هاجس النقص حافزها على التكرار: هل انتهى هذا العمل؟ هل يمكن اضافة شيء ما؟

كانت شيرفبك قادرة على رسم لوحات عدة في آن. وكانت ترسم لوحة وتعيد رسمها حتى يبلى قماش القنب. وراوحت تقنيتها بين الغسل والرسم فوق الرسم والخربشة والتنعيم.

لولا غوستا ستنمان لما اشتهرت شيرفبك وأصبحت موضع تقدير في بلادها. ففي العام ١٩١٣ قصد ستنمان هيفينكا لشراء بعض لوحات شيرفبك. وكان يحلم بأن يصبح تاجر قطع فنية ومؤسس متحف للفن المعاصر. ودهشت الرسامة لاهتمامه وقالت له: "أنت ما زلت



عام ١٩٢٧ رسمت شيرفبك نسخة جديدة للوحتها "الناقهة" فصغرت حجمها واستعملت الوانا اكثر دفئا.



رسم ذاتي للفنانة في ايامها الاخيرة، بيع في صالة كريستي في لندن في مارس (آذار) ١٩٨٨.

شابا يانعاً، لا تهدم حياتك بشراء لوحاتي، فهي ليست بذات شأن."

لم تكن شيرفبك كبيرة الثقة بموهبتها، بل كانت تفرط في انتقاد لوحاتها. وعندما نظم غوستا ستنمان عام ١٩١٧ أول معرض لها في هلسنكي، كتبت اليه في احدى رسائلها: "اخفض الاسعار، انني أكتفي بربع السعر الذي تطلبه."

انتقل ستنمان لاحقاً الى أسوج (السويد) حيث افتتح متجراً للقطع الفنية. وظل على اتصال وثيق بشيرفبك يشجعها ويثني عليها ويطلب منها لوحات جديدة. وشعرت شيرفبك أحياناً بأن ستنمان صارم لا يرحم، كتاجر رقيق. وكتبت ذات مرة باقتضاب: "ذهب ستنمان الى انكلترا. يومان من الراحة!" ولكن، من ناحية أخرى، كان تقديره يعني الكثير بالنسبة اليها: "كم أنا سعيدة لأن ستنمان اختارني لهذه المغامرة الكبرى."

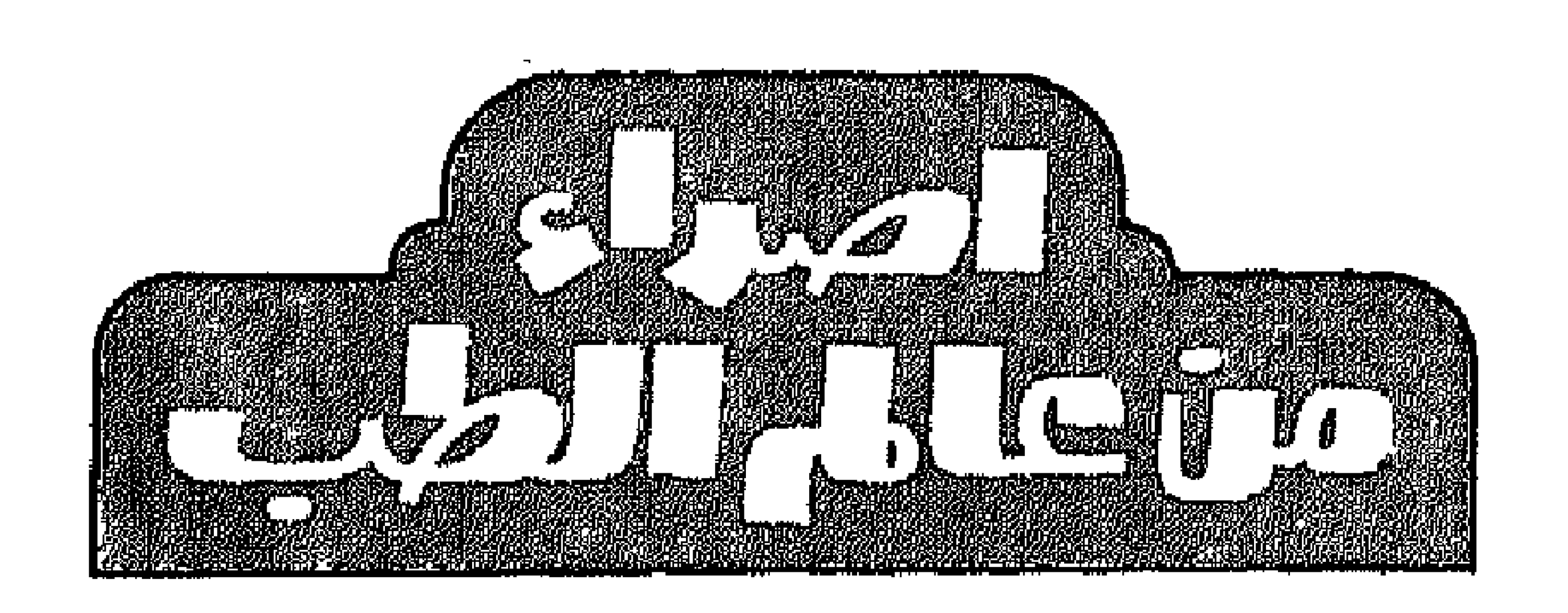
عاشت هيلن شيرفبك حياة عادية ظاهرياً طوال عقود أمضتها في هيفينكا وتاميساري. لكن الجهد المتأجج في أعماقها كان عارماً. وتبدو الرسامة في أذهاننا امرأة رقيقة، ضعيفة البنية، ذات عينين أثيريتين وقسمات رقيقة غير مادية. أرغمتها أوجاع في حوضها على الاستعانة بعصا للمشي. وغالباً ما كانت تشتكي من قلبها.

وتقول مارياتا ليفانتو: "هناك، بلا ريب، أمور عدة أثرت في شخصيتها الحساسة. ومع ذلك يخيل الينا احياناً أنها، بحديثها المتواصل عن متاعبها الصحية، تمكنت من اقصاء الاشخاص المزعجين."

عندما نشبت الحرب بين فنلندا والاتحاد السوفييتي في العام ١٩٤٤، أقنعها غوستا ستنمان بالانتقال الى أسوج حرصا على سلامتها. وكانت في الثانية والثمانين من عمرها عندما ركبت طائرة، ونزلت في فندق بالقرب من استوكهولم.

هناك واصلت شيرفبك الرسم حتى باتت عاجزة عن حمل فرشاة. وظلت وفيّة لنفسها حتى النهاية، فرسمت صورة أخرى لها فحمية لا تتضمن سوى بضعة خطوط، هي الجوهر الاساسي أو كل ما تبقى من امرىء قبيل وفاته.

أنتيرو رافوري ■



التصوير المبكر يخفض سرطان الثدي

■ كان الاطباء في الماضي يلحّون على النساء اللواتي تخطّين السن الخمسين في الخضوع سنوياً لتصوير بالاشعة بهدف كشف سرطان الثدي على نحو مبكّر. والآن وافقت بضع عشرة منظمة طبّية في الولايات المتحدة على جدول زمني للتصوير، مرة كل سنة أو سنتين، لنساء تراوح أعمارهن بين ٤٠ و٤٩ سنة ولا تظهر عليهن أعراض السرطان.

وتصوير الثدي بالأشعة السينية (اكس) يكشف سرطان الثدي في مراحله المبكرة قبل أن يتسنى تحسّس التورم. (والفحوص الطبية الدورية ضرورية أيضاً لاجراء تقويم كلّي للثدي.) يقول الدكتور هارولد ب. فريمان رئيس "الجمعية الأمريكية للسرطان": "اذا شُخِّص ورم في الطور الاول، أي عندما يكون صغيراً ومحصوراً في الثدي، فان معدل البقاء قيد الحياة طوال خمس سنوات يراوح حينئذ بين ٨٠ و٩٠ في المئة."

وقد تابع باحثو "المعهد الوطني للسرطان" طوال ١٨ سنة دراسة أجريت في الستينات وشملت عيّنة عشوائية من النساء، فتبين لهم أن حالات الموت بسرطان الثدي بين نسوة في العقد الخامس (بين ٤٠ و٤٩ سنة) خضعن لتصوير الثدي بالاشعة، تقل بنسبة ٢٤ في المئة عن مثيلاتها بين نسوة لم يجرين أي تصوير. وأظهرت دراسات أخرى أن تقنيات تصوير الثدي بالاشعة تحسنت كثيراً منذ الستينات، وأن من شأنها خفض الوفيات بمعدل كبير.

صحيفة "واشنطن بوست"

معالجة الاطراف المشوهة

■ هناك معالجة ثورية تحمل الامل الى الاشخاص الذين ولدوا باطراف مشوّهة أو الذين تكسرت أطرافهم أو أصيبت بالتهابات مزمنة نتيجة جروح.

فباستخدام أفكار معروفة في شفاء العظم وأداة تدعى "مثبتة دائرية خارجية"* ابتدعها الطبيب السوفييتي غافرييل اليزاروف، يتسنى للاطباء في الولايات المتحدة وايطاليا اصلاح الكسور الملتهبة وتطويل السواعد والأرجل المشوهة وتحسين شكلها بنجاح أكبر.


تتضمن تقنية اليزاروف قضباناً ملولبة تُولَج ضمن حلقات في أعلى وأسفل قالب خاص مثبَّت على الطرف المصاب. فبعد وصل الحلقات بأسلاك رفيعة مغروزة داخل الطَرف، يعمد الجرّاح الى إحداث شِق أو شقوق سطحية في طبقات العظم الخارجية القاسية. وكلما أدار المريض القضبان تباعدت أطراف العظم المشقوق قرابة ربع مليمتر. ولا يلبث أن ينمو، تدريجاً، عظم سليم وأوعية دموية وأنسجة جديدة لملء الفراغ.

هذه العملية بطيئة ومؤلمة أحياناً، لكنها أعانت مصابين بكسور ملتهبة مزمنة في "قصبات" أرجلهم على تفادي بترها، كما ساعدت مرضى مشوهين على اكتساب مظهر طبيعي.

نشرة الاكاديمية الامريكية لجراحي العظم

(*) Circular external fixator.

دولدر غراند
فندق المحظوظين



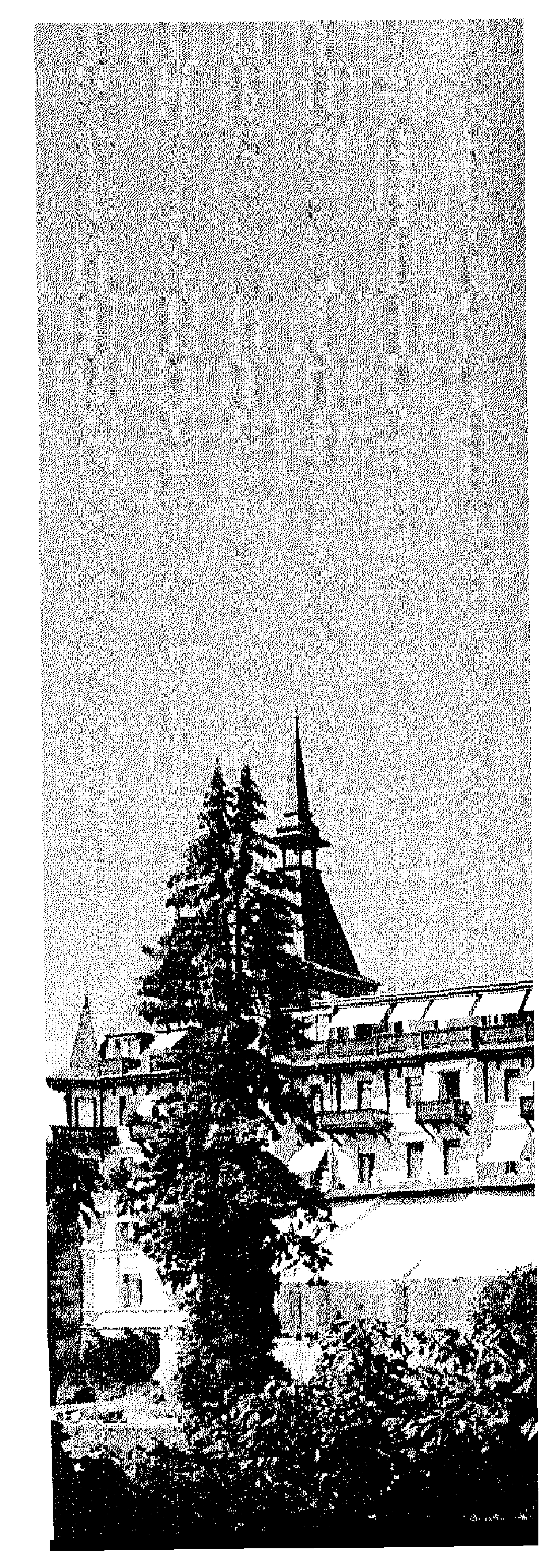
فندق فخم في زوريخ يحل فيه الضيف سيداً لا يُرد له طلب

استقر الكاتب يوهان ماريو سيمل* وزوجته لولو في جناحهما في فندق دولدر غراند في زوريخ (سويسرا). واتصل يوهان بقسم الخدمة طالبا ارسال طعام العشاء الى غرفتهما. وكانت ادارة الفندق عودت هذين الضيفين العزيزين تنفيذ أبسط رغباتهما. غير أن يوهان فوجىء هذه المرة بصوت حازم:

"عذراً يا سيدي، لا خدمة للغرف اليوم، أرجو أن تنزلا الى المطعم."

دهش آل سيمل وتملكتهما الحيرة، لكنهما كانا يتضوران جوعاً فنزلا الى مطعم "لا روتوند." وفيما هما يدخلان القاعة، استقبلهما عازف البيانو بلحن مفضل لديهما. ثم تقدمهما رئيس الندل الى طاولة زينت بزهور الاوركيديا. وتعاقب الندل على خدمتهما، فقدموا اليهما الكافيار وأصناف الشراب والمقبلات، وأتبعوها بشرائح من لحم البقر اللذيذ وهو الطبق المفضل لدى لولو. كان ذلك أسلوب فندق دولدر في الاحتفال بعيد ميلادها. وقد أخبرني يوهان في ما بعد: "أنا لم أذكر لادارة الفندق أن عيد لولو يصادف ذلك اليوم، وما زلت أجهل كيف علمت الادارة بالامر."

(*) مؤلّف «Es muss nicht immer kaviar sein» أحد الكتب الاكثر مبيعا في العالم.



يقول مودست فولونييه رئيس حجّاب الفندق: "ان ضيفنا يحلّ علينا... مَلِكاً." وقد التحق مودست بالفندق قبل أربعة عقود عمل خلالها على ارضاء النزلاء الاكثر غرابة. ومن بين هؤلاء ملوك أمثال ملك اليونان بول وزوجته الملكة فريديريكا وأمير ويلز وملك أسوج (السويد) كارل غوستاف وزوجته الملكة سيلفيا والارشيدوق أوتو فون هابسبورغ. كما تتضمن لائحة النزلاء أسماءِ شخصيات تاريخية أمثال السر ونستون تشرشل وإليانور روزفلت وجون ف. كينيدي وألبرت أينشتاين، فضلا عن مشاهير الموسيقيين أمثال أرتورو توسكانيني وعظماء الرسامين على غرار مارك شاغال ونجوم السينما أمثال صوفيا لورين وغريغوري بيك وجيري لويس الذين اتخذوا هذا الفندق مقراً موقتاً.

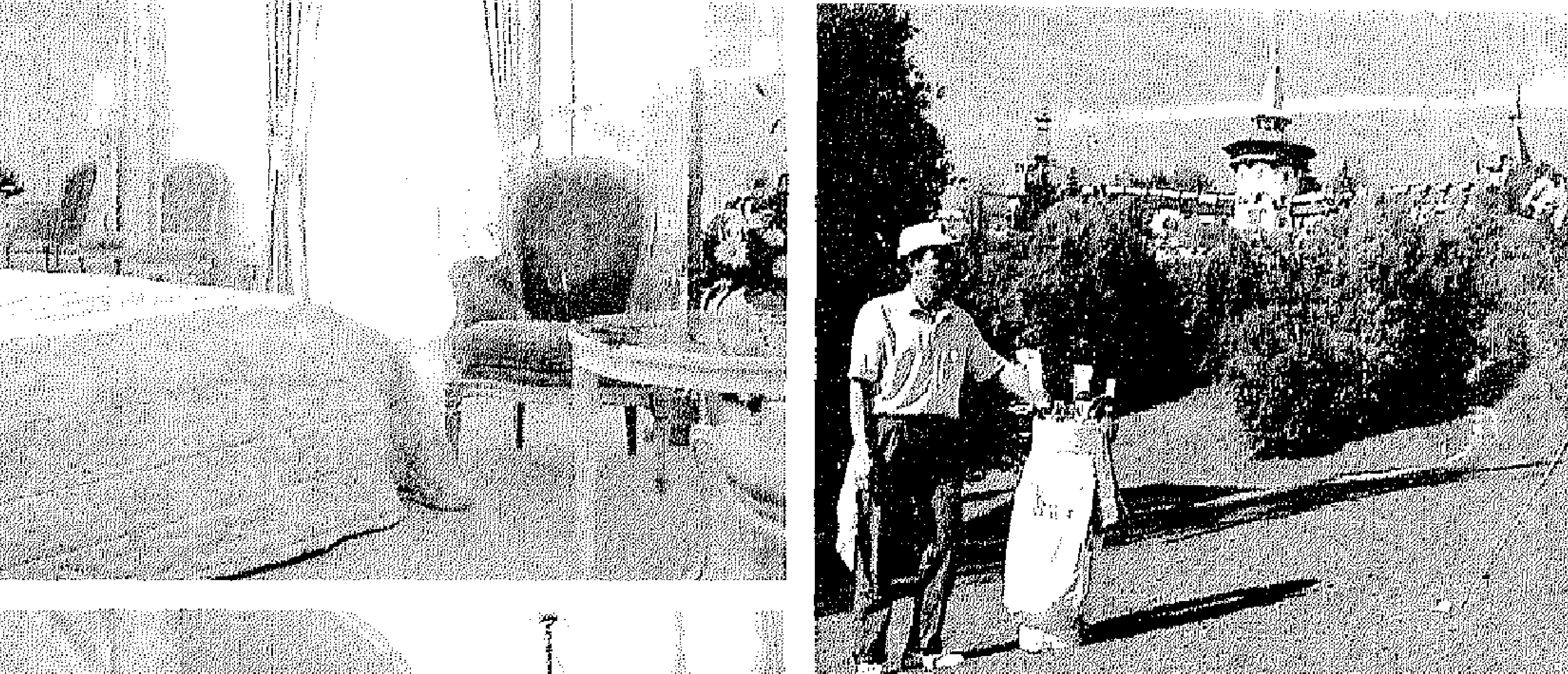
عام ١٩٨٢ صنفت مجلة "انستيتيوشنال انفستور" النيويوركية فندق دولدر غراند (خمس نجوم) الفندق الافضل في أوروبا وفي النصف الغربي من الكرة الارضية. أما أسباب تدفق الاغنياء والمشاهير اليه فواضحة تماماً. لقد شيد هذا الفندق في "العصر الذهبي" مطلع القرن العشرين على قمة تلة زوريخبرغ المشجرة المطلة على المدينة وبحيرتها. وهو يضع في تصرف نزلائه غرفاً فخمة تطل على مناظر خلابة، ويدعوهم الى الافادة من التسهيلات ووسائل الترفيه التي يتضمنها، من ملاعب لكرة المضرب وحقل للغولف وحلبة للتزحلق على الجليد وحوض مفتوح للسباحة خلال الصيف، فضلا عن دروب في الغابة حيث يحلو العدو والتنزه.

وجوه باسمة. في العام ١٨٩٠ قرر هنريك هرليمن، وهو رجل أعمال من زوريخ، بناء مطعم وسكة عربات معلقة (تلفريك) فوق تلة زوريخبرغ، وكانت برية مقفرة آنذاك. وبعد نجاح هذا المشروع قررت شركة هرليمن عام ١٨٩٦ شراء قطعة أرض كبيرة وبناء "فندق أحلام" من تصميم المهندس المعماري جاك غرو.

صمم فندق دولدر ليكون مقراً صيفياً لزوار أجانب وملاذاً لعائلات زوريخ الميسورة الهاربة من حرارة المدينة. وافتتح في مايو (أيار) ١٨٩٩ وظلت غرفه جميعها محجوزة طوال الموسم. وفي العام ١٩١٥ شرع أبوابه لاستقبال النزلاء على مدار السنة. وكان يضم آنذاك ١٢٠ غرفة، أما اليوم ففيه ١٨٥.

ويعمل في الفندق فريق من ٢٦٠ موظفاً. ويقول المدير هنريك ج. هونولد: "كل موظف لدينا مدرب بجهد وعناية ويعرف تماماً أننا نهدف الى ايلاء نزلائنا خدمة وعناية شخصيتين قد لا يحصلون عليهما في أي مكان آخر." ويضيف: "أود أن أرى حولي وجوهاً سعيدة باسمة."

ويجد النزلاء في غرفهم باقات من الزهر قطفت من مستنبت الفندق وفاكهة اختيرت لهم خصوصا. أما الآنية الفضية البراقة والمناديل المنشّاة والزهور





حقل الغولف.

أحد الاجنحة الملكية الثلاثة
في البرج الاوسط.

ردهة الفندق الفخمة
وقد بنيت في "العصر الذهبي".

سكة حديد مسننة
تربط الفندق بمدينة زوريخ.

مطعم "لا روتوند" الهلالي
المطل على متنزه خلاب.



النضرة على المائدة فكلها مسائل بديهية. ويمكن استدعاء خدمة الغرف في أي لحظة وطلب زهرة ندية في أثناء جميل يزين الوليمة الفاخرة.

ومن المقومات الخاصة الاخرى التي يتميز بها الفندق، أسرَّة وأحـواض استحمام بقياسات أكبر من المعتاد، ومناشف مدفأة وأجهزة فيديو وتلفزة ملونة تلتقط ٢٠ محطة. ويراوح ايجار الغرفة المفردة بين ٢٤٠ فرنكاً و٣٠٠ فرنك (بين ١٧٠ دولاراً و٢١٠ دولارات) في الليلة الواحدة، فيما يبلغ ايجار الغرفة المزدوجة ٤٥٠ فرنكاً (٣١٥ دولاراً). أما الاجنحة المؤلفة من غرفة مزدوجة وغرفة استقبال وحمام أو حمامين، فيصل بدل ايجارها الى ١٣٠٠ فرنك (٩٣٠ دولاراً). وتقدر كلفة "الاجنحة الملكية" الثلاثة الواقعة في البرج الاوسط بنحو ٢٦٠٠ فرنك (١٨٦٠ دولاراً) في الليلة الواحدة.

شهادة كيسنجر. عمل لويجي انسيشي رئيساً لنُدل الغرف في الفندق طوال ٥٢ عاماً، وهو متقاعد اليوم. وقد تسنى له خلال خدمته الطويلة أن يقابل أناساً من جميع الطبقات، من مهراجات الهند الى أثرياء النفط. ويتذكر لويجي، على نحو خاص، رجلا يدعى الدكتور هاك نزل في الفندق خلال الحرب العالمية الثانية وكان مصدر ازعاج للآخرين، اذ كان يلقي عليهم تحية هتلر ويصر على الاستماع الى الدعاية النازية بصوت مرتفع على الراديو والتلفاز مما اضطر النزلاء الآخرين الى الاستماع اليها مكرهين. غير أن الدكتور هاك توارى يوم وضعت الحرب أوزارها. وبعد أسابيع وصل آلن دولز الى الفندق، وكان رئيس عمليات الاستخبارات الامريكية في برن، وتحدث الى لويجي ثم سأله: "هل تعرفت الى الدكتور هاك؟"

فأجابه لويجي: "أجل، انه نازي رهيب."

فأغرق دولز في الضحك وقال: "كان أفضل عملائنا."

ويقول لويجي: "كنت أوثق معرفتي بغالبية النزلاء." وذات يوم بادره الموسيقار اريك كليبر: "أنت تتمتع بالميزتين الاساسيتين اللتين يتمتع بهما قائد فرقة موسيقية، وهما الحدس وحاسة سادسة للموسيقى." ويستعيد لويجي ذكرياته: "كان كليبر يصفر مقطوعات من احدى السمفونيات أو معزوفات الاوبرا وأحاول أنا أن أحزر اسم المقطوعة، فيثني علي عندما أصيب."

وهيلغا ميرز موضع ثناء هي أيضاً. وتعمل هذه السيدة الشقراء الناحلة في الفندق منذ عشرين سنة، وترئس فريقاً من ٤٥ موظفاً تحرص على أن ينجز جميع الطلبات الاضافية. وهي تحتفظ بمفكرة مفصلة تتضمن الطلبات الخاصة للنزلاء. ولدى عودة هؤلاء بعد شهر أو سنة أو خمس سنوات يفاجأون بخدمة على الطريقة التي يحبذونها.

الكل في فندق دولدر يحصل على مبتغاه: وسادات ناعمة أو قاسية، أغطية

صوفية أو بطانيات مانعة للحساسية، مفروشات قديمة (ستيل) أو حديثة، مقاعد أو أرائك من كل لون. وقد أعلن هنري كيسنجر وزير الخارجية الامريكي السابق ذات مرة: "هذا هو الفندق الوحيد في العالم الذي تكوى فيه سراويلي في الاولى بعد منتصف الليل ويغسل قميصي ويعاد الي في الثالثة فجراً."

قبلة للمايسترو. الازمات التي تتحول كوارث في أمكنة أخرى، تُحل في دولدر غراند كما السحر. فخلال مأدبة رسمية تُلي خطاب طويل دام ساعة كاملة مما أخر تقديم الطبق الرئيسي. وتأكد للمدعوين أن عشاءهم قد فسد. ولكم كانت مفاجأتهم كبيرة عندما قدم اليهم النذل أطباقاً من لحم البقر الرخص الشهي. فالطعام لم يرفع عن النار الخفيفة الا قبيل تقديمه.

وذات مرة كان الموظف الليلي بيتر ريجان يقوم بجولة تفقدية في الثالثة صباحاً، فلاحظ أن أحدهم عبث بالاحذية التي وضعها النزلاء خارج غرفهم بغية تلميعها. فأغمض بيتر عينيه وأخذ يتذكر أي حذاء يخص أي نزيل في أي غرفة. وصباح اليوم التالي أفاق النزلاء وتسلموا أحذيتهم الملمَّعة. ولم يبدر من أحدهم أي احتجاج.

ويعود نزلاء كثيرون الى الفندق بانتظام. ومنهم من يختار الاقامة فيه، أمثال عازف البيانو الشهير أرتور روبنشتاين. وكان روبنشتاين يعاني ضعفاً في النظر في أواخر عقده التاسع. وبات يمضي فترات بعد الظهر جالساً في ردهة الفندق يرشف الشراب ويدخن السيجار. ولم يكن أحد يقترب منه احتراماً له ولعزلته. وذات يوم دنت منه شابة جميلة وبادرته مشيرة الى البيانو القريب: "سيد روبنشتاين، هلا عزفت لي مقطوعة فالس لشوبان؟"

فوجيء المايسترو بهذا الطلب وظل ساكتاً، ثم ابتسم وقال للشابة: "سأعزف لك ان تمكنتِ من حملي على ذلك. فهيا الهميني واطبعي قبلة على جبيني." ويذكر لويجي موليناري مدير ردهة الفندق: "عانقته الفتاة وقبلته، فوقف المايسترو ببطء، ومشى الى البيانو فيما اغرورقت عيناي وعيون النزلاء بالدموع. ولعل تلك كانت آخر مقطوعة فالس لشوبان عزفها روبنشتاين."

وكانت زيارة الممثل والكاتب والمخرج السينمائي وودي آلن أسعد حدث عرفه هنريك هونولد خلال السنوات الثلاث التي أمضاها مديراً للفندق. وهو يعترف: "لقد علمني آلن درساً من غير قصد." فهو قدم برفقة زوجته ميا فارو وأولادهما التسعة. وقبل وصول العائلة كان هونولد، كسواه من الفندقيين، متحفظاً عن استقبال أولاد في الفندق، "غير أن أولئك الاولاد جلبوا معهم الحياة والبهجة والمرح. وقد سعد بهم الجميع."

تقاليد لا تُكسر. دأبت عائلات كثيرة في زوريخ على الاحتفال بمناسباتها

الخاصة باقامة مآدب في مطعم "لا روتوند" الهلالي الشكل والمطل على متنزه خلاب. وتبهج هذه العادة والترك. دوبنماير نائب مدير دولدر، وهو يقول: "الفندق الذي لا يلاقي استحسان السكان المحليين ليس فندقاً جيداً."

ويخضع فريق الخدمة المؤلف من ٤٠ نادلا لتدريب يومي على آداب المائدة وأصول الطعام والشراب. ويوضح دوبنماير: "عليهم أن يتقنوا وصف كل طبق مذكور في لائحة الطعام، وخصائص كل شراب. فبهذه المعرفة وحدها يستطيعون مواجهة الضيوف بثقة."

وفي حين يسمح للنزلاء بارتداء ملابس عادية على الغداء، فانهم ملزمون بارتداء ملابس رسمية للعشاء. وقد يحتاج الرجال الذين يتوقفون في الفندق في طريقهم الى منتجع للتزلج، الى ربطات عنق وسترات أنيقة يجدونها بجميع القياسات والالوان لدى هيلغا ميرز. وتقول هيلغا: "قد يجدون الاكمام قصيرة قليلا والازرار ضيقة، ولكن هكذا يسمح لهم بتناول العشاء."

ويعمل غابريال زوفري رئيساً للندل (ميتر دوتيل) منذ عشرين سنة. ويعرف عنه انه عنيد لا يهاود، وهو يردد دائما: "لا نسمح لاحد بأن يخالف قواعدنا." وذات يوم حملت امبراطورة ايران السابقة فرح ديبا حقيبة جلدية كبيرة الى مائدة العشاء، فانبعث من داخلها نباح كلبها المالطي المدلل. فانحنى زوفري أمامها باحترام وذكّرها بأنه لا يسمح بادخال الكلاب الى المطعم. فسلمته الامبراطورة الحقيبة بلباقة.

أما الشخصية التي أدهشت مدير دولدر أكثر من سواها فهي أمير ويلز. فقد سأله: "هل تكسب مالا كثيرا؟" وبدا واضحا أنه أعجب بالفندق الانيق وبموقعه الرائع فأجابه المدير: "طبعا يا سمو الامير."

فابتسم الامير وصافحه قائلاً: "أنت محظوظ، محظوظ جداً."

ليلي فولدز ■

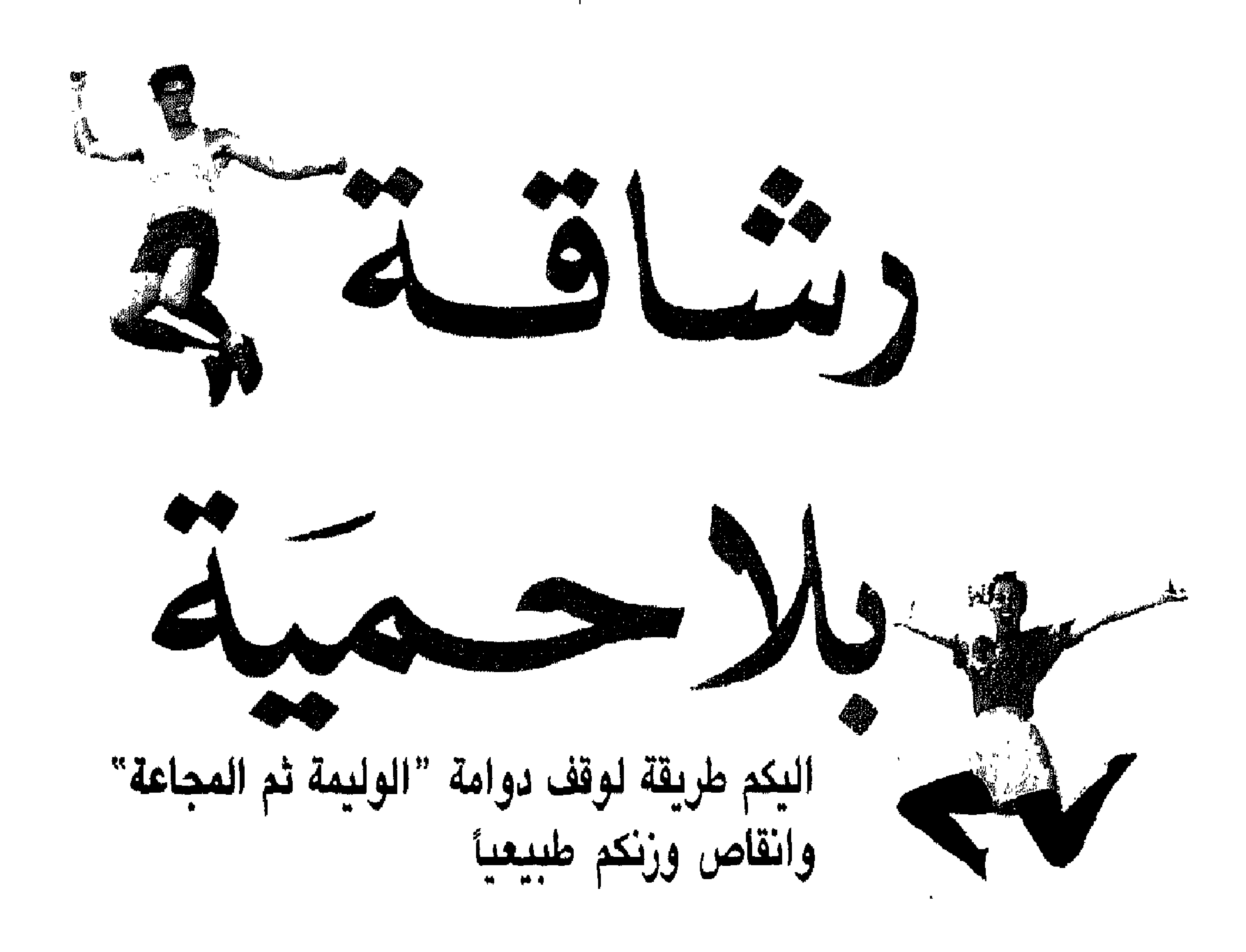
بوق في غابة

في التاسعة من مساء كل يوم، بين سبتمبر (أيلول) وفبراير (شباط) منذ ٧٠٠ سنة ونيف، يطلق أحد أفراد عائلة ميتكالف البريطانية ثلاث نفخات طويلة في بوق لارشاد المسافرين في الغابة القريبة من قرية بينبريدج في مقاطعة يوركشاير. وقد سئل جاك ميتكالف مرة، وهو توفي عام ١٩٨٣ بعد ٣٦ سنة من النفخ في البوق، هل صحيح أن النفخة الجيدة توصل النفير أبعد من أربعة كيلومترات، فأجاب: "لست أدري، اسألوا الواقف هناك."

د.ي.

العازب شخص لا يضطر الى ترك حفلة عندما تبدأ الامور تروقه.

ج.ن.



رشاقة بلا حمية

اليكم طريقة لوقف دوامة "الوليمة ثم المجاعة" وانقاص وزنكم طبيعياً

بدأت اتباع نظام حمية وأنا في المدرسة الثانوية. وانقضت خمس عشرة سنة وأنا أحاول انقاص وزني باتباع أنظمة غذائية مختلفة. كنت أعتقد أن العالم مقسوم فئتين: فئة الاجسام البدينة بطبيعتها وفئة الاجسام الناحلة بطبيعتها. وعندما أصبح وزني ٨٩ كيلوغراما تأكد لي أنني أنتمي الى الفئة الاولى.

وإذ صرت ممرضة قررت ألا أتبع نظام حمية آخر. أردت علاجا. ولما كنت أطالع كل ما يتوافر لدي عن الطعام والتغذية، استخلصت أن دورة "الـوليمة ثم المجاعة" في أنظمة الحمية التقليدية قد تكون مسؤولة عن مشاكل الوزن المزمنة.

المرأة التي تتبع حمية تجوِّع نفسها في البداية ثم تعاود الاكل عندما لا يعود جسمها قادراً على الاحتمال، فتثور أنظمة البقاء الذاتية ويخزن الجسم احتياطا من الدهن لكي يقوى على الصمود خلال فترة الجوع المقبلة، أي فترة الحمية.

تقول شايلا رامسي مديرة برنامج "ضبط الحمية واضطرابات الطعام" في جامعة جورجتاون بواشنطن: "ان الانظمة الغذائية القائمة على الوحدات الحرارية

(الكالوري) القليلة جداً مصيرها الاخفاق. فالاشارات العصبية والهرمونية الصادرة عن الجسم ستدفع المرء الى الاكل على رغم الحوافز المانعة وقوة الارادة."

حين طبقت هذه المفاهيم الجديدة توقفت عن اتباع الحمية. ورحت أصغي الى الاشارات التي يصدرها جسمي وأتناول الاطعمة المغذية. فتخلصت من دورة "الحمية والشراهة" واختبرت تغيرات تدريجية (اذ احتجت الى وقت للتخلص من عاداتي السيئة في الاكل). وانخفض وزني في النهاية وأصبح ٦٢،٥ كيلوغراماً أي ضمن النطاق الادنى للوزن المستحسَن لامرأة في طولي (١٧٣ سنتيمتراً). وانقضى أكثر من عشر سنين وما زلت محافظة على نحافتي.

اليكم طريقة التخلص من دوامة "الحمية والشراهة":

فأصيبت بجوع مزمن أفقدها السيطرة على نفسها، وراحت تلتهم الحلوى في عطل نهاية الاسبوع عندما طغا صوت جسمها على قوة ارادتها.

في امكانكم وقف دورة "الوليمة ثم المجاعة" بتناول الطعام وكأنكم لا تعانون أي مشكلة في وزنكم وبازالة "جوع الحمية" الذي اعتادته أجسامكم. عليكم باقناع أجسامكم بوقف تخزين الدهن. ويكمن الحل في الاكل جيداً عند الشعور بالجوع والتوقف عند الشبع.

ولعلكم تفكرون: سنصبح بدناء جداً إن أكلنا كلما شعرنا بجوع. لكن هذا غير صحيح. فقد يزيد وزنكم قليلا في البداية، ولكن عندما تعيدون "تدريب" أجسامكم فانكم لن تأكلوا طعاماً يفوق حاجتكم. وستتمكنون في النهاية من تجنب الافراط في الاكل والشروع في انقاص وزنكم.

١. لا تتجاهلوا الشعور بالجوع. كلنا نجوع، حتى ذوو الاجسام النحيلة. لكن الفرق بين جوع النحيل وجوع البدين هو أن الاول يأكل والثاني يكافح الجوع بأي وسيلة. البدين ينكر شعوره بالجوع ويكبته ويتجاهله. لكن الجوع يدركه دائماً في النهاية. وعاجلا أم آجلا يقر الذين يتبعون حمية أن الجوع الشديد أفقدهم زمام أنفسهم فأقبلوا على الاكل بشراهة.

ثمة امرأة في الثلاثين كانت غير راضية عن جسمها ومقاييسها، وحاولت التزام حمية خطرة وغير منطقية قائمة على ٦٠٠ وحدة حرارية في اليوم.

٢. تناولوا فطوراً مقوياً. ان تناول قليل من الطعام في الصباح للاحتفاظ بالوحدات الحرارية لوجبات لاحقة هو عمل محبط للنفس. فإن ألغيتم وجبة فطور هبط معدل السكر في دمكم وشعرتم برغبة ملحّة في الطعام.

لكي تخفضوا وزنكم، ابدأوا يومكم بتناول طعام "حقيقي." وتناولوا المقدار الذي يشعركم بالشبع، من دون زيادة ولا نقصان. وإن كنتم لا تشعرون بالجوع في الصباح، فحاولوا النوم مساء ومِعَدكم راضية ولكن خاوية نسبياً. ستشعرون براحة أكبر عندما لا تحتاجون الى هضم

نصف محتويات الثلاجة التي التهمتموها. وباتباعكم صوما خفيفاً كل ليلة، ستشعرون بقابلية للطعام في الصباح.

لنأخذ مثلا ذلك الرجل الذي اعتاد حذف وجبة الفطور بغية انقاص وزنه. باتباعه هذا المفهوم الجديد بات يتجنب تناول حصة اضافية على العشاء، فشعر بالجوع صباحا للمرة الاولى منذ سنوات، وبدأ يتناول فطوراً جيداً. ولاحظ بعد فترة قصيرة أنه لم يعد قادراً على حذف وجبة الصباح، وتابع الاكل باعتدال في المساء. وفقد تسعة كيلوغرامات خلال ثلاثة أشهر من دون أن يرغم نفسه على الجوع. وأصبح وزنه ٧٧ كيلوغراما، وما زال ثابتا على هذا الوزن المثالي منذ أكثر من سنتين.

٣. كلوا فقط عندما تجوعون. معظم الذين يعانون مشاكل في الوزن لا يعرفون شعورهم الحقيقي بالجوع. فهم منهمكون في اتباع الحمية أو في تجويع أنفسهم، فيكبتون الشعور الطبيعي لاجسامهم بالجوع. وأظهرت الدراسات أن ذوي الاجسام البدينة ينزعون أكثر من سواهم الى الاكل استجابة لعوامل خارجية، كعقارب الساعة التي تشير الى موعد العشاء، وليس لآلام الجوع الداخلية.

اكتُشفتْ أن ذوي الاجسام البدينة، عندما يتعلمون كيف يتغذون جيداً، تنخفض استجابتهم للعوامل الخارجية وتبدأ استجابتهم للجوع الحقيقي. وعندئذ فقط يتمكنون من انقاص وزنهم.

تعلموا التعرف الى الشعور بالجوع، واسألوا أنفسكم هل ما تشعرون به ناتج من الارهاق أو العطش أو الملل أو الوحدة. ولكن عندما تتأكدون من أنه الجوع فعلا، كلوا وتوقفوا عندما تشبعون. اذ عندما تبدأون تناول الطعام وفقاً للاشارات الصادرة عن حاجة أجسامكم الى الطاقة، ستتلاشى حاجتكم الى التهام الطعام ليلا.

٤. ضعوا حداً لاستهلاك أطعمة "المتعة." لقد قسمتُ الطعام فئتين رئيسيتين: الطعام الحقيقي وطعام المتعة. الاول طاقة للجسم والثاني غني بالمواد الدهنية والسكر وهو لمتعة التذوق قبل أي شيء آخر. والفرق بين الفئتين واضح. فالقنبيط، مثلا، طعام حقيقي، فيما تصب اصناف الحلوى في خانة طعام المتعة.

عندما تشعرون بالجوع فأمامكم خيارات عدة. ان لم يكن جوعكم شديداً فيمكنكم أن تكونوا عقلانيين. افتحوا الثلاجة واختاروا منها ما يعجبكم. فإن اخترتم طعاماً حقيقياً، لنقل مثلا شطيرة من لحم الديك الرومي، فكونوا على ثقة بأن الجسم سيستعمل هذا الطعام طاقة له. تناولوه اذا وتمتعوا به.

وان دهمكم الجوع بعد ساعتين، فعودوا الى الثلاجة. ما الذي أعجبكم؟ المثلجات؟ مهلا، استعملوا قوة ارادتكم قليلا، فالمثلجات ليست ما يحتاج اليه

الجسم. هل أعجبكم شيء آخر؟ أجل، قطعة من الخبز المحمص (توست) مع كوب من الحليب. حسناً، يمكنكم تناولها، ولكن تذكروا أن عليكم الاعتدال في تناول الطعام الحقيقي الغني بالمواد الدهنية.

ثمة خدعة يمكن اللجوء اليها هي نفي مأكولات "المتعة" من مطبخكم والاستعاضة عنها بأطعمة مختلفة ذات نوعية رفيعة متوافرة في كل آن. باختصار، اشتروا كثيراً من الطعام الحقيقي الطيب الذي تحبون وتخلصوا من الطعام الرديء.

لكن ماذا لو توافرت المثلجات ولم يعجبكم شيء سواها؟ على رغم أنكم لا تريدون تناول أطعمة "المتعة" كلما ألحت عليكم الرغبة فيها، فهناك مكان "شرعي" لها في نظامكم الغذائي. فإن حلّلتم مشاعركم ووجدتم أنها ليست صادرة عن الجوع، ففي امكانكم عندئذ تناول المثلجات. وثقوا بأنكم لم تفشلوا، بل على العكس، تقبلتم شهيتكم الطبيعية بوعي.

والمدهش أنكم عندما تعلمون أن في استطاعتكم تناول ما تشاؤون وليس عليكم تحمل الجوع بعد اليوم، فان الضغط سيزول عنكم وسترغبون في تناول ما تحتاج اليه أجسامكم التي ستطلب طعاماً يقود الى الرشاقة.

٥. تخلصوا من الميزان. ان متبعي الحمية في أنحاء العالم باتوا عبيداً للميزان. فبَركته التي تتجلى انخفاضاً في الوزن في يوم ما تساعد على تقبل أحلك الظروف، أما لعنته المتجسدة في تحرك الابرة الصغيرة صعوداً فتلقي ظلالا قاتمة على أجمل الاوقات. ضعوا الميزان جانباً، فهو ليس مصدر قوة بالنسبة الى شخص بدين يحاول انقاص وزنه.

للحصول على نحافة دائمة عليكم أن تتجاوبوا وأجسامكم لا أن تتحاربوا. فعندما تخمدون جوعكم بالاكل المناسب في الوقت المناسب يتقلص الجوع الشديد الذي أرغمتم أجسامكم على تحمله. وستختبرون الجوع الطبيعي تدريجاً، وهو ليس عدواً لكم بل شعور صحي.

ألغوا الجوع الزائد، فبذلك تلغون الافراط في الطعام تدريجاً وببطء وعلى نحو طبيعي ومستقيم.

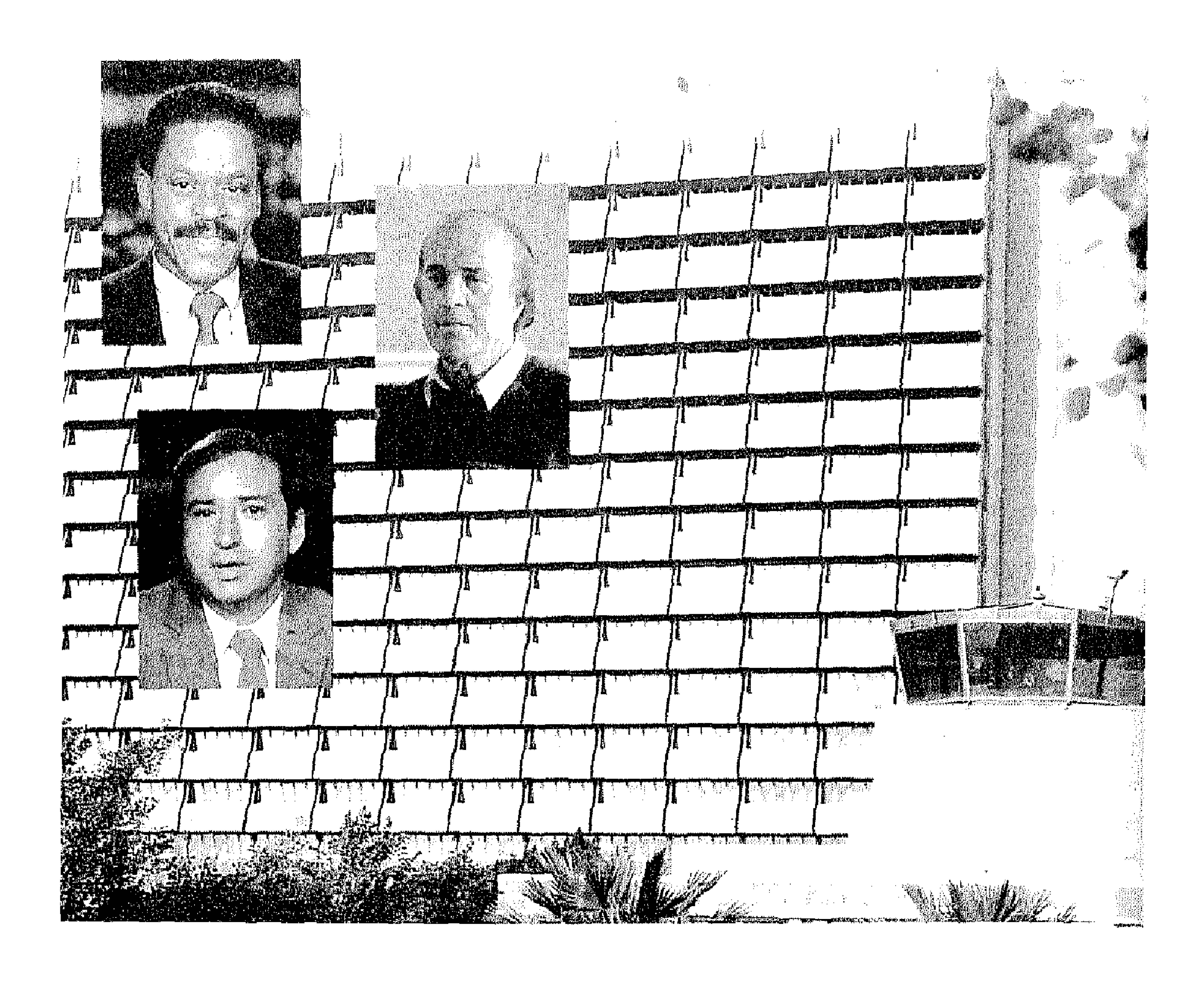
جان أنطونيلو ■

ذوّاقة وطبيب

كان الذوّاقة الشهير كورنونسكي في الرابعة والثمانين من عمره حين اشار عليه طبيبه بالامتناع عن أكل الصلصة واللحم والسمك اذا أراد أن يطيل عمره.

فهتف كورنونسكي: "في هذه الحال، افضّل ان اموت شاباً."

ب.ك.



فندق "الرشيد" في بغداد. (أعلى اليسار) برنارد شو وبيتر ارنيت وجون هوليمان.

CNN حَوَّلت العَالم قريَة كبيرة

دُعيت في البدء "شبكة الجبناء" لكنها أثبتت، خصوصاً خلال الحرب الاخيرة في الخليج، أنها أولى الشبكات الاخبارية في العالم

قبيل منتصف ليل الاربعاء ١٦ يناير (كانون الثاني) بتوقيت غرينتش، دوى صوت المذيع برنارد شو عبر الهاتف مباشرة من بغداد. قال شو لمشاهدي شبكة «CNN»[1] للتلفزة: "ثمة أمر ما يحدث في الخارج. إننا نشاهد وميضاً في السماء."

وأضاف الصحافي المحنك بيتر أرنيت الذي تولى تغطية سبع عشرة حرباً خلال ثلاثين سنة من حياته المهنية: "نسمع

(١) Cable News Network

هدير طائرات. انها تمر فوق فندقنا."

بعد لحظات انبطح شو وأرنيت والمراسل جون هوليمان على أرض الغرفة ٩٠٦ في فندق "الرشيد" الواقع في الوسط التجاري ببغداد. وعلى مدى الساعات السبع عشرة التالية تابع الثلاثة وصف بداية حرب الخليج التي غدت فيها شبكة «CNN»، فجأة، محطة "القرية العالمية."[٢]

وعلم في ما بعد أن القنبلة "الحليفة" الاولى التي سقطت على بغداد أصابت مبنى للاتصالات فعطلت ارسال شبكة «CNN» ووكالات أنباء أخرى. كان أرنيت يتكلم "على الهواء" عندما سقطت القنبلة، فقال: "ها هي صفارات الانذار تطلق للمرة الاولى. أخبرنا العراقيون..." وانقطع الاتصال.

كان العسكريون الامريكيون في المملكة العربية السعودية يشاهدون أخبار «CNN» في تلك اللحظة. ويذكر الفريق تشارلز هورنر قائد سلاح الجو الامريكي في مركز العمليات في الرياض: "عندما انقطع الارسال ضج الموجودون في الغرفة ابتهاجا. كانت تلك أصرح الاشارات التي بلغتنا، ففي تلك الدقيقة ذاتها كان يفترض أن تصيب القنبلة الهدف."

عاودت «CNN» الارسال بعد لحظات وكانت الشبكة الوحيدة التي واصلت بث الاخبار مباشرة من بغداد. ذلك انها أمّنت، سابقا، خطا هاتفيا مفتوحا على الدوام،[٣] فبات الاتصال الصوتي ممكنا عبر الاقمار الاصطناعية من طريق موجة صغرى (ميكروويف) في العاصمة الاردنية عمان.

عشية بدء القصف، اعترف وزير الدفاع الامريكي ديك تشيني بأنه اعتمد على «CNN» في الحصول على كثير من معلوماته عن الدمار الذي خلّفه القصف. قال تشيني: "إن أفضل نقل للأخبار عما حدث في بغداد شاهدته على «CNN». بدا أن العملية نجحت في ضرب أهدافها بدقة، بناء على التعليقات التي كانت ترد من فريق CNN المرابط في الفندق في بغداد."

"**القرية العالمية.**" لقد أصبحت شبكة «CNN»، ومقرها في أتلانتا بولاية جورجيا الامريكية، أوسع مصادر الاخبار المتلفزة ذيوعا في العالم، اذ تشاهد في ١٠٨ بلدان، ويراها الملايين في أنحاء العالم، ومتابعتها إلزامية بالنسبة الى السياسيين والصحافيين وكل من يريد سماع أخبار سريعة ومعمّقة عن كل حدث طارئ.

قطعت «CNN» شوطاً كبيراً منذ بدأت الارسال في يونيو (حزيران) ١٩٨٠، عندما كان النجارون والدهانون لا يزالون يعملون في منشآتها. يتذكر إد ترنر نائب الرئيس التنفيذي لشؤون جمع الأخبار: "كانت الأشرطة تتوقف فجأة والاضواء تخبو. ثم وجدنا شاهد عيان لحادث تحطم

---

(٢) The global village

(٣) A «four wire»

طائرة في كوريا. كان يتكلم الكورية بطلاقة، لكنه لم يعرف كلمة انكليزية."

كان الموظفون الاداريون في الشبكات العريقة المنافسة يسخرون من الشبكة الجديدة ويدعونها "شبكة الجبناء"[٤] مؤكدين أنها ستخسر مالياً وستضطر الى التوقف.

بعد مرور خمس سنوات غير رابحة سجلت «CNN» ربحها الاول – ١٣ مليون دولار – في العام ١٩٨٥. وبحلول العام ١٩٩٠ ارتفع ربحها الى ١٣٤ مليوناً. وحلّق عدد مشاهديها خلال الحرب مما حداها على رفع رسوم الاعلانات أضعافاً. قال مؤسس الشبكة تيد ترنر (لا يمت بصلة قربى الى نائبه): "للقرية العالمية مشاكلها، لكنها تقوم بعمل عظيم."

لم تكن «CNN» خلال الحرب الاخيرة في الخليج حلقة اتصال للمشاهدين في العالم فحسب، بل أصبحت حلقة اتصال مباشر وحي للقادة في كلا الجانبين، اذ انهم سعوا عبرها الى بث الرسائل والتهديدات بعضهم الى بعض والى المشاهدين في أرجاء العالم. خلال بعض الموجزات الاخبارية العسكرية، نصح ضباط القوات الحليفة القادة العراقيين بالتفكير ملياً في نتائج استعمالهم الاسلحة غير التقليدية ضد الحلفاء. وبحسب التقارير، كان الرئيس العراقي صدام حسين يلتقط بث شبكة «CNN» في مقره المحصن تحت الارض في بغداد، كما أنه نقل تهديداته الجريئة عبرها قبل الصراع وخلاله.

لكن جهات أخرى كانت أقل نباهة من الناحية الاعلامية. وقد جاء في صحيفة "لوس انجلس تايمز": "عندما اتصلت CNN بمنظمة التحرير الفلسطينية في تونس في الليلة الاولى للحرب سائلة عما اذا كان رئيسها ياسر عرفات يرغب في الظهور على الشاشة، أجاب مساعد عرفات: "الرئيس في غرفة الاتصالات يشاهد CNN، ولا نستطيع ازعاجه." وبعد يومين اتصل مساعد عرفات بالشعبة الخارجية في CNN شاكيا من أن الشبكة تعرض كثيراً من المسؤولين الاسرائيليين على شاشتها، طالبا المعاملة بالمثل."

اتهامات. أصبحت «CNN» بمثابة "سويسرا" وسائل الاعلام، واحة محايدة توفر معلومات لكل الافرقاء. لكن نقلها الدمار اللاحق بالمنشآت المدنية في بغداد أثار جدلا كبيرا: هل تقدم «CNN» أخباراً أم دعاية؟

عشية بدء الحرب طرح شو المسألة مباشرة على الهواء: "هل خطر لكم أنه ليس من قبيل المصادفة أننا لا نزال نبث الاخبار الى العالم؟ هذه الحكومة تريد للكلمة أن تذاع."

سمح العراقيون لأرنيت بمواصلة بث الاخبار من بغداد بعدما طردوا مراسلي مؤسسات اعلامية غربية رئيسية، وكانوا يرافقونه مع طاقم تصوير الى مناطق مدنية دمرها قصف الحلفاء. (في نهاية يناير / كانون الثاني دعا العراقيون

(٤) Chicken Noodle Network

مجموعة صغيرة من الصحافيين الغربيين الى بغداد. وبعد مغادرة هؤلاء العاصمة العراقية ادعى كثير منهم أن برقياتهم كانت تحوَّر، وأشرطة الفيديو تقتطع، لكي يبدو أن ضحايا القصف الجوي هم كلهم من المدنيين.)

لم يكن يسمح لأرنيت بنقل أخبار الدمار اللاحق بالمواقع العسكرية، وكانت الرقابة العراقية دقيقة ومباشرة. وعندما كان أرنيت مرة ينقل وصفاً لمشاهد بثها التلفزيون العراقي عن طيارين غربيين أسرى، سأله ريد كولنز منسق الاخبار في أتلانتا عن نتائج القصف الحليف على بغداد. فأجاب أرنيت: "لقد أوصيت بوجوب قطع هذا البث."

بعد مرور أربعة أسابيع على بدء العمليات العسكرية، شكا الرئيس الامريكي جورج بوش من أن الرئيس العراقي صدام حسين ينشر "خرافات وأضاليل" حول قصف الطيران الحليف مناطق مدنية، لكنه لم ينتقد شبكة «CNN» مباشرة. أما السناتور الامريكي آلن سمبسون فلم يتوان عن اتهام أرنيت بأنه "متعاطف" مع العراقيين، وذلك خلال مأدبة غداء مع رجال الصحافة.

وقفت «CNN» الى جانب أرنيت، وأعلن إد ترنر: "ان اتهامنا بالانحياز يأتي من كل صوب. بعض الكلمات والصور مؤلم، لكن الحرب هي كذلك. الرقابة مرهقة، لكن القيود المفروضة في بلدان أخرى متورطة في هذه الحرب – بما فيها الولايات المتحدة – مرهقة أيضاً." وبثت «CNN» تقريراً "أجازته الرقابة العراقية" شمل تقاريرها المرسلة من بغداد وتقارير مماثلة عن الرقابة الحكومية في بلدان التحالف وفي اسرائيل.

شخصيتان شهيرتان. قبل اندلاع الحرب الاخيرة في الخليج، سجلت الشبكة سبقها الصحافي الاشهر في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦، عندما غطت منفردة عملية اطلاق المكوك الفضائي "تشالنجر" الذي انفجر أمام كاميراتها بعد لحظات. وعندما اختفت طائرة "بان اميريكان" في رحلتها الـ١٠٣ عن شاشة الرادار فوق البلدة الاسكوتلندية الصغيرة لوكربي في ٢١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٨، بثت «CNN» أولى المشاهد من مكان الحادث ليراها المشاهدون في أنحاء العالم. وأثناء ممارسة الاجراءات الصارمة على الطلاب المتظاهرين في بكين في مايو (أيار) ١٩٨٩، بثت «CNN» تقارير حية طوال أكثر من ثلاثين ساعة، الى أن فرض المسؤولون الصينيون تعتيماً اعلامياً وأمروا فريق «CNN» بالتوقف عن البث.

إن ضخامة التغطية الحية للاحداث في أنحاء العالم تتطلب موهبة الارتجال لدى منسقي الاخبار في «CNN». وصار برنارد شو أشهر المنسِّقين ومحترفاً جدِّياً في عالم واسع من "الشخصيات" الاعلامية. عندما يطرأ حدث بارز يصبح شو دائم الانشغال. يبقي نظره على

الكاميرا، ويحتفظ بدفتر اصفر في متناوله. عندما تبث الشبكة تقريراً حياً، يدوِّن شو ملاحظات وأسئلة. أمضى ذات مرة عشر ساعات متواصلة جالساً في كرسيه في الاستوديو ينسق تغطية محاولة جون هينكلي اغتيال الرئيس الامريكي السابق رونالد ريغان.

أصبح شو (٥١ عاماً) مدمن أخبار في مسقط رأسه شيكاغو، حيث تسلل ذات مرة، وهو فتى، الى قاعة انعقد فيها مؤتمر وطني للحزب الديموقراطي. يقول متذكراً: "لم أكن فتى عادياً. كنت أضحي بمواعيدي مع الفتيات لمشاهدة أخبار التلفزة."

بعد توليه وظائف ثانوية في محطات اذاعية مخصصة للاخبار في شيكاغو وفي شبكات تلفزيونية في العاصمة واشنطن، انضم الى شبكة «CNN» في مستهل عهدها عام ١٩٨٠، مقتنعاً بأن مفهومها للتغطية الاخبارية على مدار الساعة يمثل أقصى ما انتهت اليه الصحافة المرئية.

أما أرنيت، شريك شو في بغداد، فتُمكن الاشارة اليه، في ميدان تدريس الصحافة، كنقيض للمراسل التلفزيوني النموذجي. فهو متوسط القامة، آخذ في الصلع، ذو أنف أفطس، وفي السادسة والخمسين من العمر. توقفت مؤهلاته الاكاديمية عند شهادة التخرج في كلية وايتاكي في أوامارو بموطنه الاصلي نيوزيلندة، لكنه حاز شهرة منذ أمد بعيد كحصان الحرب الاساسي في الصحافة.

طرد أرنيت عام ١٩٦٢ من أول بلد عمل فيه مراسلاً لوكالة "أسوشييتد برس" – اندونيسيا – لكتابته قصصاً اعتبرتها الحكومة غير مستحبة. وأمضى بعدئذ ثلاثة عشر عاماً يغطي أخبار الحرب في فيتنام للوكالة نفسها. وبعد انتهاء الحرب عُيِّن مراسلاً رئيسياً في نيويورك. انضم الى شبكة «CNN» في العام ١٩٨١ متنقلاً بين وظائف مختلفة، من رئاسة مكتب موسكو الى تحقيق السبق الصحافي في مسألة الأمن القومي في واشنطن، ثم التقط سانحة جعلته مراسل «CNN» في القدس.

منبر حر؟ يستطيع متتبعو برامج «CNN» أن يشاهدوا، الى النشرات الاخبارية، عرض "لاري كينغ"[٥] المسائي المباشر الذي يتضمن لقاءات "حية" مع مشاهير وصانعي اخبار، وبرنامج "كروسفاير"[٦] الذي تناقش فيه أهم مواضيع الساعة. وفي نهاية كل أسبوع تقدم «CNN» برنامج "عصبة العاصمة"[٧] الذي يتضمن حواراً مفتوحاً مع أربعة صحافيين كبار من واشنطن، وبرنامج "ايفانز ونوفاك"[٨] الذي يقدمه الصحافيان رولاند ايفانز وروبرت نوفاك. أما "التقرير العالمي" الذي تقدمه «CNN» أسبوعياً فيتيح لأي بلد بث وجهات نظر لم تتدخل «CNN» في

(٥) Larry King Live
(٦) Crossfire
(٧) The Capital Gang
(٨) Evans & Novak

صوغها. في ١٩ يناير (كانون الثاني)، بعد مرور أيام على بدء حرب الخليج، عرضت «CNN» مواقف منددة بالحرب من كوبا وليبيا، كما أفسحت في المجال للمملكة العربية السعودية ودولة الامارات العربية المتحدة وسوريا والبحرين ومصر لاعلان دعمها التحالف.

لا تزال «CNN» تتكيف والتحدي لكي تكون نافذة العالم كله على الاحداث – وليس فقط نافذة الولايات المتحدة. قال بيتر أرنيت لمشاهديه بعد مضي أسبوعين على بدء حرب الخليج، ضمن حوار مباشر حول تغطية الشبكة: "نشعر بأننا جزء من التاريخ. ليس بفضل هذا البرنامج، بل لأننا في بغداد، العاصمة التي تهاجمها الولايات المتحدة، بلادنا. أعلم أننا في CNN لا نتكلم عن قوميات معينة، فنحن جزء من القرية العالمية. لكننا، في أوقات كهذه، نفكر في الاوطان."

بقي أرنيت في بغداد الى ما بعد اعلان وقف اطلاق النار. وهو يأمل أن يساعد عرض أهوال الحروب على شاشة التلفزة في "منع حصول أحداث كهذه في المستقبل. هذه أمنيتي بعد ثلاثين سنة أمضيتها في تغطية أخبار الحروب في أنحاء العالم."

جون ن. ماكلين ■

ظرف انكليزي

ذات يوم، القى السر ديفيد ماكين رئيس شرطة "متروبوليتان" اللندنية المتفوقة خطبة في هيئة أركان الشرطة الكندية، فأورد مثلا عن ظرافة الشرطة البريطانية من خلال "لوحة" ضاحكة انتقاها من مجموعة اسئلة تضمنها امتحان احدى دورات شرطة "متروبوليتان":

"أنت في دورية. يدوّي انفجار في الشارع القريب. تهرع الى المكان. تشاهد حفرة كبيرة وشاحنة مقلوبة بالقرب من الحفرة. رائحة قوية تفوح من داخل الشاحنة وراكباها، رجل وامرأة، مصابان. تتوقف دراجة نارية قربك ويعرض سائقها المساعدة، فتعرف فيه مجرماً مطلوباً بتهمة سطو مسلح. ثم يهرع اليك رجل من منزل قريب صارخاً أن زوجته حامل وقد جاءها المخاض قبل الاوان بفعل صدمة الانفجار. وفي الوقت عينه تسمع استغاثة رجل قذفه الانفجار الى ترعة مجاورة وهو لا يجيد السباحة.

أوجز بكلمات قلائل ما قد تفعله في حال كهذه."

وتابع السر ديفيد روايته قائلا ان واحداً من ضباطه الاذكياء زعم أنه أوفى الموضوع حقه من التفكير ثم التقط قلمه وكتب: "أخلع بزتي وأختلط بالحشد."

صحيفة "انترناشونال فاير فايتر"

الحقيقة لا تسيء أبداً الى قضية عادلة.

غاندي

ثلاثة رياضيين سنحت لهم فرصة الوصول الى قمة المجد لكنهم لم يصلوا الا الى النشوة الخادعة

بطل شعبي

في العام ١٩٦٨ ركب هارثورن ناثانيل وينغو حافلة أمام منزله في تريون قاصداً مدينة نيويورك ليطارد حلماً هو احتراف كرة السلة. عمل حمّالا في متجر ثياب، وراح يلعب في أي مباراة ومع أي ناد أمكنه الاشتراك فيه.

ويذكر وينغو الذي يبلغ طوله مترين: "كنت جالساً في شقتي الصغيرة عندما رن جرس الهاتف. كان المتكلم من نادي "نيكس" في نيويورك، وأخبرني أن النادي يريد التعاقد معي. قفزت عالياً من شدة فرحي حتى ضربت السقف برأسي."

هكذا، قبل ١٨ عاماً، أصبح اللاعب المبتدىء في فريق نادي "نيكس" بطلا شعبياً في مدينة نيويورك.

كان المتفرجون من أبناء المدينة يعشقون كل دقيقة يلعبها. وكانوا يرحبون به كلما نزل الى الملعب بصيحات مدوية: "وينـ... غو! وينـ... غو!"

الا أن تلك الايام ولت.

فمنذ العام ١٩٨٢ ووينغو يبذر أمواله على المخدرات والكحول. وهو يعترف بأن "كل الامور ساءت" بعدما توقف عن اللعب. كان يمضي لياليه محاولا نسيان الواقع بتعاطي المخدرات. يقول: "كنت أشم الكوكايين وأدخن الكراك[1] وأفرط في شرب الكحول." نقل في صيف ١٩٩٠





(١) الكراك نوع صاف من الكوكايين المتبلر يدخَّن بدل ان يُشمّ.

الى مستشفى خاص بالامراض النفسية حيث عولج من ادمان المخدرات والكحول. وهو حالياً يعيش في بيت أحد أصدقائه في مدينة جرزي محاولا الابتعاد عن العادات القديمة والافكار السيئة.

يتناول وينغو (٤٣ عاماً) بطاقة لهواة كرة السلة تحمل صورته، وبعد أن يتأملها يرميها في كومة أوراق متسائلا: "هل تعتقد أن الشبان في حيي القديم لا يزالون يحتفظون بهذه البطاقة؟"

وماذا عن رفاقه في الفريق؟ لقد أصبح بيل برادلي سيناتوراً،[٢] وويليس ريد نائب رئيس فريق "جرزي نتس"، ووالت فريزر مؤلفاً ومعلقاً على مباريات كرة السلة. أما وينغو فيعمل الآن حارساً ليلياً. ويغمض عينيه لبرهة، كأنما السؤال ينخر قلبه.

فنسنت م. مالوزي

في "نيويورك تايمز"

● ● ● المدمر ● ● ●

لا يزال الناس في حي هارلم[٣] يتحدثون عن مباراة البطولة لرابطة "راكر" في العام ١٩٧٠. كان "وست سايدرز" أحد الفريقين المتنافسين وفيه اللاعب الشهير "الدكتور ج" جوليوس ارفينغ. أما الفريق الآخر فكان فريق "ميلبنك." في الشوط الثاني نزل الى الملعب لاعب يدعى جو هاموند وطوله ١٩٣ سنتيمتراً ليلعب مع فريق "ميلبنك." كانت مهمة ارفينغ منع هاموند من تسجيل أهداف، الا أن هذا استطاع تسجيل ٥٠ نقطة في مقابل ٣٩ لارفينغ، وربح جائزة أفضل لاعب في الموسم.

في كثير من أحياء نيويورك، لا يزال ذكر اسم جو هاموند يرسم بسمات على الوجوه. ففي السبعينات جذب المشاهدين بأهدافه الدقيقة وبمجموع نقاطه. كان يلقب "المدمر" لقدرته على تحطيم خط دفاع الخصم. لم يشترك في مباريات المدارس الثانوية والجامعات. ولكن في التاسعة عشرة من عمره أعلنته "الرابطة الوطنية لكرة السلة" نجما مستقبلياً.

يقول دون أدامز وهو مدرب في احدى المدارس الثانوية: "كان جو هاموند أعظم لاعبي كرة السلة الذين خرجتهم هارلم."

حاول لو كارنيسيكا، مدرب فريق "نيويورك نتس" آنذاك، أن يتعاقد وهاموند لموسم ١٩٧٠ – ١٩٧١. يقول لو: "كان جو يملك مهارات هائلة ويبشر بمستقبل عظيم. وكان سَلَفاً صالحاً لشباب أمثال ماجيك جونسون."

عرض كارنيسيكا على جو عقداً لثلاث سنوات، الا أن هذا رفضه. ويضيف كارنيسيكا: "أعتقد أنه شعر بقدرته على عمل أفضل."

في العام ١٩٧١ عرض عليه فريق "لوس انجلس ليكرز" الانضمام اليه واللعب مع ويلت تشامبرلين. لكنه رفض هذا العرض أيضاً.

ما لم يدركه فريقا "ليكرز" و"نتس"

---

(٢) السيناتور عضو في مجلس الشيوخ الامريكي.
(٣) هارلم حي في مدينة نيويورك تسكنه اكثرية من الزنوج والهسبان الفقراء.

CONDENSED FROM NEW YORK TIMES (JANUARY 13, '91, NOVEMBER 11, '90, JUNE 16, '89).

هو أن هاموند حظي بمصدر مالي أفضل هو تجارة المخدرات في شوارع هارلم. يقول هاموند: "ماذا عساي أفعل بوظيفة وأنا أخفي ٢٠٠ ألف دولار في شقتي وأملك ناديا ليليا وسيارتين فخمتين ومنزلا وثلاث شقق؟"

بقي هاموند في الشوارع يجني المال السهل. وبطل كرة السلة غدا مدمن مخدرات. وهو سُجن بتهم تتعلق بالمخدرات، وخسر كل تطلعاته وممتلكاته بما فيها ميدالياته.

يقول هاموند (٤١ عاماً) وهو يبلع ريقه بصعوبة: "قل لي، أهكذا تؤلف الاساطير؟"

ويخرج من أحد أزقة هارلم عارجاً، ويتجه نحو ملعب، فيصيح به أحد الصبية الذين يلعبون هناك: "أنت، أخرج من الملعب."

يقف هاموند تحت نور مصباح فيديو رجلا طويل القامة ناحلها يلبس سترة فضفاضة وسروالا أزرق ممزقاً وفي يده رزمة. يقول للصبية الغاضبين: "معي دفاتر عناوين وبطاقات معايدة للبيع. أحاول أن أكسب لقمة عيشي."

فجأة يسرع اليه رجل كهل ويسأله: "الست جو هاموند؟ ألست المدمر؟"

وفيما الرجلان يتحدثان يقف صبية الحي يراقبونهما. أخيراً يناول الرجل هاموند بعض المال، فيتصافحان، ثم يختفي جو هاموند في الظلام.

فنسنت م. مالوزي

في "نيويورك تايمز"

●●● الاسطورة ●●●

راح يتمشى في الحديقة العامة عند تقاطع الشارع ٩٨ وجادة أمستردام في هارلم بنيويورك. وللحال عرفه الناس وحيّاه كل من مرَّ به. انه ايرل مانيغوت. وعلى رغم أنه ترك الحي قبل سنوات فان كثيرين ما زالوا ينادونه بلقبه "المعزاة" أو "الاسطورة."

تذكَّر المارة كيف ألهب حماسة المشاهدين بتحليقه فوق السلة وتسجيله الاهداف متجاوزاً منافسين أطول منه في دورة نادي "راكر" في هارلم. وتذكروا منازلاته أشهر النجوم أمثال كوني هاوكنز وكريم عبد الجبار (كان اسمه لو ألسندور آنذاك). تذكروا أيضاً كيف سجل ٣٦ هدفاً متتالياً من وراء ظهره ليربح رهانا بستين دولاراً.

استطاع مانيغوت (١٨٥ سنتيمتراً) أن يبني شهرة كواثب مميز عندما كان في سن المراهقة، بازّاً بذلك منافسيه الاطول قامة والاكبر سناً. وعندما ذاع صيت رمياته وتصدِّياته في ملاعب هارلم سعى اليه مديرو الفرق الجامعية.

لكن مانيغوت خاف ألا ينسجم في الجو الاكاديمي في جامعة بارزة، ففضل الالتحاق بجامعة "جونسون سميث" في مدينة تشارلوت بولاية نورث كارولينا، حيث واجه صعوبات في دروسه ولم يتفق ومدربه فانسحب قبل انتهاء العام الدراسي. يقول: "حينئذ بدأت طريقي نحو الهاوية، فرحت أعبث مع السيدة البيضاء، الهيروويين." وهكذا أصبح

"أفضل لاعبي كرة السلة في حجمه في تاريخ مدينه نيويورك" – كما وصفه كريم عبد الجبار – مدمن مخدرات ولصاً.

سرعان ما صار تعاطي الهيروين يكلفه ما يزيد على مئة دولار يومياً، فراح يسرق معاطف الفرو من مخازن الالبسة في منهاتن لتمويل ادمانه. وتدهورت مهاراته تدريجاً ثم توقف نهائياً عن اللعب اثر فقدانه توازنه وسقوطه مرتين في الملعب أثناء مباراة لفريق "راكر" عام ١٩٦٥. بعد ذلك صار يقف في زوايا الشوارع مطأطأ الرأس مخدراً مترنحاً أمام أهل الحي.

في العام ١٩٦٩ سجن بتهمة حيازة مخدرات. وفي العام نفسه غدا كريم عبد الجبار مليونيراً منخرطاً في فريق "ميلووكي بكس."

يشمر مانيغوت عن ذراعيه الناحلتين ويشير الى آثار الحقن التي زرعها على مدى ثلاث عشرة سنة من صفوة عمره، ويقول: "أنا رجل غني. انظروا، كل مالي محقون في أوردتي."

لا يزال الملعب عند تقاطع الشارع ٩٨ وجادة أمستردام يدعى "حديقة المعزاة." عندما انتشر خبر قدوم مانيغوت الى الحي قبل سنتين توافد الناس الى الحديقة ليرحبوا به، فشاهدوا هيكل الرياضي الذي أحبّوه يتحرك بسيجارة تتدلى من فمه وقشة يشرق بها الجعة من تنكة داخل كيس ورق. كان يسير محني الظهر كقائد مهزوم يزور أرض عزّه وقد أماتت المخدرات مواهبه.

عندما سئل هل لا يزال يستطيع ادخال كرة في السلة، ابتسم ولم يجب.[٤]

يان أوكونور

في "نيويورك تايمز"

(٤) مانيغوت اليوم في السادسة والاربعين من عمره وقد شفي من ادمانه المخدرات، كما خضع لجراحتي "قلب مفتوح."

من رئيس الى خطيبته

كتب الرئيس الامريكي الراحل هاري ترومن الى خطيبته بس والاس: "بما انني عاجز عن انقاذك من اي وحش والهبوب لتخليصك من مبنى شبّت فيه النار وانجادك من سفينة غارقة – لأنني، ببساطة أخشى الوحوش ولا أستطيع حملك ولا أحسن السباحة – لذلك أرى أن عليّ السعي لجني ما يكفي من المال لتسديد ديوني، وبعد ذلك أجعلك تقبلينني كما أنا، رجلا من العامة، من الذين ترينهم كل يوم، ينزع الى المشاكسة لكنه يسعى الى عمل الصواب... واذا كنتِ لا تحبين الرسائل المسرفة في الرومانسية، فما عليك الا ان تخبريني بذلك، لأني ما وجدت يوماً رغبة في كتابتها ولا استسغت الاطناب في وصف خصالي الحميدة."

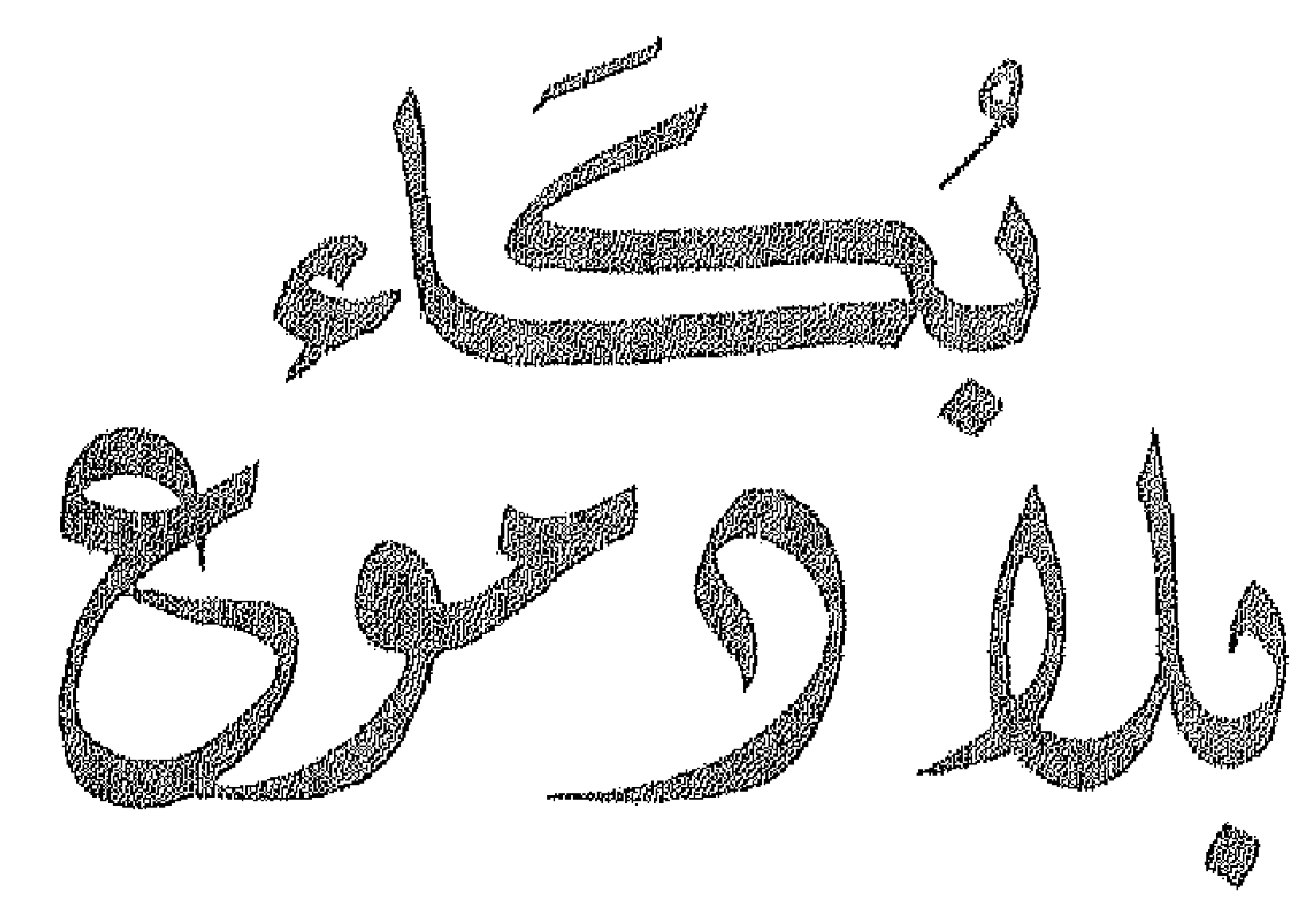
بس و. ترومن

الهراء المتكلّف كذب سافر لا يطاق. أما التملق فثناء شفاف في رهافته حتى اننا نحبه.

ف.ج.ش.

كان صغيراً عندما أتينا به الى بيتنا لكننا لم نعرف الراحة والسعادة حتى باح بماضيه الاليم

الاربعاء ١٥ يونيو (حزيران) ١٩٨٧ شاهدتُ للمرة الاولى ذلك الصبي الصغير الذي أصبح ابني لاحقا. كان ذلك في مكتب طبيب نفساني، وقد تقوقع الصبي على أريكة بنية بالقرب من زوجين صامتين في منتصف الاربعينات



بُكاء بلا دموع



ILLUSTRATION: PATTI COSGROVE

افترضت أنهما أبواه بالتبني. لزم الصبي الصمت، وبدا شاحبا وقد قصّ شعره الداكن قصيرا جدا، ولاحظت أن أظافيره كانت مقضومة. في تلك السنة كان مايكل في الرابعة من عمره.

لم يكن يفترض بنا، أنا وزوجي تيري، أن نراه. ولكن تسنى لنا ذلك إذ أسرعنا الى المكان حالما تلقينا الخبر. لقد تخلت والدة مايكل عنه وهو بعد طفل يخطو خطواته الاولى.

وها هو التاريخ يعيد نفسه. وعلمنا لاحقا أنه عندما أخبر الطبيب النفساني مايكل انّ عليه أن يترك أبويه ليعيش مع أبوين "جديدين" تملكته رجفة تشنجية وبال في سرواله.

غير مرغوب فيه. بعد ثلاث عشرة سنة من الزواج منّ الله علينا خلالها بثلاثة أولاد، قررنا أنا وتيري أن نتبنى طفلا. وكنا نتردد الى صفوف للخدمات الاجتماعية ونصغي الى ما ترويه العاملة الاجتماعية شيريل عن الاطفال الذين لا

أولياء لهم. وهالنا ما سمعناه من قصص عن أطفال يحتجزون في الخزائن أو يختنقون على أيدي أباء شبليز لا نعم ما يفعلون، وراعنا ما رأيناه من صور تصدم النفوس ويشمئز منها البصر.

كنت في البداية أعود من هذه الاجتماعات وأنا أبكي. وقلت في نفسي: ما لي ولهذه الامور؟ لن أستطيع التعامل مع طفل عاني ما عاناه من قسوة. ولكن عندما شارفت الدروس نهايتها تقدمنا بطلب للتبني.

طال انتظارنا تسعة أشهر. وذات يوم اتصلت بنا شيريل، وكنا نمضي اجازتنا في فلوريدا. قالت: "عثرت لكما على طفل يدعى مايكل." وزودتنا تفاصيل مأسوية عنه: "لقد حاولت أمه المدمنة المخدرات التخلص منه غير مرة، فتركته أخيرا في مطعم وقد كُسرت ذراعه وتورمت عيناه، وكان يبلغ من العمر سنة وثمانية أشهر."

أمضى مايكل سنة في دار للاطفال المشردين، ثم عُهد فيه الى عائلة، وهذه تسوية تؤدي عادة الى تبنٍّ قانوني. لكنها، في حال مايكل، أدت الى نبذ آخر.

أخبرتنا شيريل: "انه كأي طفل آخر في الرابعة من عمره، لكن الزوجين اللذين تبنياه لم يرزقا أولادا، ويبدو أنهما لا يعرفان ماذا ينتظران من طفل صغير. انهما يريدان أن يغادر منزلهما يوم الجمعة." ثم سكتت هنيهة وأضافت: "أعلم أن هذه المهلة غير كافية لكما، لكن ثمة أمراً يميز هذا الطفل عن سواه، فهل لكما أن تدرسا إمكان تبنيه؟"

كان تيري يقف على مقربة مني سامعا الحديث على هاتف آخر، فتبادلنا النظرات وأومأ موافقاً ثم قال لشيريل: "سنركب اليوم طائرة ونأتي اليكم." فناديت أولادنا وزففت اليهم البشرى.

"كانت أمي الأخرى..." في اليوم التالي بعد لقائنا الطفل الخائف في مكتب الطبيب النفساني، تدبرت شيريل لقاء تعارف بيننا. وتوقعنا أن نرى مايكل باكياً ومنهاراً، لكنه بدل ذلك بدا منشرحاً ومرحاً، وسألنا: "انتما أبواي الجديدان، أليس كذلك؟ وسأنتقل غداً الى منزلكما." وقهقه بعصبية عندما أخبرناه عن "شقيقه" و"شقيقتيه" الذين ينتظرونه. لكني لاحظت أنه يتفادى نظراتنا، فقلت في نفسي: "لعله يخاف أن نرفض أخذه."

صباح الجمعة توجهنا أنا وتيري لتسلم مايكل من منزل "ذويه" السابقين. فوجئنا بفخامة المنزل وأثاثه الخالي من أي شائبة وبياض سجّاده الناصع. وعندما نقلنا أمتعة مايكل القليلة الى السيارة وآن له أن يودّع ذويه للمرة الاخيرة، بقي محافظاً على ابتسامته فيما ودعته "أمه" بتربيتة غير مبالية، لكن ذقنه الصغير أخذ يهتز عندما عانقه "أبوه،" وركض الى السيارة صارخاً: "هيا بنا!"

وفي الطريق راح مايكل يضحك ويثرثر، وبدا مفعما بالحماسة.

عندما سلكنا الدرب المؤدية الى منزلنا

لم تكن المفاجأة سارة بالنسبة الى مايكل، اذ بدا التناقض صارخاً بين منزلنا القرميدي المتواضع وذاك الذي غادره قبل قليل. وازداد الاختلاف وضوحا لدى دخولنا المنزل واندفاع الاولاد الثلاثة، والكلب معهم، لاستقبالنا. كان أثاث منزلنا وسجّاده من النوع العمليّ المتين الذي يتحمل الاستعمال المتواصل.

ابتسم مايكل بخفر عندما عرّفناه الى "أختيه" ليزا (١١ عاما) وراكيل (٧ أعوام) و"أخيه" ستيفن (٥ أعوام) فعلّق: "أرى أولاداً كثيرين يعيشون هنا." واستوضحهم أين كانوا يسكنون جميعاً قبل مجيئهم الى "هذه العائلة." وبدا مرتبكاً عندما عرف أنهم عاشوا معنا منذ ولادتهم.

حرصنا أنا وزوجي على توطيد معرفتنا بابننا الجديد. واكتشفنا أن الشحوب في لونه مردُّه الى أنه نادراً ما كان يُسمح له بالخروج من المنزل. وكان أكثر ما يخشاه تلطيخ ملابسه. وأخيرا باح لي بسره: "كانت أمي الاخرى تغضب كثيرا. وهي أخفت جواربي لانني كنت أوسخها، ولم تسمح لي بارتدائها إلا أيام الآحاد."

أثار اعتراف مايكل اشمئزاز تيري. فأخذه في نزهة طويلة على الاقدام ثم عادا عبر حقل موحل. ولما وصلا الى المنزل كان مايكل متسخاً... وسعيداً.

صراخ في الليل. توقعنا أن تكون الاسابيع الاولى صعبة على مايكل، لكنه بدا عفوياً ومتقبلا لاسرتنا. كان يلعب مع الاولاد ويناديـنا "ماما" و"بابا" بسهولة ظاهرة. وغمرتنا السعادة... الى أن أخبرَنا الجيران أن مايكل يناديهم أيضاً "ماما" و"بابا." فتيقّنا أن هاتين الكلمتين لا تحملان معنى خاصا بالنسبة اليه.

بدأت المشاكل الحقّة في أواخر يونيو (حزيران). ذات يوم أوقع مايكل الطعام على ملابسه، فطلبت منه أن يذهب الى غرفته ليغير ثيابه. ولما لم يعد ذهبت اليه، فوجدته واقفا بلا حراك بالقرب من أحد أعمدة السرير وهو ينظر الى بركة من البول تغطي الارض.

فسألته بلطف: "لماذا فعلت ذلك؟" فنظر الي وقد خلا وجهه من أي تعبير، ثم خفض عينيه لازما الصمت.

هل ظن أنني كنت أعاقبه بارساله الى الغرفة؟

كان الحادث بالنسبة الينا تذكيرا مروعا بأن ابننا يصارع عواقب النبذ والاهمال وسوء المعاملة. وما من طفل في الرابعة من عمره مهيأ لجبهها.

أقبل يوليو (تموز) بلياليه التي مزق صراخ مايكل سكونها. وكلما طلع الصباح استعاد مايكل هناءه وهدوءه وتلون وجهه بالعافية وبدا مستمتعا برفقة ستيفن. كانا يركبان الدراجة ويأتيان أعمالا صبيانية شقية غالبا ما تكون أختاهما ضحيتيها. وذات يوم حصل أمر ولّد فينا القلق والاضطراب. فقد دخلت المطبخ ووجدت مايكل واقفا وحيداً وأمارات اليأس على وجهه وقد ضغط بسكين حادة على

معدته. فصرخت: "مايكل! ضع السكين جانباً!" واندفعت اليه ونزعت السكين من يده. وخارت قواي فجلست منهكة في كرسي قريب، ثم مددت يدي المرتجفتين وأجلسته في حضني وسألته: "ماذا كنت تفعل يا حبيبي؟"

فأتى جوابه بارداً يثير القشعريرة: "كنت أتساءل كيف يكون الذهاب الى الجنة."

في تلك الليلة لم نقوَ أنا وتيري على النوم، فتسامرنا حتى ساعة متقدمة من الليل وصلَّينا.

قلت لزوجي: "ما الذي أوهمني بأنني قادرة على تغيير حياة طفل كان ضحية معاملة سيئة؟ أتظن أننا أخطأنا في تبنيه؟"

أجابني تيري: "لا، يمكننا أن نحقق فارقاً، لا بل اننا نحقق فارقاً."

لا دموع. بات من الضروري أن نعوّل على غريزتنا كوالدين. وشعرنا بأننا اذا ما تحلينا بقليل من الصبر تمكنا من مساعدة مايكل على تنفيس السوداوية التي تتأكله. وبعدما راجعت الطبيب النفساني في هذا الخصوص قررت اتباع مقاربة بسيطة.

صباح اليوم التالي ناديت مايكل الى غرفتي واقترحت عليه أن نلعب: "لنحاول أن نمثل أننا حزينان جداً."

فقال لي: "هذه لعبة مسلية." لكنه بدا فجأة مضطرباً، فهو أمضى معظم عمره الندي تحت أضواء العلماء النفسانيين.

جلسنا على السرير ورحنا نعبس وننظر الى وجهينا في مرآة. وبعد دقائق قلت لمايكل: "دعنا الآن نخبر أموراً تحزننا. سأبدأ أنا: يحزنني أن يتكلم الناس بالسوء بعضهم على بعض. دورك الآن."

فأومأ برأسه وبدأ: "يحزنني أن..." ثم صمت فجأة وقفز عن السرير مغمغما: "لا أريد أن ألعب هذه اللعبة." فركعت بجانبه على السجادة وقلت له: "أعلم أن الامر شاق يا عزيزي، لكنني أريدك أن تحاول. تستطيع أن تهمس في أذني."

انقضت برهة، واذا به يدنو مني هامساً: "يحزنني أن يقول لي الناس انهم لا يريدونني معهم و... إذهب من هنا." وأخذ جسمه الصغير يرتجف. فضممته قائلة: "لا عليك، فأنا سأحبك دائماً."

فعانقني بقوة، لكن عينيه الزرقاوين الهلعتين بقيتا بلا دموع.

في الصيف راقبنا مايكل عن كثب. لاحظنا أنه، غالباً، يبتسم عندما يكون غاضباً. فرحنا نقول له كلما رأيناه يخفي مشاعره: "هيا، ليظهر الغضب على وجهك." وكنت أعبس ممازحة فنغرق كلانا في الضحك.

ذات يوم اندفع مايكل من غرفته غاضباً وهو يصرخ: "هذا ليس عدلاً، لقد أخذ ستيفن سياراتي كلها." فطيَّبنا خاطره وأرسلناه ليطلب من ستيفن أن يشاركه في الالعاب. وقال لي تيري باسماً: "لم يخطر ببالي يوماً أنني سأسعد لسماع طفل يصرخ."

بحلول نهاية أغسطس (آب) بات مايكل يعبر عن غضبه، وبدا أكثر ثقة بوضعه كفرد من أفراد العائلة. لكنه ثابر على إخفاء يأسه النابع من الاحداث الجارحة التي حطّت به في منزلنا. وهو لم يذرف دمعة واحدة طوال الاسابيع العشرة التي أمضاها بيننا.

كلمات مؤلمة. ذات يوم قلت لتيري فيما كنا نشرب القهوة: "أظنه خائفاً جداً من إزاحة هذا الستار الاخير."

فاقترح تيري: "ربما علينا أن ننزعه قسراً، إذ لا يجوز أن نتركه على هذه الحال."

وسنحت لنا الفرصة على غير توقع في أحد أيام سبتمبر (أيلول). كان مايكل يلعب ببعض الالواح الخشبية، فقال: "كنت أمرح كثيراً مع أبي الآخر عندما كان يساعدني في بناء برج كبير. وكنا، عندما ننتهي من البناء، نقذف البرج بأشياء وأشياء حتى ينهار."

فابتسمت وقلت له: "أنا متأكدة من أنك أمضيت أوقاتاً حلوة مع أبيك القديم، أليس كذلك؟"

لكنه لم يجب، بل لزم الصمت.

نظرت اليه، فأشاح بوجهه، الا أنني تمكنت من رؤية ذقنه الصغير يرتجف. ثم قفز مفتعلا الابتسام وقال: "انظري يا ماما." وأخذ يثب حول الغرفة باسماً ملوحاً بذراعيه. لكن عينيه كانتا كئيبتين.

فأوقفته وقلت له: "دعنا نتكلم عن أبيك القديم."

فحاول التملص، لكنني أدنيته مني وأمسكت وجهه بيدي وأرغمته على النظر الي، ثم قلت له برقة: "لن تتخلص من هذه الامور السيئة ما لم تبُحْ بها، فهل تستطيع ذلك؟"

شعرت بصراع عنيف يعتمل داخله، وراحت عيناه تجوبان الغرفة بحثاً عن وسيلة للهرب. وتراءى لي من خلال تعبيره اليائس طفلا بكى فلم تكفكَف دموعه ومدَّ ذراعيه فكانتا ملويتين مكسورتين. رأيت طفلا مفعماً بالثقة قيل له إنه يستطيع البقاء الى الابد في منزل تبناه وتكفل برعايته، فاذا به يطرد منه. رأيت الالم في تعبيره، والخيانة والغضب، لكني رأيت أيضا حاجة الى الحب. وسالت الدموع على خدي.

"مايكل!" نظر الي بلا اكتراث. جزء مني أراد تجنيبه الالم الذي كان يحتمي منه، لكني عرفت أن الساعة حانت لهدم الحاجز الاخير الذي رفعه واختبأ وراءه.

قلت له: "عندما كنت صغيراً كانت أمك تضربك. وذات مرة ضربتك بقوة فكسرت ذراعك، ثم تركتك في مكان ما وحيداً. بماذا شعرت آنذاك؟"

أجابني بصوت مخنوق: "بالحزن."

فأومأت موافقة وقد اغرورقت عيناي بالدموع وتابعت: "ثم أودعت داراً للعناية، ولما وجدت السعادة مع أبويك الجديدين اضطررت الى تركهما مجدداً. فبماذا شعرت؟"

أجاب بصوت يكاد لا يسمع: "بالحزن."

تابعت: "كان من المفترض أن يتبناك أبواك الآخران، لكنهما عدلا عن ذلك..." كانت الكلمات مؤلمة، ووجدت مشقة بالغة في إكمال حديثي: "فبماذا شعرت آنذاك يا مايكل؟"

ففاضت عيناه ألما اذ حدق الي وقد لاذ بالصمت.

فناشدته: "لا داعي بعد اليوم الى أن تخاف من هذه الامور الاليمة الماضية، فسأكون أمك الى الابد."

بقيت عيناه شاخصتين اليّ لحظات، ثم انهار بين ذراعي منتحبا مرتعشا، وأخذ ينشج بأسى. فعانقته وبكيت معه.

استمر مايكل على هذه الحال من البكاء ثلاثة أيام، كأن سداً انفجر وفاض. فتارة يتذكر الثوب الذي لم تدعه أمه يرتديه، وتارة رحلة الصيد التي لم يصطحبه بها أبوه "القديم" والصنارة التي ترمز الى ذلك الوعد المنكوث، ثم ينتحب من جديد. واستمر يبوح بما في قلبه بين معانقة وأخرى. وبكيت معه وشاطرته آلامه الماضية. وبدأنا، شيئاً فشيئاً، نسدل عليها ستار النسيان.

لحظات وداع. في ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٧ أصبح مايكل فرداً من عائلتنا بحكم القانون. وهو اليوم صبي في الثامنة من عمره، مرح وعابث، يحلم أن يصبح طبيباً أو ساعي بريد. وهو يبلي حسناً في المدرسة.

لكن الانجاز العاطفي الذي حققه لم يحل جميع مشاكله. فما زال الفقدان يحز في نفسه، ويحزن كثيراً لدى انتقال أصدقائه أو معلميه الى مناطق أخرى. لكني بدأت أتحسس مدى تقدمه من خلال ردود فعله على لحظات الوداع.

زوجي تيري مضطر، بحكم عمله، الى السفر باستمرار. في البدء كان رحيله مصدر اضطراب لمايكل. لذا وضعت نظاماً بسيطاً يرسخ الطمأنينة في قلبه: في منزلنا، كل رحيل يؤذن بعودة منتظرة.

ودرج مايكل على حمل حقيبة أبيه الى الشاحنة الصغيرة التي يركبها تيري للذهاب الى المطار. ثم نتعانق ونردد عبارات: "الوداع... اني أحبك... أسرع في العودة." وبتنا نقف، أنا ومايكل، خارج المنزل ملوحين بأيدينا حتى تغيب الشاحنة خلف المنعطف.

ويسألني مايكل: "أبي ذاهب في رحلة عمل فقط، أليس كذلك؟ وسيعود الينا بسرعة، أليس كذلك يا أمي؟".

فأجيبه "أجل يا بني." وأحيطه بذراعي وأعانقه بسعادة غامرة.

ديبرا سنايدر ■

ديبلوماسية البحر

الديبلوماسي وسرطان البحر كائنان متشابهان، فهما يتحركان على نحو يستحيل معه تمييز ما اذا كانا مقبلين أم مدبرين.

م.ف.

كتاب الشهر

مغامرون في بلاد الاسكيمو




مُلخّص من كتاب "البحث عن الكأس"
بقلم بيار برتون

"الممر الشمالي - الغربي" طريق عبر "قمة العالم" من المحيط الاطلسي الى المحيط الهادىء. انتظر طويلا من يكتشفه، ثم أتى الرجال من كل صوب، ودام بحثهم معظم القرن التاسع عشر وأزهر عصراً ذهبياً للاستكشافات. مخرت السفن - بريطانية في البداية وأمريكية في ما بعد - بحاراً انتثرت فيها قطع جليد، ولاقت مصيراً مأسوياً أحياناً كثيرة. وكانت أفجع هذه المآسي رحلة السر جون فرنكلين الذي أبحر في العام ١٨٤٥ مع ١٢٨ رجلا ولم يعودوا أبداً. غزت مجموعات من الباحثين المنطقة القطبية الشمالية القاسية سعياً الى الشهرة والمجد، بحضّ من زوجة فرنكلين الجريئة العنيدة، وبتمويل منها أحياناً.

في هذه الصفحات، يعيد المؤرخ الكندي الشهير بيار برتون كتابة تفاصيل المغامرة بكل طرافتها ومأسويتها الانسانيتين ومواقف الخطأ والعناد والشجاعة التي حققت النصر ومنحت الليدي فرنكلين القلقة سلاماً.

PHOTO: THE NATIONAL MARITIME MUSEUM, LONDON

احد أوسمة السر جون فرنكلين، استعيد في العام ١٨٥٤



وجد الباحثون في العام ١٨٥٩ في معلم بارز على جزيرة كينغ وليم، السجل الوحيد المكتوب للبعثة المفقودة.

تتضمن مذكرات المستكشف القطبي السر جون روس رسماً رائعاً لمواجهة بين ضابطينَ من البحرية البريطانية ومجموعة من الاسكيمو في غرينلاند.

يرتدي رجال الاسكيمو سترات وسراويل وأحذية مصنوعة من الفراء وجلود الفقمة تلائم قسوة المناخ في "ألتيما ثول."[1] أما الضابطان اللذان نزلا الى البر للسلام عليهم فيرتديان الثياب ذاتها التي كانا سيلبسانها لو أوفدا الى إحدى الجزر في جنوب المحيط الهادىء التي تكسوها أشجار النخيل. ها هما يقفان متألقين بقبعتيهما المردودتين ومعطفيهما الطويلين وقفازاتهما البيضاء وأحذيتهما التي طالما وطأت خشب القاعات الفخمة في دور مايفير بلندن، وهي الآن غارقة في الثلج. انهما غريبان في أرض متوحشة.



الليدي جين فرنكلين.

بدت الجبال المنحوتة حولهما كستارة مسرح فخمة. وخلفهما رست سفينتاهما، والرجال على متنيهما يرتجفون بألبستهم النظامية المحوكة من الصوف والجوخ، لان البريطانيين لم يكونوا أدركوا بعد الحاجة الى ملابس خاصة في القطب.

سجَّل الفنان في هذا الرسم لحظة تاريخية: ١٠ أغسطس (آب) ١٩٨٨، أول حملة قطبية في القرن التاسع عشر تنظمها البحرية البريطانية. انها بداية جديدة لعملية بحث طويلة عن "الممر الشمالي – الغربي."

لقد تحولت تلك القناة المحيِّرة الممتدة من المحيط الاطلسي الى المحيط الهادىء على امتداد الساحل الشمالي لامريكا، هاجساً ومصدر احباط للمستكشفين البريطانيين منذ أيام الملكة اليزابيت الاولى. كان المغامر مارتن فروبيشر، الذي عاصر درايك وهوكنز، أول من سعى الى اكتشاف "الممر" في رحلات ثلاث بين ١٥٧٦ و١٥٧٨، وأعلن بعد ذلك "انه عمل لم ينته بعد، وقد يأتي بالشهرة والثروة على صاحب عقل فذ."

تابع ديفيس وهدسون وبيلو وبافن عملية البحث، تاركين أسماءهم على أراض موحشة وبحار متجمدة. وعندما رجع لوك فوكس في العام ١٦٣١ بعد استكشاف "قناة

(١) ألتيما ثول (Ultima Thule) هي اقصى المناطق الماهولة في شمال الارض.

فوكس" و"حوض فوكس" شمال "حوض هدسون،" أفاد باستحالة وجود طريق الى الشرق تحت الدائرة القطبية. وهكذا تلاشى كل أمل بممر تجاري عملي وتضاءل الاهتمام بالمشروع.



السر جون فرنكلين.

لماذا اذاً أرسلت البحرية البريطانية سفينتين محمَّلتين رجالا لاعادة البحث عن خط بحري صالح للملاحة؟ الواقع أن أوروبا كانت في ذلك الوقت تنعم بفترة سلام، وعندما طرحت فكرة اعادة البحث عن الممر في العام ١٨١٧ كان ٩٠ في المئة من ضباط البحرية البريطانية عاطلين عن العمل. فقد أقصي نابوليون الى المنفى، ولم تعد هناك حروب يخوضها الاسطول الملكي. وما الضرر إن لم تكن للممر فائدة تجارية عملية؟ المهم هو المغامرة ذاتها، فكل بريطاني مقتنع بأن القرن التاسع عشر هو "مُلك" بريطانيا، والممر هناك، ينتظر من يقهره مثلما قُهرت أعالي النيل ومجاهل الكونغو. وكم سيبدو مهيناً لبريطانيا أن يتمكن بحار من أمة أخرى – روسي مثلا أو أمريكي مبتدىء – من الوصول الى الممر اولا.

كان السر جون بارو، من ادارة البحرية، هو محرّك هذا المنحى الجديد في التفكير. كان ذا وجه عريض وشاربين كثَّين وحاجبين غليظين وطباع عنيدة. ومع أنه سافر في افريقيا والصين، فانه أُخذ بالمناطق القطبية منذ زار غرينلاند عندما كان حدثاً على متن سفينة لصيد الحيتان. لم يرَ بارو جليداً طافياً خلال رحلته تلك، لكنه وقع في هوى المنطقة القطبية الشمالية. كان اكتشاف الممر بالنسبة اليه نزهة، رحلة رومانسية الى المجهول.

خطط بارو حملتين للعام ١٨١٨: جون روس الى الغرب وديفيد بوكان الى القطب الشمالي. كان بارو مقتنعاً، مثل كثيرين غيره لم يملكوا دليلا حسّياً، بأن حزاماً من المياه الدافئة الخالية من الجليد يحيط بالقطب. فاذا استطاعت سفينة شق طريقها عبر كتل الجليد المعترضة فسوف تسهل عليها بقية الرحلة.

لم يكن ذلك سهلا كما اكتشف القبطان بوكان سريعاً. فقد حطمت عاصفة هوجاء سفينتيه، وكان محظوظاً اذ استطاع مع رجاله القفز من كتلة جليد طافية الى أخرى

وعادوا منهكين الى سبيتزبيرغن حيث تقرر الغاء محاولة الوصول الى القطب.

لم يميز الحملة سوى أن مساعد بوكان الملازم جون فرنكلين كان في أولى رحلاته الاربع الى العالم المتجمد. ففي السجل المتشابك للاستكشافات القطبية تحتل مآثرة فرنكلين البطولية مركز الصدارة. أما حمى الاستكشافات التي أطلقها بارو والبحرية الملكية في العام ١٨١٨ فلم تكن الا بمثابة ازاحة الستارة. فقد أبحرت سفن كثيرة وتحققت اكتشافات مثيرة وفُقد رجال كثيرون، لكن كل محاولات اكتشاف الممر أخفقت. أتخمت عقول الناس خلال عشر سنين بقصص الجليد القطبي، وكلّت البحرية أيضاً من محاولات استكشاف المنطقة القطبية، وبدا كأن "المغامرة الكبرى" التي باشرها بارو قاربت نهايتها.

لكن أحداً لم يحسب حساباً لروح المغامرة القادرة على استعادة حيويتها. مرّ عقدان، وفي العام ١٨٤٥ تفشّت "حمى" الممر الشمالي – الغربي ثانية في بريطانيا.

لم يكن بارو المتفائل متأكداً من أنه يعرف موقع الممر. كان في الثانية والثمانين ومستعداً للتقاعد، لكنه كان يتطلع الى رحلة ناجحة تتويجا لانجازاته.

اختير جون فرنكلين للمهمة، وكان في التاسعة والخمسين وقد قارب هو ايضاً نهاية حياته المهنية. كُلف قيادة سفينتين والتوجه الى منطقة كبيرة "فارغة" على الخريطة هي شكل رباعي تبلغ مساحته حوالى ١٨٢ ألف كيلومتر مربع. لم يكن أحد يعرف ماذا يضم هذا الشكل، فأطرافه فقط كانت استكشفت.

أبحر فرنكلين في مايو (أيار)، وآخر من شاهده بحارة سفينة لصيد الحيتان في حوض بافن في ٢٥ يونيو (حزيران) ١٨٤٥، وكانت سفينتاه مربوطتين الى قطعة جليد طافية. ولم يشاهد رجل أبيض فرنكلين أو أيا من رجاله المئة والثمانية والعشرين بعد ذلك أبداً.

لو عاد فرنكلين خائباً، كما فعل آخرون، لتوارى اسمه في طي النسيان. لكن اختفاءه الغامض رفعه من مجرد بطل صغير في تاريخ استكشاف المنطقة القطبية الى مرتبة جلال وسمو. وأصبح، من غير قصد، رمزاً للاستكشافات القطبية في القرن التاسع عشر.

انطلق اكثر من خمسين حملة للبحث عن المستكشف الكهل بين ١٨٤٨ و١٨٥٩. بُددت ثروات لا حصر لها، وتحطمت سفن كثيرة أو ضاعت أو أخليت، ومات رجال كثيرون بأحداث مؤسفة أو بداء الاسقربوط.[٢]

لم يكن الامر يحتاج الى سنين طويلة، فلو اتّبع بعض الحملات الاولى بحثا أكثر شمولا لعُرف مصير فرنكلين منذ ١٨٤٩. لكن لغز المنطقة القطبية كان سيبقى. وهكذا،

(٢) الاسقربوط او الحفَر داء من اعراضه تورم اللثة ونزفها.

عندما انتهى "البحث الكبير" أخيراً أزيح ستار الجهل الابيض ورُسمت خرائط لمعظم الارخبيل الهائل بجزره وقنواته، كما انفكّ طلسم الممر الشمالي – الغربي.
لقد حقق فرنكلين في مماته ما عجز عن تحقيقه في حياته.

الرجل الذي أكل حذاءه

في العام ١٨١٩، بعد عودة فرنكلين من محاولة فاشلة للوصول الى القطب الشمالي، اختير لقيادة حملة لاستكشاف سهول التندرة الامريكية شمال بحيرة سلايف الكبرى. لم يكن فرنكلين المرشح الامثل للمهمة، فهو خاض البحر منذ بلغ الثانية عشرة من عمره، وانضم الى البحرية في الرابعة عشرة، وشارك في ثلاث معارك رئيسية في "الحروب النابوليونية" وجرح في احداها. لكنه الآن في الثالثة والثلاثين، سمين وغير معتاد العمل الشاق ولا يمتلك أي خبرة في السفر براً.

استطاع مسح ٣٤٠ كيلومترا من ساحل أمريكا الشمالية شرق نهر كبرماين، وهو انجاز رائع في تلك الاحوال. أما في ما عدا ذلك فقد كانت الحملة كارثة، بل ربما كانت الرحلة البرية الاكثر مشقة في تاريخ المنطقة القطبية الشمالية.

بعد عودة فرنكلين الى بريطانيا صار يشار اليه على أنه "الرجل الذي أكل حذاءه،" وهذا تعبير قوطي ساخر لكنه يدل على النواحي المرعبة في حملة مزقها النزاع والجوع والقتل و... أكلة لحوم البشر. ووصل فرنكلين نفسه الى حافة الموت لو لم تنقذه عصبة من الهنود، لكن عشرة من رجاله لم يكونوا محظوظين مثله.

مع كل ذلك اكسبته انجازاته شهرة واسعة ورقي الى رتبة قائد موقع. لكن ذلك لم يكفِه. ولم تمضِ سنتان حتى عاد متحرقاً الى السفر، وبلغت منه الحماسة حداً ترك معه عروسه التي لم يمضِ على زواجه بها ٢٠ شهراً وهي مريضة بالسل وفي حال النزع الاخير. فماتت بعد ستة أيام من رحيله.

كانت أوامره هذه المرة تقضي بأن يسافر براً الى بحيرة سلايف الكبرى ومنها هبوطا في اتجاه مجرى نهر ماكينزي لاستكشاف الخط الساحلي غرباً وصولا الى ألاسكا الروسية. أما مرافقه جون ريتشاردسون فيذهب شرقاً. قطع الرجلان ما مجموعه ٦٤٠٠ كيلومتر، معظمها غير ممسوح، وتلك مأثرة أكسبتهما لقب "فارس."

اعتقد فرنكلين أن الاعمال الاستكشافية الرئيسية قد أنجزت ولم يبق الا ربط المناطق التي اكتشفها هو بتلك التي اكتشفها السر وليم ادوارد باري على بعد حوالى ٥٦٠ كيلومتراً شمالا، فيصبح "الممر" أمراً مفعولا.

لكن الامر لم يكن بتلك البساطة. ومرت أربع عشرة سنة قبل أن تقترب حملة أخرى من تحقيقه. في هذه الاثناء كانت حياة فرنكلين المهنية في انحدار.

تزوج المستكشف الارمل ثانية بعد عودته من حملة نهر ماكينزي. كانت عروسه جين غريفيث في السادسة والثلاثين، امرأة أنيقة جميلة حيية لكنها متقدة الذكاء. وان وصفاً لنشاطاتها الكثيرة يناقض نموذج المرأة الثرية في العصر الفيكتوري. فهي لم تعبأ بشغل الابرة (التطريز) ولم تتكلف الاستمتاع بالمناسبات الاجتماعية. لكنها كانت مفعمة بالحيوية لا تهدأ، ورافقت والدها في كثير من الاسفار قبل زواجها. آمنت بالتطوير الذاتي، وفي التاسعة عشرة من عمرها أرست خطة لتنظيم وقتها واغناء عقلها مخصصة كل دقيقة لنوع من الدراسة.

كتبت مرة: "انني أحيا كثيراً من خلال آخرين." وهي بالتأكيد عاشت من خلال زوجها، تدفعه وتحضه عند الضرورة.

بعد عامين من الاسترخاء والتبطّل كُلف السر جون قيادة فرقاطة تحمل ٢٦ مدفعاً في البحر الابيض المتوسط. وعندما عاد الى بريطانيا في العام ١٨٣٣ كانت الليدي فرنكلين في الاسكندرية تستعد لرحلة الى أعالي النيل، فأعلمها أنه ينوي للانضمام اليها لاحقاً في نابلس، لكنها رفضت ذلك رفضاً قاطعاً، لانها اعتقدت أنه ببقائه قريباً من الاميرالية يمكن أن يحصل على تكليف بمهمة جديدة.

أرسلت اليه تقول ان إمرة باخرة أو مركز ما لا تقارن بحملة استكشاف، وفضلى المهمات حملة قطبية جديدة، "فالشخصية والمركز اللذان تتمتع بهما في المجتمع، والاهتمام – واسمح لي أن أقول الشهرة – المرتبطان باسمك، تعود كلها الى حملات الاستكشاف. ولم تكن لتحصل عليها من خلال النشاطات العادية لمهنتك." وأضافت: "يبدو أن للمناخ الجليدي تأثيراً مدهشاً يشدّ أعصابك ويقوّيك."

بدلا من ذلك، عرض على السر جون مركز حاكم أنتيغوا في الكاريبي. كان العرض مشيناً في نظر الليدي فرنكلين التي اعتبرته انحداراً مهيناً لبطل الحملات القطبية. وعندما سنحت للزوجين فرصة أفضل هي حاكمية فان ديمانز لاند (تاسمانيا) قبلاها لكنهما سرعان ما ندما على ذلك. والمشكلة كانت الليدي فرنكلين التي رفضت ممارسة الدور التقليدي لزوجة حاكم اقتصرت واجباتها على ارتداء الثياب الانيقة والزيارات واستقبال الضيوف والاهتمام براحتهم.

لم تكن جين فرنكلين تعنى بالاحاديث العادية بل فضلت مناقشة أمور تتعلق بالفلسفة والفنون والعلوم. ووصف أحد الضيوف غرفتها في القصر الحكومي بأنها "تشبه متحفاً أكثر من مخدع سيدة،" لانها غصّت بالطيور المحنطة والاسلحة التي استخدمها سكان البلاد الاصليون والعينات الجيولوجية والاحافير.

شكلت الليدي فرنكلين لجنة للنظر في الظروف التي تعيشها النساء المحكومات بجرائم، لكن "الحاكمة" التي اختيرت لادارة اللجنة استقالت بعدما زعمت احدى

الصحف أن هذه الوظيفة غير ملائمة لسيدات غير متزوجات. وعندما أبدت الليدي فرنكلين اهتماما بالسكان الاصليين تعرضت للانتقاد. وحاولت انشاء كلية، لكنها منيت بالخيبة والاحباط اذ اكتشفت أن وزير المستعمرات ومسؤولين آخرين في بريطانيا يعارضون بشدة أي مشروع لا يفيدون منه. وقال عنها الوزير في أحد مجالسه الخاصة: "لم أرَ في حياتي امرأة أكثر ازعاجا وحشرية."

اشتد النزاع بين الليدي والمسؤولين المعارضين مما هدد مركز زوجها الدمث المحبوب لاسلوبه البسيط العطوف. لم يكن فرنكلين ليؤذي ذبابة، وكان يقول وهو يكش ذبابة عن يده: "في العالم متسع لكلينا." لكن موقفا كهذا لم يكن نداً للاحابيل والمناورات التي يزخر بها نظام استعماري محكم الحبكة، فاستدعي فرنكلين في العام ١٨٤٤ الى بريطانيا مهاناً وعلى شفا الانهيار، اذ وصلت مكانته الى الحضيض، فلم يعد جائزاً أن يستريح حتى يستعيد ما اعتبره شرفه الضائع عبر مأثرة استكشافية جليلة.

مريع ومقزِّز!

تطابقت آمال فرنكلين وعودة الاهتمام بالممر. في ديسمبر (كانون الاول) ١٨٤٤ كان جون بارو وضع خطة تفصيلية لحملة جديدة، وفي فبراير (شباط) أُمهل فرنكلين ثلاثة أشهر للاستعداد.

وحده جون روس بدا قلقاً من امكان الفشل، فسأل فرنكلين: "هل تطوع أحد للحاق بك؟"

"كلا،" رد فرنكلين.

"اذاً، سوف أتطوع أنا للبحث عنك إن لم نسمع منك خبراً بحلول فبراير (شباط) ١٨٤٧. لكنني أتوسل اليك أن تترك رسالة في معلَم بارز حيث تمضي الشتاء تشير فيها الى الطريق التي ستتبعها اذا قررت المضي قدماً."

تلك نصيحة حكيمة. ولكن من يستمع الى روس الذي فقد ثقة الناس؟

كان جون روس في العام ١٨١٨ عبر "حوض بافن" ودخل "مضيق لانكستر" وهو "لسان" طويل ثبت لاحقاً أنه المدخل الى الممر الشمالي الغربي. لكن روسّ رأى، أو ظن أنه رأى بعدما قطع ٥٠ كيلومتراً داخل الخليج، سلسلة جبال تسد كل منفذ الى الغرب، فأطلق عليها اسم "جبال كروكر" وقَفل دونما سبب مبحراً الى الوطن.

بعد عام واحد قاد وليم باري حملة أخرى الى مضيق لانكستر وأبحر عبره أبعد مما وصلت أي سفينة شراعية، وبذلك حطم أسطورة جبال كروكر وجعل من روس مضحكة، ولم يتعافَ هذا قط من موجة السخرية والانتقاد التي نتجت.

أمضى روس خلال احدى الحملات أربعة شتاءات متعاقبة محتجزاً في الجليد، ثم أعاد رجاله الى الوطن سليمين من داء الاسقربوط الذي فتك بمستكشفين آخرين. لم تكن هذه مصادفة، فقد تعلم روس من مراقبة الاسكيمو أن "استخدام الزيوت واللحوم المدهنة هو سر البقاء في هذه المناطق المتجمدة، والسكان المحليون لا يستطيعون الحياة من دون هذه الاغذية، وهم يمرضون ويموتون ان اتبعوا نظاماً غذائياً أفقر."

اختزن فرنكلين ٢٩٠٠ كتاب في سفنه، من بينها تقرير روس واستنتاجاته الذكية. ولكن حتى في العام ١٨٤٥ كانت سطوة باري أقوى، وهو تمسك بالاعتقاد الساذج أن تفشي الاسقربوط يمكن وقفه بواسطة التسلية التي ترفع المعنويات وبكثير من التمارين. والحقيقة أن هذه تعجّل تفشي الداء.

معروف في الطب الحديث أن الاسقربوط يتأتى عن نقص في الفيتامين "ج" (C) الذي لا يمكن خزنه في الجسم البشري، واذا لم يتناول المرء مضادات للحَفَر فان الجسم ينحسر محتواه من الفيتامين "ج" وتظهر أعراض الداء خلال مدة تراوح بين ثمانية أسابيع وثلاثة عشر أسبوعاً، وينتج منها ضعف عام واسوداد في اللثة وتخلخل أسنان وبشرة اسفنجية غائرة بفعل النزف الداخلي. وينتهي الامر الى الوفاة.

لم يكن مستكشفو القرن التاسع عشر سمعوا شيئاً عن الفيتامينات، لكنهم مع ذلك أدركوا أن داء الاسقربوط مرتبط بالنظام الغذائي. كان فرنكلين يعتزم الاكتفاء بمخزونه من المؤن وابعاد الداء عنه وعن بحارته بتناول أونصة (٢٩ مليليتراً) من عصير الليمون يومياً، كما جرت العادة في البحرية البريطانية. لكن الفيتامين "ج" شديد التقلّب ويخسر فاعليته بسرعة أن لم يُخزن بطريقة صحيحة. أما الوجبات الغذائية فاعتمدت على اللحم المملّح الذي لا يجدي مضاداً للحفر وإن يكن الغذاء الذي اعتمدته البحرية البريطانية.

في المقابل، يمتاز دهن الفقمة بغناه بالفيتامين "ج"، لكن معظم البريطانيين لم يطيقوا أكله. ووجد باري غذاء الاسكيمو "مريعاً ومقززاً" ورائحة دهن الفقمة الذي يتناوله المحليون نيئاً "هي بالنسبة الينا لا تطاق." كان رجاله يعافون رؤية الاهالي يأكلون الدهن كي لا يصابوا بالغثيان، وصار الاسكيمو يلهون بملاحقتهم وهم يحملون قطعاً من هذا الدهن.

كان الاسكيمو بالنسبة الى البريطانيين كالاطفال: متوحشين، أميين، عاجزين عن الافادة من طرق حياة الرجل الابيض. لكن هذا الشعور الابدي بالتفوق لم يكن له ما يبرره، ففي المنطقة القطبية كان المستكشفون البيض هم الاطفال. وليس السبب الغذاء واللباس فقط، فمزالج الاسكيمو خفيفة ومرنة بينما مزالج البحرية البريطانية ثقيلة وبطيئة يجرها الرجال لا الكلاب. لم يتعلم رجل من البحرية تقنية الجر بواسطة

الكلاب أو فن بناء أكواخ ثلجية. فالرجل القوي، الذي يمشي حاملا عدته عبر الاراضي القطبية المترامية الاطراف ويتحمل مشاقً لا تصدق والابتسامة تعلو ثغره، يمثّل معاني النبل لدى البريطانيين لانه، كفرسان الايام الغابرة، يواجه مخاطر المجهول سعياً الى النصر والمجد. بعد خمسين سنة من حملة الاستكشاف الاولى كان البحارة البريطانيون لا يزالون يجرون أثقالا مُقعِدة ويحملون، الى معداتهم، خياماً مشبعة بالماء أو متجمدة.

لماذا هذا العمى في البصيرة؟ يعود بعض السبب الى النهج المحافظ في البحرية البريطانية، وبعضه الى الشعور بالاستعلاء لدى الطبقة البريطانية العليا التي اعتبرت نفسها متفوقة على معظم الشعوب الاخرى، أمريكيين أم أفارقة أم اسكيمو. لكن جزءاً آخر من السبب هو، بالتأكيد، خشية البريطانيين من العودة الى البداءة. فكيف يسير بريطاني أصيل مرتديا فراء الفقمة أو يأكل دهنا نيئاً أو يعيش في كوخ بني من ثلج؟ لا، الانتصار الحقيقي هو في قهر الصعاب من دون أي تنازل لاعتماد وسائل السكان المحليين.

وهكذا أبحر فرنكلين في سفينتيه "اريبوس" و"تيرور" الصغيرتين المزهوتين بألوانهما السوداء والصفراء وكل واحدة محملة جبالا من المواد الغذائية والوقود والتجهيزات التي اقتضاها السفر في القرن التاسع عشر، من آنية خزفية أنيقة وكؤوس كريستال وفضيات ثقيلة من إلطراز الفيكتوري وبزات رسمية ذات أزرار نحاسية ورصاص لتبطين المراكب وخشب سنديان ثقيل لصنع المزالج. وقد عثر على معظم هذه التجهيزات لاحقاً، قطعا وبقايا من الحضارة الاوروبية فقدت بريقها وتآكلت على السواحل الباردة لجزيرة قطبية لم تُرسم على خريطة.

بداية البحث

لم ينسَ جون روس وعده. وبدأ القلق على سلامة حملة فرنكلين يساوره منذ بداية العام ١٨٤٧. ففي يناير (كانون الثاني) ومن ثم في فبراير (شباط) ومارس (آذار) عمد الى لفت الاميرالية وكل من أصغى اليه الى أن فصل الشتاء التالي هو الثالث يمر على فرنكلين في المنطقة القطبية، وأن مؤونته توشك أن تنفد، وأنه هو نفسه، جون روس، على استعداد لقيادة فرقة انقاذ ذلك الصيف.

لكن الاميرالية اختارت أن تأخذ بنصيحة ما أصبح يدعى "المجلس القطبي" الذي ضم رجالا أمثال باري وجون بارو الابن (ابن بارو) وجايمس كلارك روس (ابن شقيق جون). وقد خذل هذا المجلس جون روس. وكان جايمس روس على خلاف دائم مع عمه، وهو قال لباري: "ليس هناك سبب للخشية على سلامة الحملة أو نجاحها."

كانت جين فرنكلين في هذه الاثناء أمضت صيف ١٨٤٦ في دوامة من الاسفار امتدت من جزر الهند الغربية الى الولايات المتحدة، قامت خلالها، كالعادة، بتسلق الجبال وزيارة مصانع ومدارس ومستشفيات. وعادت في خريف ذلك العام الى بريطانيا مستاءة وقلقة لغياب الاخبار من مضيق بيرينغ حيث افترض الجميع أن زوجها سيبعث برسائل الى الوطن. بدأت تعدّ نفسها للاسوأ، وكتبت الى صديقها جايمس كلارك روس تقول ان من الافضل، ربما، أن تبقى "جاهلة سعيدة" غافلة عن أي كارثة محتملة، وانها رفضت الاستماع الى عمه لان "خطط السر جون روس منافية للعقل" كما قيل لها.

لكن السر جون استمر في الحاحه، وواجه رئيس "الجمعية الملكية" مرتين، فأخبره هذا بجفاء: "انك تريد أن تذهب وتتجمد مثل فرنكلين، فنضطرّ الى ارسال حملة لانقاذك."

اغتاظ روس من هذا الرد القاسي، لكن الجمعية الملكية تلقت الرد ذاته عندما طلبت مشورة المجلس القطبي.

في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٤٧، مع اقتراب الشتاء الثالث، عقد اجتماع في منزل الليدي فرنكلين من دون معرفة جون روس. وزيادة في اغاظته، اختارت الليدي فرنكلين ابن شقيقه لقيادة أي حملة قد توافق عليها الاميرالية، وكان واضحاً أن الاميرالية ستوافق اذا تولى جايمس كلارك قيادة الحملة.

بدأ "البحث الكبير" في مطلع ١٨٤٨ بانطلاقة طموحة من ثلاث شُعب شملت أربع سفن وفريقاً برياً لاستكشاف متاهة الجزر والقنوات الشمالية من الشرق والغرب والجنوب. فيدخل جايمس روس الارخبيل بسفينتين من الشرق عبر مضيق لانكستر ثم يستدير جنوباً، فيما تبحر سفينتان أخريان حول "كيب هورن" وتتوجهان شمالا لتجولا في المنطقة القطبية الغربية. أما الحملة البرية بقيادة السر جون ريتشاردسون، مساعد فرنكلين في احدى حملاته، فسوف تتبع نهر ماكينزي الى الساحل القطبي لتفتيش المنطقة الشرقية. وأمل الجميع أن يتضح مصير حملة فرنكلين قبل نهاية السنة.

لم ينقص ريتشاردسون متطوعون متحمسون، لكنه رفضهم جميعاً مفضلاً جون راي الذي رُقّي الى وظيفة كبير تجار شركة "هدسون باي." وهذا الرجل دخيل على ذوي المعاطف الزرقاء الموشاة بالذهب من مستكشفي المنطقة القطبية، وقد بقي كذلك على رغم انجازاته الكثيرة اذ لم يلتزم النهج الذي اختطه باري وروس وفرنكلين. كان يرتدي ثياباً من جلود الغزلان ويتقن بناء أكواخ ثلجية ويقود فرقاً من الكلاب تجر مزالج. لم يكن قناصاً ماهراً بالبندقية فحسب، بل ثقف نفسه في عادات الحيوانات فبات خبيراً. وخلافاً لفرنكلين وريتشاردسون اللذين خططا لصيد قليل، كان راي يصر على اطعام

مرافقيه لحماً طازجاً يصطاده بنفسه. ولم يسبق أن عانت أي جماعة بقيادة راي داء الاسقربوط.

أبحر راي وريتشاردسون الى أمريكا الشمالية في أواخر مارس (آذار) ١٨٤٨. لم تمشط الحملة أراضي جديدة ولم تجد أثراً لفرنكلين، وكانت، بحسب تقرير أرسله راي الى جورج سمبسون حاكم شركة "هدسون باي"، "عالية الكلفة شديدة الازعاج وغير مرضية على الاطلاق." ولم يكن سمبسون نفسه واهماً. كان مقتنعاً بأن أحداً لن يسمع عن فرنكلين وجماعته ثانية.

لم تؤد الحملتان الاخريان الى نتائج أفضل. قامت مجموعة من الفرقة الغربية برحلة غير عادية لمسافة ١١٠٠ كيلومتر في قوارب صغيرة بمحاذاة ساحل ألاسكا الشمالي الى أعالي نهر ماكينزي، لكنها لم تجد شيئاً. اما الفرقة الثالثة بقيادة جايمس روس فاصطدمت بحاجز جليدي لا يُخرق. فبعد عبور مضيق لانكستر علقت السفن في الجليد نحواً من سنة في الطرف الشمالي الشرقي لجزيرة سومرست. من هذه النقطة انطلق روس ليستكشف ببطء خط الساحل الشرقي لمضيق بيل، مستخدماً الرجال لجر المزالج بحمولتها الثقيلة من الخيام والمواد الغذائية. قطعت المجموعة مسافة ٨٠٠ كيلومتر في ٣٩ يوماً، لكن الثمن كان قاسياً على الرجال. انهار أربعة من الجوع والتعرض لعوامل الطبيعة والانهاك وحُمل آخر الى السفينة. حتى روس نفسه اضطر الى ملازمة الفراش، ولدى عودته الى بريطانيا كانت صحته ساءت ولم تعد الى سابق عهدها أبداً.

لو استخدمت الفرقة كلاباً ومزالج خفيفة لأمكن أن تنجح في مهمتها، فقد وصل روس الى نقطة تبعد ٢٩٠ كيلومتراً عن السفينتين المفقودتين، لكنه لم يستطع أن يصدق أن فرنكلين ربما ذهب جنوباً عبر مضيق بيل، لان كل ما تمكن من رؤيته عبر مسافة ٨٠ كيلومتراً كان صفحة متماسكة من الجليد. الغريب أنه لم يدرك أن قناة ما قد تتجمد في سنة وتنفتح في سنة تالية.

الحقيقة أن "اريبوس" و"تيرور" سفينتي فرنكلين مخرتا هذا المعبر المائي قبل ثلاث سنوات بموجب الخطة المرسومة القاضية بالربط النهائي بين المناطق التي استكشفها فرنكلين في الجنوب وتلك التي استكشفها باري في الشمال.

لكن تعليمات فرنكلين تضمنت، لسوء الحظ، فكرة اضافية: اذا لم يستطع فرنكلين العبور جنوباً، فعليه أن يسلك طريقاً بديلة الى الشمال عبر "قناة ولينغتون" غير المستكشفة التي افترض البعض (ولاسيما بارو) أنها تقود الى "البحر القطبي المفتوح."

بات روس مقتنعاً بأن فرنكلين، وقد واجه الحاجز الجليدي، عمل بموجب الخطة

البديلة. وأدى هذا الاقتناع لدى المستكشف القطبي المتمرس الى ارباك الاميرالية وتغيير وجهة البحث وساهمت في اطالته عقداً آخر.

"قبور! قبور! "

كان روس وعد الليدي فرنكلين بأن يعود في أكتوبر (تشرين الاول) ١٨٤٨ برفقة زوجها وسفينته. لكن أكتوبر أتى وراح من دون أخبار. فدهمها نوفمبر (تشرين الثاني) وهي، بحسب ما كتبت ابنة شقيقتها، "منهارة الصحة وفي حالة كآبة عميقة." وتنامى شعور بالحسميَّة بلغ ذروته بوفاة السر جون بارو تلك السنة. وانتهى عهد من الاستكشافات القطبية.

رفعت الصلوات في يناير (كانون الثاني) ١٨٤٩ من أجل سلامة البعثة، وشارك فيها خمسون ألفا من الاصدقاء والاقارب ودعاة الخير في ٦٠ منطقة. وشنَّت الليدي جين حملة رسائل، فكتبت الى الرئيس الامريكي الجديد زخاري تايلور والى قيصر روسيا. واستقبلت سيلا لا ينقطع من الزوّار أي الذين حملوا أي اقتراح يتعلق بعملية البحث، حتى انها استشارت عرافة.

سافرت مع ابنة شقيقتها في صيف ذلك العام الى جزر شتلاند وأوركني في شمال اسكوتلندا لمقابلة صيادي الحيتان الذين ربما صادفوا الرجال المفقودين. وفي أغسطس (آب) ارتفعت معنوياتها عندما عرض القيصر، وقد هزّه التماسها، أن يرسل بعثة الى ساحل سيبيريا. وحلَّقت آمالها في سبتمبر (أيلول) عندما انتُشلت قنينة من البحر ألقاها أحد مساعدي فرنكلين، ولكن تبين أنها تحمل أخباراً قديمة من العام ١٨٤٥ حين كانت السفينتان في بداية رحلتهما.

عاد ريتشاردسون وروس في نوفمبر (تشرين الثاني) يفصل بينهما أسبوع واحد، فسرت موجة من الحماسة الجنونية في أنحاء بريطانيا. أين هو فرنكلين؟ كيف تختفي سفينتان و١٢٩ رجلا؟ لماذا لم يتمكن أحد من العثور عليهم؟

استجابة لهذا الضغط الشعبي، أعادت الاميرالية تجهيز سفينتي روس لحملة هي الاولى من ست حملات انطلقت خلال العام ١٨٥٠. وتوجهت اثنتان من سفن الاسطول ثانية الى مضيق بيرينغ، وست أخرى لتفتيش المنطقة القطبية الشرقية.

وتوجهت سفينتان صغيرتان بامرة جون روس العجوز الى مضيق لانكستر. وكان في الثانية والسبعين، ولم يتمكن بعد من تغيير موقف "المجلس القطبي"، وقد اشتريت السفينتان بتمويل من شركة "هدسون باي" ومن تبرعات فردية. وهكذا برّ أكبر قادة الاسطول سناً بوعد قطعه لصديقه في العام ١٨٤٥.

في هذه الاثناء كانت عشر سفن بريطانية تتجه نحو المنطقة القطبية. وفي وقت

متزامن غادرت سفينتان أمريكيتان مرفأ نيويورك ليصبح عدد السفن المشاركة في هذه الحملة اثنتي عشرة. كانت الاضافة الاخيرة نتيجة جهود الليدي فرنكلين التي دأبت منذ مدة على مراسلة هنري غرينيل، وهو محسن من نيويورك وتاجر بحري بلغ تأثره برسائلها حداً جعله يتحمل النفقات.

لم يفارق القلق الليدي فرنكلين على رغم هذا المشروع الطموح، فهي لم تعد مبتدئة في ما يخص المنطقة القطبية. كانت الحملة تنطلق اثر الحملة، لكنها كلها تركزت على المنطقة الشمالية القصوى. فالسر فرنكلين اشتُهر باتباع الاوامر حرفياً، ولم يكن ليحاول سلوك طريق بديلة ما لم يسدّ الجليد الطريق الى الجنوب. وكانت الليدي فرنكلين واحدة من القلة التي آمنت بأنه وجد طريقة لالتزام أوامره الاساسية.

أدركت الليدي فرنكلين أن عليها أن تحل المشكلة بنفسها.

في ٥ يونيو (حزيران) كانت بعثتها الخاصة المتواضعة على أهبة للانطلاق على متن "برنس ألبرت" وهي سفينة ارشاد قديمة أعارها اياها أحد أصدقائها وجُهزت بتمويل من أصدقاء آخرين ومن ثروة الليدي فرنكلين نفسها. كانت البعثة بقيادة الملازم تشارلز فورسايث وهو رجل لا خبرة له في المناطق القطبية كانت الليدي التقته في فان ديمانز لاند. أما الضابط المدني فكان و. باركر سنو الذي تطوع للمهمة بعد حلم رأى خلاله فرنكلين في مكان ما من منطقة "القطب المغناطيسي الشمالي." كان سنو، كصاحب أحلام، أقرب الى استيعاب المغامرة من رجال البحرية المتمرسين، لكن حلمه لم يكن كافياً للتوصية به الى الاميرالية كمستكشف متزن عاقل.

أبحر فورسايث مسافة قصيرة جنوباً في خليج "برنس ريجنت"، وهناك، في مواجهة ما اعتبره حاجزاً جليدياً لا يمكن اختراقه، استدار وتبع سفينة أمريكية في مياه مضيق بارو الغاصّ بالجليد، ثم اتجه غربا الى لسان من الصخر الكلسي داخل في البحر يدعى "رأس رايلي" حيث عثر الباحثون عن فرنكلين، للمرة الاولى، على سلسلة من الدلائل المثيرة الى البعثة المفقودة.

وجدوا كوما دائرية من الكلس تشير، ربما، الى مواقع خيام، كما وجدوا موقداً بدائيا وأسسا لحظيرة مثلثة الشكل وعظام طيور وغطاء صدئا لعلبة طعام ونتفا من شراع وبقايا ما بدا قاربا. لم يصل رجل أبيض الى هذه النقطة منذ وطئها باري في العام ١٨٢٠، لكن باري لم يخيم في هذه البقعة. كانت كل الدلائل تشير الى البعثة الضائعة.

وأفادت رسالة من سفن الاسطول البريطاني أن آثارا أخرى وجدت على بعد ١٦ كيلومترا على جزيرة بيتشي، وهي في الواقع تشبه جزيرة في أعلى قناة ولينغتون.

عاد فورسايث الى بريطانيا. لكن الامريكيين مضوا قدما، ولم يكونوا الوحيدين. ففي

٢٧ أغسطس (آب) تجمعت قرب بيتشي ست سفن بامرة ثلاثة قادة أحبط القطب خططهم.

اجتمع القادة على ساحل الجزيرة للتشاور، وفجأة اندفع بحار بريطاني عبر الجليد وهو يصرخ: "قبور! قبور!" فتدافع الجميع فوق طبقة الطين والجليد الى قمة برزخ ضيق، وهناك وقعت أنظارهم على مشهد كئيب.

ثلاث كوم تحمل كل منها لوحة خشبية متأكلة تدل على المثوى الاخير لثلاثة من رجال فرنكلين. كانت البقعة مغطاة بقطع من الحبال والاشرعة والقماش المشمع والبراميل الخشبية والملابس والأغطية وقصاصات الورق، وثمة تلة من نحو ٦٠٠ علبة لحم فارغة. كما كان هناك قفّاز ضابط نُشر ليجف ولم يستعده أحد.

لكن هذه الاكتشافات ساهمت في تعميق الغموض. لقد ترك فرنكلين معلماً بارزاً، لكنه لم يحوِ رسالة عن حال البعثة أو وجهة السير التي اتبعتها. وتشبه جزيرة بيتشي صخرة جبل طارق بانحناءاتها، وتقع على مفترق الطرق الى المنطقة القطبية. قد يكون فرنكلين وصحبه اتبعوا أيما اتجاه. ان اغفال ترك رسالة هو أمر غير قابل للتفسير.

ثنائي متنافر

من أصل السفن التسع التي غادرت بريطانيا في العام ١٨٥٠ لاقتحام المنطقة القطبية من جهة الشرق، عادت واحدة فقط ذلك العام، أما الثماني الاخريات فبقيت خلال ليل القطب الطويل الحالك محتجزة في جليد مضيق بارو وقناة ولينغتون، تعد لسلسلة من الرحلات الطموحة. فمن هذه النقطة المركزية انطلق عشرات الرجال في ربيع ١٨٥١، يجرون المزالج الثقيلة ويدبون وينزلقون على الجليد على امتداد سواحل الجزر القطبية التي نادراً ما لحظتها خرائط. لم يشهد القطب حركة نشطة كهذه من قبل. أخيراً استسلم هذا العالم الصامت الغامض للفتح.

تقدر المسافة الاجمالية التي قطعها الرجال على الاقدام بحوالى ١١٥٠٠ كيلومتر، ألفان منها عبر "أراض" جديدة. لكنها كلها تقع شمال مضيق بارو، أما المنطقة الهائلة الرباعية الشكل الى الجنوب فبقيت بمعظمها غير مستكشفة.

حافظت الليدي فرنكلين على ايمانها بأن زوجها موجود في تلك المنطقة. وأغضبها فورسايث بمحاولته الفاترة لاستكشافها. لكنها لم تستطع شيئاً ازاء ذلك، وعليها أن تسحب مجدداً من أموالها الخاصة لايفاد "برنس ألبرت" ثانية بقيادة جديدة.

شكّل الرجلان اللذان اختارتهما ثنائياً متنافراً. كان القائد الجديد وليم كينيدي تاجر فراء كنديا صلب العود ابن امرأة من قبيلة كري الهندية ورجل من خليج هدسون. وهو قطع غابات أمريكا الشمالية ومراعيها وجبالها طولا وعرضاً، لكنه لم يتسلم قيادة سفينة

في حياته. أما مساعده جوزف رينيه بيلو فضابط صف في اجازة من البحرية الفرنسية لا يعرف شيئاً عن المنطقة القطبية سوى ما قرأه في الكتب.

كان الاثنان نموذجاً للتناقضات. فالاسفار الشاقة بالقوارب ومزالج الكلاب صقلت كينيدي، وكان وجهه المسطح بعظامه البارزة يشير الى اختلاط دمه، وبدا بملامحه القاسية ولحيته الكبيرة الكثة أكبر من الاعوام السبعة والثلاثين التي كانت سنه الحقيقية. أما بيلو النحيف الذي لم يكد يبلغ الخامسة والعشرين فكان شاباً مستدير الوجه مرحاً قليل البوح بأفكاره.

رأت الاميرالية في المشروع ضرباً من الجنون. فكيف يعمل ضابط من بحرية أجنبية بامرة رجل "خليط" غير مؤهل من مجاهل أمريكا؟ لا يمكن أن ينسجما. سوف يتمرد البحارة عليهما!

لكن الرجلين انسجما على نحو رائع، ربما لانهما ارتبطا بما اعتبراه قضية، حتى انهما تطوعا للعمل من دون مقابل.

أعجبت الليدي فرنكلين ببساطة كينيدي وصدقه وطبعه المرح. وكان ترك عمله في شركة "هدسون باي" بعد خدمة ١٣ سنة لانه، هو الذي يعتبر المسكر حراماً، لم يرض ببيع شركته مشروبات الى قبيلة والدته.

أما بيلو فرأت فيه جين فرنكلين الولد الذي لم تُرزقه أبداً، وهو متحدر من أسرة عاملة فقيرة، وأحد سبعة أبناء، لكن ذكاءه حمل أهل بلدته على الاهتمام بنفقات دراسته. ولم ينس تضحيات والديه من أجله، وكان، كتلميذ ضابط بحري، يرسل اليهما قسماً من راتبه المتواضع ويملأ يومياته بعبارات تنم عن امتنانه. كان شجاعاً متهوراً، أنقذ زميلاً من الغرق معرضاً حياته للخطر، وجرح جرحاً بالغاً في مناوشة في مدغشقر وصفه بأنه "مجرد خدش"، ونال لقب "فارس في جوقة الشرف" ولمّا يبلغ العشرين من عمره.

أحرزت البعثة بعض النجاح مع أنها لم تجد فرنكلين. انطلقت في يونيو (حزيران) ١٨٥١، وفي يوليو (تموز) وصلت الى مدخل خليج "برنس ريجنت" الذي يتجه جنوباً. استكشف كينيدي ميناء "بورت ليوبولد" الغاصّ بالجليد في قارب صغير مع أربعة من رجاله، لكن الجليد سد طريق العودة وحمل "برنس ألبرت" حوالى ٨٠ كيلومتراً في الخليج.

أصيب بيلو بالذهول وكتب في يومياته: "ليكن الله في عوننا. انني لا أفكر في النجاح الآن، وكل صلواتي هي لسلامة رفقائي. يا أهلي الاعزاء! يا أصدقائي الاعزاء! فلتكن ذكراكم سنداً لي."

قام بيلو بثلاث محاولات جريئة على الاقدام لانقاذ كينيدي، فأُكره مرتين على العودة

الى السفينة، وفي الثالثة اندفع الى بورت ليوبولد والتقت المجموعة كاملة على متن "برنس ألبرت" في ٢٥ اكتوبر (تشرين الاول).

خطط الرجلان لرحلة برية مطلع السنة التالية تستخدم خلالها مزالج تجرها الكلاب وتُحفر أكواخ ثلجية. كان موقف بيلو من الاسكيمو يختلف عن الموقف الرسمي، ولا شك في أن كينيدي صاحب الدم الخليط وابن هنود الكري، كان له تأثير في هذا الشأن. كان تاجر الفراء هذا يحب أن يروي قصة زعيم قبيلة الكري الذي رفض زواج ابنته بضابط في خليج هدسون وقال للخاطب المخيِّب: "ابنتي زوجة لك؟ انك لا تعرف حتى كيف تصطاد!"

رهان خطر

بدأت رحلة المزالج في ٢٥ فبراير (شباط)، وكانت واحدة من أطول الرحلات في تاريخ المنطقة القطبية: دورة غطت ألفي كيلومتر في ٩٥ يوماً، لكنها لم تجد أثراً لفرنكلين.

استمرت الرحلة ثلاثة أشهر وتوقفت فجأة عندما بدأ داء الاسقربوط يضرب أفراد المجموعة. وهي حققت نتيجة ايجابية واحدة، اذ شاهدت المجموعة ممراً مائيا ضيقا يتجه غرباً من خليج "برنس ريجنت" عبر بوثيا. وتكوّن لدى كينيدي اقتناع بأن الممر ليس خليجاً وانما مضيق يقسم بوثيا شطرين ويفصلها عن جزيرة سومرست في الشمال. وكان على حق. هكذا أصبحت البعثة أول مجموعة من الرجال البيض تقف في النقطة القصوى في شمال القارة الامريكية، كما اكتشفت طريقاً أخرى الى "الممر الشمالي الغربي" مع أنها لا تصلح للملاحة. كانت الليدي فرنكلين حضّت بيلو على تسمية المعالم الجديدة، لكنه كان يؤمن أن هذا الشرف من حق البريطانيين. هنا أصر كينيدي على أن يطلق اسم بيلو على المضيق الجديد، ولا يزال اسمه كذلك.

عاد بيلو الى فرنسا متشوقا للعودة الى القطب. وتطوع بعد سنتين على السفينة البخارية "فينيكس" التي تحمل الرسائل والطرود الى القوات البريطانية في قناة ولينغتون. وبينما هو يحمل الرسائل الى سفينة القيادة عبر الجليد شمال جزيرة بيتشي، انفتح تحت قدميه شق باتساع ثلاثة أمتار فاختفى في لحظات.

دب اليأس في نفس جين فرنكلين بحلول خريف ١٨٥١، فقد بُذلت كل الجهود الممكنة للاتصال بالبعثة المفقودة: كتب البحارة رسائل عملاقة على صفحات الجُرُف الصخرية. واستخدمت فخاخ لالتقاط ثعالب أُطلقت في ما بعد وحول رقابها أطواق تحمل رسائل، أملا أن يصطادها رجال فرنكلين. وأطلقت بالونات تحمل معلومات عن

مواقع سفن الانقاذ. وأومضت أضواء زرقاء وأطلقت مدافع وفُجِّرت أسهم نارية في سماء الليل القطبي. لكن المنطقة القطبية لم تحر جواباً.

ومع أن البحرية البريطانية تلكأت في اعداد حملة تفتيش جديدة، فان نقطة ضوء واحدة بقيت تشع: كان الرأي العام لا يزال الى جانب جين فرنكلين، فهي أصبحت بطلة عالمية.

رضخت الاميرالية للضغوط في ربيع ١٨٥٢ وعرضت ارسال خمس سفن بقيادة السر ادوارد بلتشر مع أوامر بالبحث عن المستكشف المفقود في منطقة شمال جزيرة بيتشي.

في هذه الاثناء سُمعت صرخة أخرى من القلب. فمن أصل ١١ سفينة بريطانية كانت توجهت الى المنطقة القطبية في العام ١٨٥٠، أبحرت اثنتان الى مضيق بيرينغ، وهما "انتربرايز" بامرة القبطان ريتشارد كولنسون و"انفستيغايتور" التي حملت مساعده الملازم روبرت ماكلور. لكن السفينتين افترقتا، وشوهد ماكلور للمرة الاخيرة في أغسطس (آب) ١٨٥٠ على مقربة من ساحل الاسكا الشمالي.

عمد والد أحد ضباط "انفستيغايتور" الى تذكير الاميرالية والرأي العام بأن ماكلور يحمل تجهيزات غذائية تكفيه حتى ربيع ١٨٥٢ المقبل، واذا لم يعثر عليه قبل ذلك الوقت فقد يلقى وطاقمه مصير فرنكلين.

لم تجرؤ البحرية على الاستمرار في التقاعس، فهي أبطأت في تحركها عندما فقد فرنكلين، وفقدان بعثة واحدة سيىء بما فيه الكفاية. فعمدت الى قسمة مجموعة بلتشر فرقتين، على أن تتحرك سفينة شراعية برفقة سفينة تموين بخارية الى جزيرة ملفيل بحثاً عن ماكلور.

ولكن أين هو روبرت ماكلور؟ يكمن الجواب في شخصية الرجل وخلقه. معظم مستكشفي القطب طموحون، لكن الطموح عند ماكلور كان أكثر ظهوراً وأقل اثارة للاعجاب. فهو أمضى ٢٦ عاماً في البحرية، وكانت "انفستيغايتور" أول سفينة يتولى قيادتها الى المنطقة القطبية، فاعتزم أن يحقق بها أقصى ما يستطيعه. فان عثر على فرنكلين أو اكتشف الممر الشمالي – الغربي أو حقق الامرين معاً، أصبح أشهر رجل في بريطانيا.

بعد وصول السفينتين الى مضائق ماجلان، أصبح واضحاً أنهما لن تتمكنا من البقاء معاً بسبب السديم والضباب، كما لم تكن ثمة حاجة الى ذلك قبل وصولهما الى الجليد. فحدد كولنسون موعداً للقاء قبالة ساحل الاسكا. وهكذا بات ماكلور مستقلاً بقراره حتى ذلك الحين، وكانت هونولولو مرفأه الاول لتزوُّد الطعام والمواد الضرورية الاخرى.

كان الطقس خلال الرحلة مريعا. وفي ١٥ مايو (أيار) كادت السفينة أن تضيع وسط عاصفة هوجاء هشمت صواريها الثلاثة. ولدى وصوله الى هونولولو اكتشف ماكلور أن كولنسون أبحر صباح اليوم السابق بعدما انتظره أربعة أيام، واذا لم يلحق به ماكلور - كما قيل لهذا - فان كولنسون يعتزم مواجهة البحر الجليدي دونما تأخر مستخدماً سفينة امداد مرافقة من مضيق بيرينغ.

هل كتب على ماكلور أن يفوّت فرصة الشهرة هذه؟ كان متحرّقاً للانطلاق، فعمل وفريقه على مدار الساعة لاعادة تجهيز السفينة، وقرر القيام بمقامرة جريئة خطرة.

كانت أوامر الحملة تقضي بالالتفاف حول الجزر الخارجية لسلسلة "ألوشيان" في دورة تتجه غرباً وتحمل البعثة الى مقربة من شبه جزيرة "كامشاتكا" في آسيا. وكانت هذه الطريق التي التزمها كولنسون، لكن ماكلور اعتزم الابحار نحو الشمال مباشرة واختراق سلسلة جزر ألوشيان المغشاة بالضباب من طرفها الشرقي، وهي لم تكن منزلة على الخرائط بعد. واستطاع، على رغم الضباب الكثيف والمد العنيف والمياه الضحلة والصخور القريبة من سطح الماء، اتمام الرحلة في نصف الوقت العادي تاركاً كولنسون خلفه على مسافة بعيدة.

أبحر ماكلور الى نقطة اللقاء. وفي الطريق أوقفته فرقاطة من البحرية الملكية بقيادة القبطان هنري كيليت. هنا استخدم ماكلور كذبة لم تخدع أحداً ولم تمر قطعاً على كيليت الخبير المحنك. تظاهر ماكلور بأنه يظن أن كولنسون سبقه، وكان هذا أمراً مستحيلاً، لكنه أصر على ادعائه، حتى انه احتفظ ببريد شخصي لكولنسون أعلن أنه سيسلمه اليه عندما يلتقيان.

كان ماكلور يعتزم دخول المنطقة القطبية وحيداً مما يعتبر مخالفة لسياسة البحرية. وكان كيليت يعلوه رتبة ويملك سلطة ايقافه، لكنه توانى عن ذلك، فمضى ماكلور الى كتلة الجليد الطاحنة.

سد طريقه لسان من الجليد بصلابة الصوان. وعندما هب النسيم أمر ماكلور برفع كل قطعة شراع متوافرة، وحوّل مقدم السفينة بجرأة الى وسط العائق. اهتزت السفينة وقاربت الوقوف، وارتجفت الصواري بعنف حتى كادت السفينة تنهار. فجأة انشق الجليد بفعل الصدمة ومرت السفينة عبره الى المياه المفتوحة.

شقت السفينة طريقها على امتداد ساحل ألاسكا الشمالي، وواجهت خيبات محبطة في قنوات مسدودة. وأخيراً عبرت مصب نهر ماكينزي.

بدأت الارض ترتفع على ميمنة السفينة حتى علت الجُرف حوالى مئتي متر. حاول ماكلور الاستمرار باتباع الخط الساحلي، لكن الجليد عطفه شمالا في خط متعرج اتجاه أرض جبلية شامخة تعلوها قمم بارتفاع ٦٠٠ متر. هنا، في ٧ أغسطس (آب)

تحت قمة مطلة سماها ماكلور "رأس اللورد نلسون"، زرع علماً وأعلن ملكية المنطقة. لم يكن يعرف آنذاك أنه نزل على جزيرة "بانكس" وهي كتلة أرضية بعيدة لمحها باري قبل سنوات من الوجهة الأخرى.

كان الحظ حليف ماكلور ككل مستكشف ناجح في البحار المتجمدة. وجد نفسه في قبضة الجليد المتحرك، مشلول الارادة يُساق شرقاً وشمالا في قناة ضيقة تتبع خط الساحل الشمالي لجزيرة بانكس. هل هي خليج مقفل؟ أم مضيق؟

كتب في يومياته: "لا أستطيع وصف مشاعري المتأججة. أيمكن أن يتصل هذا الممر المائي بمضيق بارو فيكون هو الممر الشمالي - الغربي الذي طال البحث عنه؟ أيسمح القدر لضعيف مثلي أن يحقق ما حيّر الموهوبين والحكماء مئات السنين؟"

في ٢٣ سبتمبر (أيلول) أوقف الجليد الحديث تقدمه، وكان وصل الى أقصى ما يمكنه خلال ذلك الفصل من السنة. في اليوم التالي أرسل رجلا الى أعلى الصاري استطاع من منصة المراقبة أن يرى الى مدى ٣٠ كيلومتراً. في البعيد انحرف البرّ في اتجاه شمالي - غربي تاركاً امتداداً من الماء الصافي. لم يبق مجال للشك الآن، فالحلقة الاخيرة من "الممر" كانت في مرمى النظر. كان مضيق بارو يجثم الى الامام مباشرة، وخلفه جزيرة ملفيل التي بلغها باري قبل ثلاثين سنة.

لقد رأوا "الممر" من بعيد وإن لم يقهروه. وأدرك ماكلور أن اسمه سيدخل كتب التاريخ على أنه الرجل الذي حقق أضخم اكتشاف بحري في عصره.

خطة يائسة

اعتقد ماكلور أنه سيُحتجز في الجليد، لكنه بدلا من ذلك علق في قبضة كتلة متحركة. وهبّت ريح هوجاء عبر القناة دفعت كتلة الجليد والسفينة جنوباً، وحُمل ماكلور بوحشية عائداً من حيث أتى. بقي لاكثر من أسبوع في مواجهة خطر يومي، ثم استدارت السفينة بفعل حركة الجليد بعدما حُملت مسافة ٥٠ كيلومتراً في اتجاه الجنوب، وبدأت تتحرك شمالا لتواجه خطر التحطم على الجُرُف الصخرية.

في ٢٦ سبتمبر (أيلول) استعد ماكلور لاخلاء السفينة. فوضعت على ظهرها مؤونة تكفي لسنة استعداداً لالقائها الى القوارب في حال غرق الـ"انفستيغايتور"، ووقف الرجال يحملون حزماً من الثياب الدافئة وجيوبهم ملأى بالذخائر والبسكويت، مهيأين للقفز عند الضرورة.

كانت الليلة التالية أسوأ. سبع عشرة ساعة من المراقبة كانت خلالها قطع طافية من الجليد بثلاثة أضعاف حجم السفينة تصطدم بجوانبها وتمزق ألواحها الخشبية. وفيما السفينة تميل على جانبها، هددت كتلة ضخمة من الجليد المفتت بدفنها ببحارتها

الستة والستين. وبلغ الضغط حداً راحت معه الحبال التي يبلغ قطر ثخانتها ٢٢،٥ سنتيمتراً والتي تربط السفينة الى البر، تتقطع كالخيطان مقتلعة ست مراس مثبتة في الجليد. وعلى نحو عجائبي هدأ الاضطراب وأصلحت السفينة وضعها. لقد حوّل البرد القارس قطع الجليد المفتتة الثائرة كتلة متراصة غير متحركة.

وعاد ماكلور قائداً لسفينة يسودها الفرح.

لم ينس ماكلور هدف الحملة الرئيسي: البحث عن فرنكلين. فأرسل في الربيع التالي ثلاث فرق طموحة تستخدم المزالج، لكنها عادت كلها من دون أي دليل يشير الى مكان البعثة المفقودة.

تكسّر الجليد في ١٤ يوليو (تموز) لكنه ظل يسد الطريق الى المياه المفتوحة. فأخذ ماكلور قراراً جريئاً آخر: الابحار في القناة حول رأس نلسون ومحاولة الالتفاف حول جزيرة بانكس من الشمال (اذا كانت جزيرة فعلا).

لم يتخل عنه الحظ، فدار حول الرأس الجنوبي – الغربي واندفع أمام الريح شمالا بسرعات وصلت الى ١٣ كيلومتراً في الساعة. أبْحر يوماً كاملا في ممر مائي عريض بين الكتلة القطبية الى يساره والجزيرة الى يمينه. ثم بدأ الممر يضيق وأصبحت الارض شديدة الانحدار واقتربت الكتلة القطبية حتى وجد نفسه في ما يشبه وادياً. وسرعان ما أصبحت السفينة قريبة من الارض بحيث اضطر البحارة الى رفع القوارب عن جانبيها لئلا تتحطم لدى اصطدامها بالجدران الصخرية.

وصلت "انفستيغايتور" أخيراً الى خليج واسع اختاره ماكلور لقضاء الشتاء وأطلق عليه اسم "خليج رحمة الله" (سمي لاحقاً "خليج الرحمة") مما دعا طبيب السفينة الى التعليق في وقت لاحق: "كانت الرحمة حلّت علينا لو لم ندخله أبداً." فالخليج زقاق بحري مسدود، وسوف يمضي البحارة عامين وهم محتجزون فيه، ولن تخرج منه السفينة أبداً.

خفض ماكلور حصص الغذاء خشية ألا يذوب الجليد في هذا الملجأ المائي خلال الصيف التالي. وبحلول ابريل (نيسان) ١٨٥٢ بدأ الرجال يفقدون من أوزانهم بمعدل أثار الذعر، لكن ماكلور أصر على الحصة المخفضة.

في الشهر ذاته أبحر أسطول السر ادوارد بلتشر بسفنه الخمس من بريطانيا.

في يوليو (تموز) كان ١٦ رجلا من طاقم السفينة أصيبوا بالاسقربوط. ومع ان اصطياد ثيران ايل المسك واقتلاع كمية من نبات الحمّاض ساعدا في وقف انتشار الداء، الا أنهما لم يكفيا لسد غائلة الجوع. وانخفضت حصص الرجال الى وقعة واحدة في اليوم. وكان معظمهم يلتهم حصته من اللحم المملح نيئة لان الطبخ يقلّص حجمها كثيراً.

انتهى العام كئيبا وكل رجل أخف من ذي قبل بكيلوغرامات عدة، ونحو عشرين بحاراً يعانون داء الاسقربوط. وأصيب رجلان بمسّ فأخذا في العواء طوال الليل مضيفين رهبة الى قتامة الكآبة.

في أوائل مارس (آذار) ١٨٥٣ أعلن ماكلور خطة يائسة: سوف يبقى ستة وثلاثون من أقوى رجاله مع السفينة، أما الذين لن يتمكنوا من تحمل شتاء آخر فسوف يحاولون الوصول الى مناطق مأهولة. عارض الطبيب الخطة لان الرجال في ضعفهم لن يتحملوا رحلة طويلة وشاقة كهذه. لكن ماكلور شعر بأن عليه أن يفعل شيئاً.

ابتسامة القدر

في ٧ ابريل (نيسان)، وقد أعدت المزالج، توفي أحد الرجال بداء الاسقربوط، فدعا ماكلور جميع البحارة الى ظهر السفينة على عجل وألقى فيهم خطاباً بليغا لرفع المعنويات بدا أنه استنهض هممهم. كان نوع من التواضع غيّر تفكير القائد الاناني خلال العام الذي انقضى، وتكوّن لديه اقتناع بأن العناية الالهية تحميه وأنه ورجاله سيعودون سالمين الى منازلهم. وهو سأل الرجال أن يكونوا صادقين مع أنفسهم ومع واجبهم وألا ييأسوا وأن ينظروا الى الغد بعزم ويتحملوا كل المشاق بالجلد الذي اشتهر به البحار البريطاني. وأعلن أن الفرج قد يظهر في أحلك الساعات.

في اليوم التالي كان ماكلور يتمشى مع كبير ضباطه على الجليد ويبحثان في مشكلة حفر قبر للرجل الميت في الارض الصلبة كالصوان. فقاطعهما بحار اندفع نحوهما معلنا أن جسما أسود يتحرك على الجليد في اتجاه البحر وقد يكون ثوراً من ايل المسك. لكنه لم يكن كذلك، فقد ركض بحار آخر صارخا: "انهم رجال! مزلجة ورجال!"

هل كانوا جماعة من الاسكيمو؟ حبس ماكلور ورجاله أنفاسهم بينما اقترب أحد الاغراب.

صرخ ماكلور: "من أنتم بحق السماء؟" تقدم الغريب ونطق جملة سرت فيهم جميعاً كصدمة كهربائية: "أنا الملازم بيم من السفينة ريزوليوت بقيادة القبطان كيليت في جزيرة ديلي."

لا شك في أن هذا الخبر أربك ماكلور لثوان، فهو التقى كيليت للمرة الاخيرة على ساحل ألاسكا. لكن كيليت عاد الى بريطانيا ثم أبحر من جديد مع بلتشر في مهمة الانقاذ. ولم يكن ذلك بذي بالٍ لان أمراً واحدا كان واضحا: لقد حدثت المعجزة التي لم يجرؤ ماكلور على أن يأملها، والفرج الذي وعد به رجاله أصبح في المتناول. لقد ابتسم له القدر مرة أخرى في أحلك الساعات.

لم تكن ١٨٤٥ سنة خير بالنسبة الى جين فرنكلين. فمنذ مطلعها، في ١٢ يناير

(كانون الثاني) فيما لا تزال سبع سفن تفتش المنطقة القطبية، تلقت جين أولى الصدمات: أعلنت الاميرالية، من دون انتظار عودة بلتشر، انها اعتباراً من ٣١ مارس (آذار) ستشطب من سجلاتها أسماء كل الضباط والبحارة على متن "اريبوس" و"تيرور."

ذهلت جين، ففي أكتوبر (تشرين الاول) الفائت وصلت الى لندن أخبار اكتشاف ماكلور الممر الشمالي – الغربي. هل كان ذلك كل ما يعني الاميرالية؟

أمضت أسبوعاً حتى استعادت هدوء أعصابها، ثم أرسلت الى الاميرالية واحدة من رسائلها المصوغة باتقان والمتقدة سخطاً والتي أصبحت سمتها المميزة. لقد تزامن اكتشاف الممر ووقف البحث عن فرنكلين على نحو مريب. فكتبت الليدي فرنكلين: "أيها السادة الاجلاء، لا يسعني الا أن أشعر بأن لطخة ستسوّد صفحة من سجلات البحرية في بريطانيا عندما يسجل التاريخ هذين الحدثين بترابط لا ينفصم."

اندلعت حرب القرم قبل ثلاثة أيام من اعلان فرنكلين رسمياً في عداد الوفيات. ولم تعد الاميرالية قادرة على تحمل ترف حملات الى المنطقة القطبية، اذ احتاجت الى كل سفينة وكل رجل في صراعها ضد روسيا.

فقدت الاميرالية آخر ما تبقى من حماستها للاستكشافات القطبية مع عودة بلتشر الى بريطانيا في أواخر الخريف. كان تخلّى عن أربع من سفنه الخمس، وكلها في حال ممتازة، من دون تفسير معقول. وقد عثر أسطول أمريكي لصيد الحيتان على واحدة منها طافية قريباً من مضيق ديفيس. كانت خالية من قبطانها وبحارتها، واستطاعت أن تشق طريقها على نحو عجيب – من دون أشرعة أو بخار – من مضيق فسكونت ملفيل الى الاطلسي. لم تدفعها قوة بشرية، الجليد المتقلب الذي لا يرحم تولى عملية الدفع محوِّلا السر ادوارد بلتشر مضحكة البحرية الملكية.

حاولت الليدي فرنكلين التحجج بأن مصير زوجها وبحارته ما زال مجهولا، لكن هذه النقطة أيضاً سقطت عندما وصل الرحالة القطبي البارع جون راي الى بريطانيا بأول الاخبار الاكيدة.

لم يكن راي يبحث عن فرنكلين، بل كان يستكشف شبه جزيرة بوثيا لمصلحة شركة "هدسون باي." وسافر كعادته على مزلجة تجرها الكلاب، من دون خيمة، يستدفيء في أكواخ ثلجية يبنيها في رحلة الذهاب ويؤوب اليها في رحلة العودة.

التقى في خليج بيلي رجلا من الاسكيمو روى له قصة غريبة. سمع الرجل من سكان محليين أن مجموعة من الرجال البيض راوح عددهم بين ٣٥ و٤٠ ماتوا جوعاً قبل سنوات في منطقة تبعد بين عشرة أيام و١٢ يوماً سفراً.

لاحظ راي أن محدثه يضع حول رأسه رباط قبعة ذهبياً. وأخبره الرجل أنه حصل

على الرباط من المكان الذي عُثر فيه على جثث الرجال. اشترى راي الرباط وأعلن استعداده لدفع ثمن جيد لاي تذكار يؤتى به بعد عودته الى القاعدة.

في أواخر ربيع ١٨٥٤ أحضر اليه سكان محليون كنزاً نفيساً من التذكارات سهُل التعرف الى أنها تعود الى فرنكلين ورجاله: شُوَك وملاعق فضية حفرت عليها شارات ضباطه، وواحد من أوسمة فرنكلين، وصحن صغير يحمل اسمه، وأغراض أخرى نقشت عليها أسماء وأحرف أولى.

الحلقة الاخيرة

لم يكن لدى الاسكيمو علم بمصير أي من سفينتي فرنكلين، كما لم يستطع راي أن يستخلص من رواياتهم الطريق التي اتبعها المستكشف عندما ترك مقره الشتوي في جزيرة بيتشي. لكنه جمع من المعلومات ما جعله يتخلى عن خططه لقضاء شتاء أخر في المنطقة القطبية وعاد الى بريطانيا بأسرع ما أمكن. فهو أراد، كما قال، منع اهدار تكاليف وأرواح اضافية في عملية بحث باتت عقيمة. وهو، بالتأكيد، رغب في استحقاق ١٠ آلاف جنيه استرليني كان البرلمان البريطاني أعلنها مكافأة لمن يأتي بدليل قاطع على مصير فرنكلين، وان يكن راي أصرّ على أنه لم يسمع بالمكافأة من قبل.

استقبلته الليدي فرنكلين ببرود عندما زارها اذ استاءت من أن يمنح امرؤ الجائزة قبل اتمام عملية بحث أكثر دقة. مع ذلك حصل راي على المكافأة التي ذهب ألفا جنيه منها الى رجال فرقته. لكن شعوراً استمر يساور الناس بأن ثمة جواً بعيداً عن النبالة يحيط براي، ذلك الرجل الذي عاش حياة السكان الاصليين. والشرف الوحيد الذي ناله هو "وسام المؤسس" الذي منحته اياه "الجمعية الجغرافية الملكية." لقد حصل معظم المستكشفين القطبيين الآخرين على رتبة "فارس"، وبقي راي وحده خارج الدائرة السحرية، رجلا عاميا حتى النهاية.

أما ماكلور فقد طغى طموحه الاناني مرة أخرى ورفض الاعتراف بفضل كيليت في أنقاذه وبحارته، وأصر بعناد على ادعائه أنه كان يستطيع الفكاك من الجليد والابحار في الممر وحيداً، وانه لم يلغِ الرحلة الا بناء على أوامر مباشرة. ولخيبة الليدي فرنكلين، نال وبحارته ١٠ آلاف جنيه استرليني مكافأة على اكتشافه، فضلا عن مجد النجاح في تحقيق ما افترض أن فرنكلين عجز عنه.

وهكذا فقد مصير فرنكلين بعضاً من غموضه المثير وكثيراً من بريقه. وفي خريف ١٨٥٤، عندما عاد رايٍ وبلتشر ألى بريطانيا، كان الجمهور البريطاني حوّل اهتمامه الى اتجاه آخر. فقد شغل الناس بالحديث عن "هجوم الخيالة" الذي خلّده اللورد تنيسون شِعراً. وحدها الليدي فرنكلين مخ[illegible] في معركتها [illegible] الى الحقيقة.

وضعت حرب القرم أوزارها في مارس (آذار) ١٨٥٦. ألا يمكن أن تستأنف البحرية عملية البحث؟ ألم تحفزها الادلة التي كشفها راي على محاولة نهائية؟ اذا لم تكن الحكومة مستعدة لذلك فان جين فرنكلين مستعدة الآن أيضا.

قالت لاحدى صديقاتها: "انني في صدد محاولة أخيرة لحل هذا اللغز."

لقد عُثر على تذكارات، ولكن لم يعثر على وثائق. فمن يستطيع الجزم بأن فرنكلين نفسه أو أحد رجاله لم يكتشف "الممر" قبل ماكلور بزمن طويل، رابطاً "الحلقة الاخيرة بحياته" بحسب عبارة جون ريتشاردسون المفعمة بالولاء.

هاجمت الليدي فرنكلين الاميرالية من جديد بكل ما ملكته من بلاغة. وعملت في الخفاء محاولة تسيير الامور لمصلحتها، لكن البحرية الملكية أصرت في عنادها، ولم تؤت جهود جين غير المباشرة أي نتيجة. لقد اعتبرت البحرية أن كفاية من الرجال ماتت وكفاية من السفن فقدت في عملية البحث التي دامت عشر سنين.

لكن جين فرنكلين لم تنثنِ. وهي اشترت في العام ١٨٥٧ يختاً بخارياً دعته "فوكس" هو في نصف حجم أي من سفينتي فرنكلين، دفعت ثمنه ٢٠٠٠ جنيه استرليني وأقنعت ليوبولد ماكلنتوك، وهو قائد مزلجة متمرس، بقيادته الى جزيرة كينغ وليم، البقعة الوحيدة التي لم يبحث فيها أحد.

عرضت الاميرالية بعض العون بتأمين المواد الغذائية. لكن تلك لم تكن رحلة ترف، مما زاد حماسة ماكلنتوك الذي أعلن: "كلما قلت الموارد كان الانجاز أكبر والنجاح أروع والفشل أشرف." بذلك لخص فلسفة البطولة في العصر الفيكتوري: أين النصر ان لم تصارع مخاطر مستحيلة؟

أمضى "فوكس" شتاءه الاول محتجزاً في الجليد في خليج بافن، فلم يصل الى مقصده – مضيق بيلو – الا في أغسطس (آب) ١٨٥٨. كُرِّس الخريف وأوائل الشتاء لاعداد مستودعات للبعثات الثلاث الرئيسية التي تستخدم المزالج والتي خطط لها ماكلنتوك. سوف يغطي ألن يونغ جزيرة "برنس أوف ويلز" فيما يجول ماكلنتوك دلتا نهر "غريت فيش." أما الملازم وليم هوبسون فسوف يفتش السواحل الغربية والشمالية – الغربية في جزيرة "كينغ وليم." وكانت هذه المهمة الاخيرة كَرَما من جانب ماكلنتوك، لان غالب الظن أن اللغز سيُحلّ هناك، واذا حدث ذلك فان هوبسون سيحصل على المجد والترقية.

انطلق ماكلنتوك وهوبسون في ٢ ابريل (نيسان) ١٨٥٩. وقبل أن يفترقا بعد أسبوع، التقيا بعض رجال الاسكيمو الذين أخبروهما عن سفينتين، واحدة غرقت والاخرى جرفت الى الشاطىء. وقالوا ان رجالا بيضاً شوهدوا يجرون قوارب جنوباً في اتجاه نهر كبير في البر.

التقى ماكلنتوك مزيداً من الاسكيمو وقد أصبح وحيداً على السواحل الشرقية لجزيرة "كينغ وليم." كان الخشب بالنسبة اليهم أغلى من الذهب في هذه الارض التي لا شجر فيها. وقد صنعوا مجاذيف لقواربهم ومقابض لحرابهم وأشياء أخرى من خشب حصلوا عليه من أفراد آخرين من الاسكيمو. كان واضحاً أن مصدر الخشب سفينة، لكن أحداً من هذه المجموعة لم يكن يعرف المزيد. كان الامر محيّراً ومثيراً، لكنه في النهاية مخيب للآمال.

تابع ماكلنتوك مسيرته في اتجاه دلتا نهر "غريت فيش"، ثم استدار شمالا في ٢٤ مايو (أيار) في اتجاه جزيرة كينغ وليم. وبعيد منتصف الليل، والشمس ما زالت ساطعة في السماء، كان يمشي متثاقلا على تلة من الحصى، فلمح هيكلا عظميا بشريا. انه الدليل المباشر الاول على الكارثة التي حلت بجماعة فرنكلين.

هناك تمدد الهيكل، شاهداً رهيباً على التاريخ. كان ملقى على وجهه وكأن صاحبه تعثر ووقع ولم يقوَ على النهوض ثانية. عظام بيضاء كالطبشور، وخرق من ملابس لا تزال ملتصقة بالاطراف المكشوفة التي بدا أن حيوانات نهشتها. وقف ماكلنتوك يحدق الى اللقية المحزنة ويستذكر ما قالته له امرأة عجوز من الاسكيمو: "كانوا يسقطون في سيرهم ويموتون."

شاي وشوكولاتة

تحركت الفرقة شمالا عبر الساحل الغربي الموحش الكئيب. وبعد "رأس هيرشيل" بمسافة ٢٠ كيلومتراً عثر ماكلنتوك على مَعلم حجري بارز بنته مجموعة هوبسون وتركت فيه رسالة. لقد مر هوبسون بالمكان قبل ستة أيام، لكنه لم ير حطام سفينة ولم يلتقِ أحداً من السكان المحليين، لكنه عثر، في معلم آخر في "فيكتوري بوينت" على الساحل الشمالي – الغربي لجزيرة "كينغ وليم" على وثيقة تتعلق بالحملة المفقودة هي الاولى التي يتم العثور عليها. لم تكن تحمل تفاصيل، لكنها كانت كافية لايضاح النقاط الرئيسية في اللغز.

كانت الرسالة الاولى مؤرخة ٢٨ مايو (أيار) ١٨٤٧ وموقعة باسم "الملازم غور" وتنضح تفاؤلا: "كل شيء على ما يرام..." وهي كشفت أن فرنكلين ذهب الى قناة ولينغتون وأنه، في الحقيقة، التف حول جزيرة "كورنواليس" قبل أن يستقر في جزيرة بيتشي لتمضية شتاء ١٨٤٥ – ١٨٤٦. أما الشتاء الثاني فقد دهمه في خضم جدول جليدي غرب الطرف الشمالي لجزيرة "كينغ وليم." ترك غور وسبعة من رجاله الرسالة في المعلم وهم على ثقة كاملة بأن السفينتين ستتحرران من الجليد قريباً وبأن الممر سيُخترق خلال ذلك الصيف.

كان هذا حلماً، كما أوضحت الرسالة الثانية التي كتبت بخط مختلف ووقعها نائبا فرنكلين، فرنسيس كروزييه وجايمس فيتزجايمس بتاريخ ٢٥ ابريل (نيسان) ١٨٤٨. أفادت الرسالة أن فرنكلين توفي في يونيو (حزيران) الفائت بعد شهر من كتابة غور رسالته. وحين كتبت الرسالة الثانية كان قد مر ١٩ شهراً على السفينتين وهما محتجزتان في الجليد، وقد توفي تسعة ضباط (بمن فيهم غور) و١٥ بحاراً، فتخلى الباقون عن السفينتين وهم يحاولون الوصول الى نهر "غريت فيش" بواسطة المزالج.

غثر ماكلنتوك، في مسيرته فوق الهضبات المحصبة في الساحل الشمالي – الغربي الموحش لجزيرة "كينغ وليم"، على واحد من هذه المزالج. كانت مصنوعة من الحديد وخشب السنديان وتزن ٣٥٠ كيلوغراماً على الاقل. على ظهرها جثم قارب نهري يبلغ طوله حوالى ثمانية أمتار ويزن نحو ٤٠٠ كيلوغرام اضافية. كان ذلك جنوناً مطبقاً بالنسبة الى ماكلنتوك الخبير في قيادة المزالج. فسبعة رجال أصحاء يعجزون عن جر هذه المزلجة فارغة. لكنها كانت مثقلة بالاحمال، مجموعة لا تصدق من الامتعة غير الضرورية: كتب وأحذية ومناشف وفراشي أسنان وأغطية بنادق وفتائل وصابون وصفائح رصاصية وسكاكين مائدة وصحون فضية مزينة بالشعارات وساعات جيب وحافظات خرزية وعلب سيجار.

عثر ماكلنتوك داخل القارب على هيكلين عظميين، وتكوّن لديه اقتناع بأن المجموعة لم تقدّر حاجتها من الطعام جيداً وبأنها كانت عائدة الى السفينة لاحضار المزيد، لكن السفينة كانت تبعد ١٠٠ كيلومتر شمالاً، ولما لم يستطع الرجال جرّ قاربهم أكثر، تركوا الرفيقين الاضعف بينهم في القارب مع قليل من الطعام لم يتبقّ منه سوى بعض الشاي والشوكولاتة.

عندما وصل ماكلنتوك الى "فيكتوري بوينت" واجه مشهداً غريباً آخر – دلائل اضافية على أن الرجال الذين تخلوا عن سفينتيهم لم يعوا مدى الضعف الذي وصلوا اليه. فداء الاسقربوط الذي يوهن الجسم، يشوّش الدماغ كذلك، مما يوهم ضحاياه بأن في امكانهم انجاز أكثر مما هم قادرون عليه فعلاً.

لقد أثقل الرجال مزالجهم بعشرة أطنان من المعدات وتخلوا عن معظمها بعد ثلاثة أيام في هذه البقعة. بلغ ارتفاع كومة الثياب الصوفية متراً ونصف متر. ولكن أي نزوة غريبة أقنعتهم باحضار طلاء للازرار النحاسية ومواقد ثقيلة وقضبان ستائر وقضيب صواعق ومكتبة عامرة؟ لقد جروا هذا الجبل من المواد غير الضرورية مسافة ٢٠ كيلومتراً طوال ثلاثة أيام قبل أن يدركوا أنهم ليسوا على مستوى الجهد المطلوب. وهكذا، بعدما غطّ فيتزجايمس قلمه في المحبرة وخربش الرسالة الثانية، خفف الرجال من أحمال مزالجهم ثم ساروا على الشاطىء الموحش لملاقاة مصيرهم.

وبينما هم يدبّون ويتساقطون على الطريق كانت عيون تراقبهم بفضول. كان رجال الاسكيمو في جزيرة "كينغ وليم" جوعى هم أيضاً في ذلك الشتاء، لكن غذاءهم، على قلّته، أبقاهم أحياء.

"لقد هلكوا بعز" هذا ما جاء في رسالة الى صحيفة "تايمز" بعد اكتشافات ماكلنتوك. لكنهم لو اهتموا أكثر لنمط حياة السكان المحليين لكان حظهم في البقاء كبيراً.

الرحالة الأخيرة

لم تكن الليدي فرنكلين في لندن عندما عاد ماكلنتوك، كانت على قمة في جبال البيرينيه (بين فرنسا واسبانيا) حيث أُرسلت لاستعادة صحتها. وبلغتها الاخبار في برقية موجزة نقلها القنصل البريطاني في بايون.

أسرعت عائدة الى لندن لتجد نفسها محطّ اعجاب المملكة. فهي انتصرت حيث أخفقت البحرية، اذ أشارت باصرار الى الاتجاه الصحيح سنة بعد سنة. فقد تلقى زوجها أمراً بالتوجه الى الجنوب، والى الجنوب ذهب، وكانت هي تعرف ذلك طوال الوقت.

عُرضت بقايا أمتعة البعثة التي أرسلت الى الاميرالية في "مؤسسة الخدمات الملكية المتحدة" وتجمع جمهور غفير اضطر معه المسؤولون الى اصدار بطاقات دخول.

وبدأت الصحافة تضغط على البرلمان لتعويض الليدي فرنكلين الاموال التي صرفتها على عملية البحث، لكن الارملة المفعمة بالحيوية رفضت قبول بنس واحد، الا أنها رغبت في ان تفعل شيئاً لماكلنتوك وبحارته، كما رغبت في تحصيل شرف أكبر لزوجها لاقتناعها بأنه هو، وليس ماكلور، يستحق الاعتراف بأنه الرجل الذي حل لغز "الممر" أولاً.

في مارس (آذار) ١٨٦٠، بعد جهود مثمرة في الخفاء، استثارت الليدي فرنكلين حواراً في البرلمان انتهى بلَحْظ مكافأة بقيمة ٥٠٠٠ جنيه استرليني لبحارة "فوكس" كما مُنحت هي "وسام المؤسس" من "الجمعية الجغرافية الملكية" لتصبح أول امرأة تحظى بهذا الشرف.

وأصدرت "الجمعية الجغرافية الملكية" مذكرة تشهد بأن حملة فرنكلين كانت الاولى لاكتشاف "ممر شمالي - غربي"، وعدم استخدام أداة تعريف في صوغ هذه العبارة جاء بمثابة ايضاح بأنه ليس ثمة ممر وحيد عبر المتاهة القطبية، بل ممرات عدة.

خفض هذا القرار من منزلة اكتشاف ماكلور، لاحقاً، ممراً أبعد شمالاً. لقد عبر ماكلور الممر فعلا من الغرب الى الشرق، وإن لم يعبره كله ملاحة، لكن فرنكلين كان المفضل شعبياً. لقد منح طموح ماكلور السافر صاحبه لحظة قصيرة من المجد، لكنه في النهاية تآمر ضده وانزله الى المرتبة الثانية بين مستكشفي القطب.

حظي فرنكلين بتكريمات اخرى: لوحة في غرينيتش، وتمثال نصفي في دير وستمنستر في لندن وبيتين رائعين للشاعر تنيسون، فيهما: "الشمال الابيض يضم رفاتك يا روح البحّار البطولية."

أقيم النصب بتفويض من الليدي فرنكلين، لكنها لم تعش لتراه، اذ توفيت في العام ١٨٧٥ وهي في الثالثة والثمانين من عمرها. وكانت في سنواتها الاخيرة مفعمة بالحيوية كما دائماً، تسافر عبر الكرة الارضية وتتابع بحثها عن بقايا مغامرة زوجها المأسوية.

رُفع الستار عن نصب فرنكلين في وستمنستر بعد أسبوعين من وفاة جين، وقد نقشت عليه العبارة الآتية: "من جين، أرملته، التي، بعد انتظار طويل وايفاد كثيرين بحثاً عنه، غادرتنا هي نفسها سعياً للعثور عليه في مملكة الضوء."

بيار برتون ■

ترجمة فواز خوري

تاتشر والمساواة

عرف عن السيدة مارغريت تاتشر رئيسة الوزراء البريطانية السابقة انها ليست من القائلين بالمساواة بين الرجال والنساء. ولكن لها آراؤها الخاصة في شان النساء.

فحين دعيت مرة الى مقر المفوض السامي الهندي في لندن لازاحة الستار عن تمثال نصفي لرئيسة الوزراء الهندية الراحلة انديرا غاندي، القى المفوض السامي م.ك. راسغوترا خطاباً ترحيبياً ذكر فيه ما قيل في السيدة غاندي من انها "الرجل الوحيد" في وزارتها.

وعلقت السيدة تاتشر على ملاحظة راسغوترا فقالت: "ان ذلك يفترض كون الرجال متفوقين على النساء قوة وتصميماً. وذلك، يا حضرة المفوّض، افتراض غير مقبول."

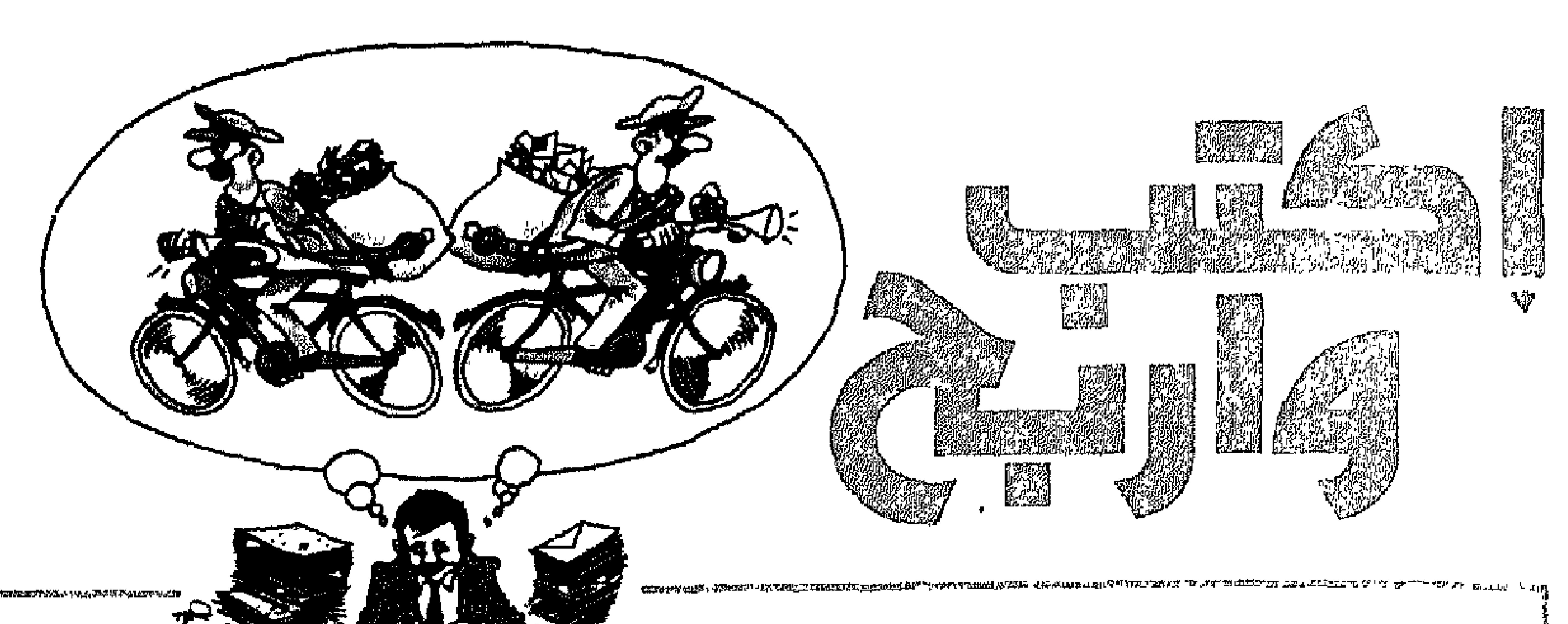
مجلة "صنداي"، الهند

حب وفكاهة

الحب ارتباط بذات أخرى. والفكاهة شكل من الانعتاق من الذات، هي نظرة للمرء الى أبعاد كيانه ومصائبه وانزعاجه. فاذا كان حبك حقيقياً، وعرفت فعلا كيف تضحك، فالنتيجة واحدة: ان تنسى نفسك.

ك.س.

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ۴٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ۲٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- ★ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- ★ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ★ ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ★ ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- ★ تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- ★ لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- ★ لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت.

